انتشارات دانشگاه تهران

۳۴۰

دروس فی

آداب اللغة العربية وتاريخها

الجزء الأول

من امرئ القيس الى عبدالحميد الكاتب

محمد محمدی

استاذ الادب العربی بجامعة طهران

طهران

۱۳۳۵ ه.ش.

مطبعة الجامعة

بها: ٦٠ ريال

فهرس الكتاب

العنوان	الصفحة

بسمه تعالى

هذه دروس فى الادب العربى القديم نلقيها على طلاب العربية فى قسم الدكتوراه من كلية الاداب و فى الصفوف النهائية من كلية المعقول و المنقول ـ معهد الدراسات الشرقية والاسلامية بجامعة طهران ـ رأينا نشرها ليكون فى متناول المشتغلين باللغة العربية فى ايران ـ مع ما اخرجناه سابقاً فى الادب الحديث (١) ـ نخبة من ذخائر الادب العربى قديمه وحديثه .

وقد عدلنا فى هذا الكتاب عن الطريقة التى اتبعناها فى نظائره ، فجمعنا فيه بين الادب وتاريخه ، بادئين بأقدم العصور حسب الروايات الادبية ، وتابعنا سيره التاريخى فى ادواره الرئيسية لينطبق على مناهج الدروس العربية فى معاهد الجامعة المختلفة وليسهل على الطلاب فهم الاتجاهات الادبية فى مختلف العصور . ومع اننا اقتصرنا فيه على درس طائفة من زعماء الشعر والكتابة ، واجملنا درسنا للعوامل الفعالة فى تطور الادب فى كل عصر، فقد اتسع بنا المقال ولم يبق فى استطاعتنا اخراج الكتاب كله فى جزء واحد فاختتمنا هذا الجزء بالعصر الاموى لنبدأ دروسنا فى الادب العباسى فى جزء آخر .

وانا اعترف ان شبابنا المتأدبين قد يجدون صعوبة فى درس هذا الادب القديم واستساغته ، لما يتضمنه من عبارات غير مأنوسة لهم وتعابير بعيدة عن اذهانهم . فلاشك انهم لايتذوّقون هذا الادب كما يتذوّقون ادباً عصرياً يمثّل نزعاتهم ويعبّر عن شعورهم و عواطفهم . الا اننى اريد ـ استنهاضاً لهممهم ـ ان اوجه انظارهم الى امر يفرض عليهم درس هذا الادب مهما بلغت الصعوبة التى يجدونها فى درسه ، وهو ان معظم

---

(١) فى كتاب « درس اللغة والادب » و هو فى جزئين .

ما نسمّيه بالادب القديم ، خصوصاً فى عصور ازدهاره ورقيه ، ليس ادباً اجنبيا بالنسبة الى الايرانيين، بل هو ادب اسلامى اشتركوا ، هم مع غيرهم من الامم الاسلامية، فى تشييد دعائمه واعلاء شأنه . هو ادب لغة اتخذها علماء ايران وادباؤها وسيلة للتعبير عن افكارهم وعواطفهم طيلة قرون ، فنقلوا اليها مابقى من مآثرهم القديمة ، ووضعوا فيها من الكتب العلمية والادبية ماتعد من عيون آثار الثقافة الاسلامية فى كل عصر ومصر . فعلى هؤلاء الشباب المتأدبين ، سواء كانوا فى صفوف الجامعة او خارجها ، ان يعرفوا ان اهدافنا من درس هذا الادب العربى تختلف عما نستهدفه من درس اى ادب آخر من آداب اللغات الاجنبية . فليس غرضنا من درسه هو الاطلاع على آثار العرب الثقافية فحسب ، وان كان ذلك من اهدافنا الرئيسية . الا اننا نرمى من وراء ذلك الى درس تاريخنا و ثقافتنا والتعرف بعلمائنا وادبائنا ايضاً ، ممن وضعوا آثارهم بالعربية ولاسبيل لنا الى معرفتهم ومعرفة آرائهم الا من خلال هذه الاثار .

ولاجل ان يقف طلابنا على هذه الحقيقة ويجدوا فى هذه الدروس مايرغبهم فيها ، ويشوقهم من خلالها الى تعلم العربية وادابها ، فقد عنينا فيها عناية خاصة بتراجم الشعراء والكتّاب الذين ينتمون الى اصول ايرانية ، وبيّنا بالاجمال ماظهر لهذه العناصر من اثر فى الادب العربى و تطوره فى عصوره المختلفة .

وهناك امر آخر يؤيد ما ذكرناه من ضرورة تعلم العربية للادباء الايرانيين يجب ان نشير اليه، وهو ماتشترك فيه اللغتان الفارسية والعربية معاً من حيث وجود كميات كبيرة من الفاظ كل واحدة منهما فى الاخرى مما يجعل من العسير الاحاطة بدقائق كل من هاتين اللغتين من دون المام باللغة الاخرى .

فقد دخل فى الفارسية من الالفاظ العربية الشيئ الكثير ورحب بها شعر ائنا و كتابنا ، بل و فضلاً عن الالفاظ المفردة ، اخذوا من الحكم العربية و امثالها ،

ومن الايات القرآنية والاحاديث النبويّة مازيّنوا بها كتبهم واشعارهم، واوجدوا بذلك آثاراً رائعة لانزال نستعذبها و نستحليها و نعدها من افخرما انتجه الادب الفارسى .

و كذلك دخل فى العربية من الالفاظ الفارسية عدد غير قليل . فقد اخذ العرب فى العصور الاسلامية من هذه اللغة كثيراً من المصطلحات الادارية و الفنية والاجتماعية واسماء ادوات الحضارة والصناعة وما الى ذلك من اسماء النباتات والازهار والاطعمة والاشربة والاوانى وغيرها ، كما انه تسرب الى العربية ضمن الكتب المؤلفة على ايدى شعراء ومؤلفين متضلعين فى اللغتين كثير من الكلمات والتعابير الفارسية التى كان لها اثر كبير فى ازدياد ثروة اللغة واتساعها .

على ان هناك فرقاً فى هذه الناحية بين اللغتين . فالعربية بمقتضى طبيعتها و خاصيتها قد غيرت الالفاظ الدخيلة فيها و ابعدتها عن صورها الاصلية لتلحقها بصيغها وابنيتها ،فاشكل أمر هذه الالفاظ و خفى حتى على جامعى اللغة اصول كثير منها فحسبوها من صميم العربية ، ولذلك ظهرت المعّربات عن الفارسية فيها اقل بكثير مما هى فى الواقع . ولكن الامر فى الفارسية بالعكس. فالالفاظ العربية الدخيلة فيها لايصعب تمييزها لمن كان له المام بهذه اللغة . والسبب فى ذلك ان اللغة الفارسية لم تعامل الالفاظ العربية هذه المعاملة بل احتفظت بها من دون تصرف فيها او تغيير فى هيئآتها و حروفها حتى ولو كانت تلك الحروف مما لاينطق بها فى الفارسية .

و على كل فنحن نعتقد ان من يحاول درس احدى هاتين اللغتين درساً علمياً صحيحاً ليحل رموزها ومشاكلها ويصل الى اصول الفاظها ومبانيها و يعرف الاصيل منها من الدخيل حتى يشعر انه قد امتلك ناصيتها وانه يستطيع ان يجول فى ميدانها دون ان يحس بوحشة اوغرابة ، اقول : ان هذا الذى يريد أن يدرس احدى هاتين اللغتين بهذه الصورة ، لامناص له عن تعلم اللغة الاخرى سواء كانت فارسية للعرب اوعربية للفارسيين . فلا يصحح تعلّم الفارسية من دون العربية كما انه لاتكمل العربية

من دون المام بالفارسية . و لكن مالنا و ابداء الرأى فى امر - اعنى لزوم الفارسية للعربية - غيرنامن زعماء العربية واساتذتها احق بابداء الرأى فيه ، فكل ما نحن بصدده الآن ونسعى اليه هوان يعرف طلابنا المتأدبون ان عدم معرفتهم للّغة العربية يحرمهم من معرفة كثير من فرائد الادب الفارسى، كما ان جهلهم بالادب العربى واهمالهم اياه معناه جهلهم بقسم كبير من تاريخ ثقافتهم واهمال دور هام من ادوار هذه الثقافة ربما يكون من اهم ادوار الثقافة الايرانية نشاطاً فى تاريخها الطويل الحافل بروائع الاثار والاحداث .

و اختم كلمتى هذه بما اوصى به عبدالحميد الاكبر كتّاب عصره حين قال لهم فيما قال « فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الاداب . . . و ابدأوا بالعربية فانها ثقاف السنتكم » . وارجو ان تجد هذه الوصية اذاناً واعية عند طلّابنا و اسأل الله تعالى ان يحقق فى الخير آمالنا وان يوفقنا جميعا لما يحب ويرضاه .

م . م .

طهران - { مهر ١٣٣٥ . ه . ش .
اكتوبر ١٩٥٦ م .

الشعر الجاهلى

لم يكن الشعر العربى فى اول نشوئه فناً معروفاً بأوزان خاصّة بل كان الشاعر يرسل كلامه نثراً مسجوعاً ثم نشأ الرجز على زعم بعضهم وهو أقرب الأوزان إلى السجع، لأنّ صدره و عجزه مبنيّان على قافية واحدة . و يقال انّه مأخوذ عن حركة الجمال فى مشيها ـ وهذا مثال منه :

لا ألحظ الدّنيا بعينَى وامق (١) و لا أُبالى قلّةَ الموافق

وبقى الشعر رجزاً او مايشبهُه زمناً طويلاً حتى ظهرت البحور المختلفة وهى مع الرجز ستة عشر بحراً. وكان العرب قبل الاسلام يعرفون أكثرها وينظمون عليها ، على أنها لم تدوّن و لم تجعل علماً خاصاً الّا بعد ان جمعها الخليل بن أحمد ووضع لها احكامه المشهورة . اما طريقتهم فى النظم ففى الغالب واحدة . يبتدئ الناظم بذكر الدّيار والدمن والآثار فيشكو ويبكى و يخاطب الربع و يستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها . ثم يصل ذلك بالنسيب فيشكو شدة الشوق وألم الوجد والفراق. ثم يرحل ويشكو النَّصَب والسهر وسرْى الليل وانضاء الراحلة ثم يبدأ بالمديح أو سواه.

تلك كانت طريقتهم فى النظم . قال ابن قتيبة « و الشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب وعدل بين هذه الاقسام » (٢) وقد تبعهم فيها شعراء الاجيال التى تلتهم ، اللهمّ الانفراً اختطّوا لأنفسهم أساليب جديدة دفعهم اليها اختلاف أحوالهم و حريّة طبائعهم .

وقد عرف الشعر الجاهلىّ مع خشونته و بعده عن المألوف بالمتانة ودقة التعبير

---

(١) الوامق : المحب

(٢) مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبه.

عن العواطف الطبيعيّة . و ذلك لما فى ناظمه من الميل الى بسيط العيش والبعد عن تصنّع الحضارة . و هذه مزيّة الشعر المطبوع أن يؤتى به تبعاً لما يتطلّبه انفعال النفس من الوصف أو الحماسة أو الغزل و غيرها من أبواب الشعر ، بحيث يكون خارجاً من أعماق النفس جارياً مجرى القلب موحىً به من الطبيعة . ومايقال عن الشعر من هذا القبيل يقال عن الخطابة ايضاً . على أنّه من الخطأ أن تجزم بأفضلية الجاهليين على سواهم فى ضروب النثر والشعر ، فان فى الاجيال التى خلفتهم رجالاً فاقوا اسلافهم وسبقوهم فى ميادين الأدب . وذلك طبيعى فى الأمم الحيّة التى تنمو وتتقدّم بتقدّم الزمان .

أمّا الذى وصل الى أيدينا من آداب الجاهلية فمعظمه من أعمال القرن الأوّل و بعض القرن الثانى قبل الاسلام و هو يدلّ اذا صحّت الراوية عنه جميعاً ، على هبّة فكرية حدثت فى ذلك الوقت فتركت لنا كثيراً من مآثرهم . على أن الثابت عند المحققين ان الكثير ممّا نقل لنا مصطنع لا حقيقىّ . لكنّنا مع كل ذلك نستطيع به ان نعرف شيئاً من آدابهم و احوالهم ، (١)

امرؤ القيس و معلّقته

هو اشهر شعراء الجاهلية من الطبقة الاولى و ربما جعلوه إمام الشعراء الأقدمين قالوا، اشعر الناس اربعة امرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والأعشى اذا طرب . »

يرجع الرواة نسبه الى ملوك كندة و كندة قبيلة يمنيّة كانت تسكن قبل الاسلام غربى حضرموت و تبتدئ دولة كندة من حُجر بن عمر الذى يرجع تاريخ حياته الى منتصف القرن الخامس للميلاد . و قد بسط نفوذه الى نجد بعدان

(١) المقدسى : الدول العربية واداىها ، ٤٣

حارب اللخميين ملوك الحيرة الذين كانوا قد سيطروا على تلك البلاد . و في عهد الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ولاّه كسرى قباذ من ملوك ايران الحيرة مكان اللخميين لعدم رضاه عن سياسة المنذر الثالث المعروف بابن ماء السماء، فهاجم الحارث الحيرة واستولى عليها . و ولّى ابنه حجراً (ابا امرئ القيس) قبيلة بنى اسد كما ولّى ابناءه الثلاثة قبائل اخرى . و بقى الحال كذلك حتى ملك كسرى انوشروان فقرّب المنذر وارجعه الى عرش الحيرة فتنكّر بنو اسد لحجر الكندى وقاموا عليه وقتلوه وابنه امرؤ القيس شاعرنا غايب يجول فى اليمن ، فلما اتاه نعى والده رحل يستنصر القبائل للاخذ بثأر ابيه من بنى اسد فلم يوفق الى ذلك فرحل الى قيصر ملك الرومان ليعينه على ملوك الحيرة و هم فى كنف ملوك ايران و ذكر بعض الروايات ان قيصر وعده اعادة ملكه و لكن الوعد لم يجده نفعاً لانه مات بانقرا و هو عائد من القسطنطنية .

اما شعره فقد اجمع الرواة على ان له السبق فى ابتداع المعانى وطرد موضوعات لم يُسبق لها و كان شعره مرآة لحياته فقد كان فى شبابه لاهمّ له غير الصيد والشعر والشراب و كذلك كان شعره فى شبابه خمر ونساء و صيد . و قد يفحش فى تشبيبه بالنساء و تحدثه عنهنّ و اختلفوا فى سنة و فاته والمرجح انه توفّى سنة ٥٦٠ م . واليك نخبة من معلّقته الشهيرة :

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ و مَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ (١)

كَأَنّي غَدَاةَ البَيْنِ يومَ تَحَمَّلُوا
لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ (٢)

(١) سقط اللِّوىٰ : اى منقطع الرّمل . والدَّخول و حومل موضعان .

(٢) البين : الفرقة . تحمّلوا : سافروا. سَمُرات : اشجار . نقف الحنظَل: استخرج حبه منه . والحنظل ثمر مرّ الطعم و ناقف الحنظل ينهمر دمعه لحرارته .

وإنَّ شِفائي عَبرةٌ مُهراقةٌ
فهَل عِندَ رَسمٍ دارِسٍ من مُعَوَّلِ (١)
ففاضَتْ دُموعُ العَينِ منّي صَبابَةً
على النَّحرِ حتّى بَلَّ دَمعي مِحمَلي (٢)
ألا رُبَّ يومٍ لي مِنَ البيضِ صالحٍ
ولا سِيَّما يومٍ بدارةِ جُلجُلِ (٣)
ويومَ عقَرتُ للعذارى مَطيّتي
فيا عَجباً مِن كُورِها المُتَحَمَّلِ (٤)
فظَلَّ العَذارى يَرتَمينَ بلَحمِها
وشَحمٍ كهُدّابِ الدِّمَقسِ المُفَتَّلِ (٥)
ويومَ دَخلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيزةٍ
فقالتْ لكَ الوَيلاتُ إنّكَ مُرجِلي (٦)

---

(١) عَبْرة: دمعة. مُهراقة: مسكوبة. المعوَّل: ما يُستعان به.

(٢) صبابة: من صبَّ (اليه) يَصب: اذا كلف به واحبّه حباً شديداً. مِحْمَل: ما يُحمَّل به السيف.

(٣) دارة جُلْجُل: مكان بنجد، يتحدّث الشاعر فى هذا الابيات عن ذكريات شبابه.

(٤) يتذكر الشاعر يوم نحر للابكار ناقته. والكور: الرّحْل والمتحمَّل على صيغة المفعول بمعنى المحمول.

(٥) هُدّاب الثوب: الخيوط التى تبقى فى طرفيه من عرضيه دون حاشيته. الدِمَقس: الحرير. المُفتَّل: المفتول. يذكر الشاعران العذارى بقين يتلاعبن بترامى لحم ناقتها التى نحرها لهن بشحمها الشبيه باهداب الحرير المفتول.

(٦) الخِدْر: الهودج. وعُنيزة اسم لمحبوبته. مُرجلى: تصيّرنى راجلة اى ماشية.

تَقولُ و قد مالَ الغَبيطُ بِنا مَعاً
عَقَرْتَ بَعيري يا امرأالقيس فانزلِ [١]
فقُلْتُ لها سيري و أَرْخي زِمامَهُ
و لا تُبعِديني من جَناكِ المُعَلَّلِ [٢]
دَعي البَكْرَ لا تَرثي لهُ من رِدافِنا
وهاتي أذيقينا جَناةَ القَرَنْفُلِ [٣]
بثَغْرٍ كمِثلِ الأُقحُوانِ مُنَوَّرٍ
نَقيِّ الثَّنايا أَشْنَبٍ غيرِ أَثْعَلِ [٤]
أَفاطِمَ مَهلاً بعضَ هـذا التدَلُّلِ
و إن كُنتِ قد أزمَعْتِ صَرْمي فَأَجمِلي [٥]
أَغَرَّكِ مِنّي أنَّ حُبَّكِ قاتِلي
و أنكِ مَهما تأمُري القَلبَ يَفعَلِ

(١) الغبيط : الرحل ، يشدّ عليه الهودج . عقرت بعيرى : اى جرحت وادميت ظهر جملى لثقلك .

(٢) الجَنَى : الثمر. المعلّل على بناء المفعول من علّل الثمرة اذا جناها مرّة بعد اخرى .

(٣) اى دع حديث البعير والاشفاق له من ركوبنا معاً عليه وهات اذيقينا من ثغرك العطر الشبيه بالقرنفل .

(٤) يصف الشاعر فى هذا البيت ثغر حبيبه بالتنسيق والصفاء . الأقحوان : نبات له زهر ابيض يشبّهون بها الاسنان. المنوّر : على بناء المفعول من نوّر الشجر اذا ظهر زهره. أشنب : ذوالرقة والصفاء. أثعل : من ثعلت اسنانه اذا تراكبت احداها على الاخرى.

(٥) ازمع الامر : اذا ثبت عزمه على امضائه. الصرم : القطع والفراق . الاجمال: الرفق، اى ان قصدت فراقى فارفقى .

وَ أَنَّكِ قَسَّمْتِ الفُؤَادَ فَنِصْفُهُ
قَتِيلٌ وَ نِصْفٌ بِالحَدِيدِ مُكَبَّلِ (١)
تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الهَوَى
وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلِي (٢)

زهير بن ابى سُلْمَى
والحكم المنسوبة اليه

شاعر جاهلى من مزينة. قيل نشأ فى بيت عريق فى الشاعرية، فقد كان خاله بشامة شاعراً و كذلك كان ابوه و زوج امّه اوس بن حجر واختاه سلمى وخنساء وابناه بُجير و كعب. روى انه كان يصرف اربعة اشهر فى نظم القصيدة و ينقّحها فى اربعة اشهر، ويعرضها للنقد فى اربعة اشهر، فلا ينشرها الا بعد سنة ولهذا اشتهر بعض قصائده المطوّلة بالحوليات. يجمع الرواة على ان زهيراً كان من المعمّرين وان اختلفت الروايات فى تاريخ حياته ويرجّح انه مات قبيل انتشار الاسلام.

و زهير من اصحاب المعلقات و قد نظم معلقته على اثر الصلح الذى عقب حرب داحس و غبراء التى نشبت بين بنى عبس و بنى ذبيان من قبائل العرب و دامت مدّة تعددت فيها القتلى من الفريقين. حتى اخذ العقّال، ومنهم هرم بن سنان و الحارث بن عوف، بالسعى فى عقد الصلح وحقن الدماء، وقد وقف زهير معلّقته التى مطلعها.

---

(١) مكبّل بالحديد: مقيّد به.

(٢) تسلّت: تكشفت. عمايات: ضلالات. مُنسلى: من سلا (عن الشئ) يسلو، اذا نسيه وذهل عن ذكره يقول بطلت ضلالات الرجال بعد عشقهم ولكن فؤادى لا ينسى هواك.

أَمِن أُمّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّم بحَوْمانَةِ الدَّرّاجِ فالْمُتَثَلَّمِ (١)

على مدح هذين السيّدين وبعد أن تبسّط فيهما في وصف الحرب ونتائجها المذمومة انتهى بهذه الحكم المشهورة التي جرت مجرى الامثال :

سَئمتُ تكاليفَ الحياة ؛ ومن يَعِش
ثمانين حولاً ، لاأبالك ! يَسأمِ (٢)

وأعلَمُ ما في اليوم والأمسِ قبلَهُ
ولكنَّني عن علم ما في غَدٍ عَمِي ! (٣)

رأيتُ المَنايا خَبْطَ عَشواءَ من تُصِب
تُمِتهُ ، ومن تُخطئ يُعمَّر فيهرَمِ (٤)

ومَن لايُصانِع في أمورٍ كثيرةٍ
يُضَرَّس بأنيابٍ ، ويوطَأْ بِمَنسِمِ (٥)

(١) تكلَّم اى تتكلَّم . أمْ اوفى : اسم امرأة وهي على ما قيل زوجته التى كان قد طلّقها ثم ندم .

الدمنة : اثر الدار . حومانة الدّراج : ماء بنجد على طريق البصرة الى مكة . والمتثلّم موضع قريب منه .

(٢) سَئِمت : اى مَلِلْتَ . لاأبالك: كلمة جافية كأنه يلوم بها نفسه ويراد بها هنا التنبيه والاعلام .

(٣) العمى : الجاهل .

(٤) المنايا جمع المنية : الموت . الخبط : الضرب باليد . والعشواء مونث الاعشى: وهي التي لاتبصر بالليل، يريد بها الناقة . يقال تخبط خبط عشواء اى تسير على غير هدى.

(٥) يُصانِع : اى يدارى و يجامل . يُضرَّس : يعضّ بالضرس . المَنْسِم خُف الجمل.

يريد انه من لايدار الناس اذلّوه و وطئوه باقدامهم .

و مَن يَجعلِ المعروفَ من دونِ عرضه
يَفِرْهُ؛ و من لا يَتَّقِ الشَّتمَ يُشتَمِ (١)

و مَن يَكُ ذافضلٍ ، فَيَبْخَل بفضلِه
على قـومـه يُستغنَ عنهُ و يُذمَمِ

و مَن يُوفِ لا يُذمَم ، و من يُهْدَ قلبُهُ
الى مُطمئنِ البـرِّ لا يتجمجـمِ (٢)

و مَن هـابَ أسبابَ المنايا يَنَلنَهُ
و إن يَرقَ أسبابَ السماء بسُلَّمِ (٣)

و مَن يَجعلِ المعـروفَ في غيرِ أهله
يكُن حمدُهُ ذمّاً عليه و يَندَمِ (٤)

و مَن يَعصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنّهُ
يُطيعُ العوالي رُكِّبَت كلَّ لَهذَمِ (٥)

---

(١) يَفِرْه : اى يُكثِّره،من وَفَر بمعنى كَثُر . يريد من جعل احسانه وقاية لشرفه و و عرضه حفظ شرفه من ان يمسّ .

(٢) يوفى: بمعنى: يفى. المطمئن: الثابت. لايتجمجم: لايتردّد . والمعنى: من و في بعهده امن من ذم الناس اياه و من هداه الله الى حالة يطمئن اليها قلبه لايتردد فى المضاء فيها .

(٣) هاب : خاف . اسباب المنايا : وسايل الموت كالحروب وماشاكل .
اسباب السماء : الحِبال .

(٤) من يُحسن الى من لا يستحق الاحسان ينال الذم عوض الحمد ويندم على عمله .

(٥) الزِجاج بكسر الزاء جمع الزُّج بضّمها : وهو الحديدة التى فى اسفل الرُّمح .
العوالى جمع عالية : طـرف الرُمح الاعلى . اللَّهذم : السنان الطويل . ـ كان من عادة العرب ، اذا التقى الفريقان ، ان يديروا زِجاج الرماح . ثم يسعى الساعون بالصلح ، فان نجحوا كان خيراً ، والاّ قلبوا رماحهم واقتتلوا بالاسنّة . فيكون المعنى : من ابى الصلح ذلّلته الحرب .

وَمَن لا يَذُدْ عن حَوضِهِ بِسلاحِهِ
يُهَدَّمْ وَمَن لا يَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ (١)

وَمن يَغترِبْ يَحسبْ عَدواً صديقَه
وَمَن لا يُكرِّمْ نفسَهُ لا يُكرَّمِ (٢)

وَمَهما تَكُن عندَ امرئٍ من خَليقةٍ
وإن خالَها تَخفى على الناسِ، تُعلَمِ

وكأيِّن تَرى مِن صامتٍ لكَ مُعجِبٍ
زيادتُه او نقصُهُ في التَكلُّمِ (٣)

لِسانُ الفتى نِصفٌ، و نِصفٌ فؤادُه
فلم يَبقَ الّا صورةُ اللَّحمِ والدَّمِ

وإنَّ سَفاهَ الشيخِ لا حِلمَ بعدَهُ　　وإنَّ الفتى، بعدَ السفاهة، يَحلُمِ (٤)

سأَلنا فأَعطيتُم، وعُدنا فعُدتُم،　　ومَن أكثرَ التَسْآلَ يوماً سَيُحرَمِ (٥)

---

(١) لم يَذُد : لم يدافع. الحوض : يريد به كل ما يخصّ الانسان من مال وحريم وما شاكل .

(٢) من ينزح عن وطنه يحسب عدواً صديقه لانه لم يجرّبه .

(٣) كَأَيِّن : بمعنى كم و اصلها كأيّ . اى : كم من صامت يعجبك صمته ولا يظهر زيادته او نقصه الّا عند تكلّمه .

(٤) السَّفاه والسَّفه : الجهل ، عدم الحلم .

(٥) التَسْآل : السؤال ، الاستعطاء .

النابغة الذبيانى

و نخبة من اعتذارياته

و هو زياد بن معاوية الملكنّى بأبى أُمامة و الملقّب بالنابغة . و قد ذكروا فى تلقيبه بالنابغة اسباباً أحدها أنّه نبغ بالشعر دفعة واحدة و هو كبير . احد فحول الشعراء الجاهليين و قد عدّه الرواة من الطبقة الاولى . و لا نعرف عن تاريخ حياته الا قليلاً . انقطع الى مناذرة العراق ، ثم الى غساسنة الشام، وأشهر ممدوحيه النعمان بن المنذر ملك الحيرة الذى حكم من نحوسنة ٥٨٠ الى ٦٠٢ م. و قد مدحه النابغة بقصائد كثيرة و اتخذه النعمان نديماً له . ثم انقلب النعمان عليه حيناً لوشاية بعض اعدائه به وهمّ بقتله فهرب النابغة الى الشام وشخص الى ملوك غسان أعداء ملوك الحيرة فرحّب به عمر بن الحارث و مدحه النابغة بقصائد رائعة منها بائيّته الشهيرة التى مطلعها :

كِليني لِـهَمٍّ يـا أُمَيْمَةَ نـاصِبِ

وَلَـيْلٍ أُقاسيهِ بَطيـىءِ الكَواكِبِ (١)

و فى سنة (٦٠٠ م) ترك الغسانيين و اتجه نحو الحيرة فاخذ يبرّر نفسه عند النعمان و يعتذر اليه بتلك الاعتذاريات الرائعة التى تعدّ من عيون اشعار النابغة، فرضى عنه النعمان على اثر ذلك و لكن الحظّ لم يساعده على ان تطول اقامته فى الحيرة

(١) كلينى : اى اتركينى . ناصب : اى ذو نصب ، متْعِب

فان كسرى لم يلبث ان نقم على عميله النعمان فاقتيد الى المدائن حيث قتل تحت ارجل الفيلة ، حسب الراوية المشهورة ، نحو السنة ٦٠٢. و للنابغة ديوان مطبوع نشره المستشرق ديرنبورغ Derenbourg سنة ١٨٦٨ مع شرح الأعلم الشنتمرى وترجمة كاملة الى الفرنسوية مع مقدمة واسعة فى حياة الشاعر. و نشر ايضاً فى كتاب (شعراء النصرانية) للأب شيخو اخبار النابغة مع ديوانه و شروحه و كل ما اضيف اليه .

و قد اشتهر النابغة كما قلنا بقصائده التي يعتذر فيها للنعمان و اشهر اعتذارياته تلك الدالية التى يعدّها من المعلقات من يجعلون هذه القصائد عشراً . و اليك ابياتاً منها :

يا دارَ ميَّةَ بالعَلْياء ، فالسَّنَدِ ،
أقْوَتْ ، و طالَ علَيها سالِفُ الأبَدِ (١)

* * *

فلا ، لعَمْرُ الذي مَسَّحْتُ كَعبَتَهُ
و ما هُريقَ على الأنْصابِ من جَسَدِ (٢)
والمُؤمنِ العائذاتِ الطَّيرَ ، تَمْسَحُها
رُكبانُ مَكَّةَ ، بينَ الغَيْلِ والسَّعَدِ (٣)

(١) ميَّة : اسم فتاة الشاعر التى يشبّب بها . العلياء: المرتفع من الارض . والسَّنَد: اول ارتفاع الجبل . و لعل الشاعر اراد موضعين بعينهما . اقوت : اى نزل فى (قواء) و هو القفر من الارض اراد أنها خلت من ساكنيها . السالف : الماضى . الأبد : الدهر .

(٢) الأنصاب : حجارة كانت تنصب فى الجاهلية و تذبح عليها الذبائح . الجسد : الدم . يبتدئ الشاعر بهذا البيت بتبرير نفسه فيحلف برب الكعبة التى مسحها و بدم القرابين التى ذُبحت على الانصاب .

(٣) المؤمن : اراد به الله اسم الفاعل من آمن بمعنى أمَّن . و عائذات الطير : التى التجأت الى الحرم فأمنت . تمسحها : تزورها . الغيل والسعد: أجمتان بين مكّة و منى.

ما قُلتُ من سَيّئٍ مِمّا أُتيتَ به
إذاً ، فلا رفَعَتْ سَوْطي إليَّ يدي [١]

اذاً فعاقبني رَبّي مُعاقَبَةً
قَرَّتْ بها عينُ مَنْ يأتيكَ بالفَنَدِ [٢]

هذا ، لأَبرأَ مِن قولٍ قُذِفتُ بِهِ
طارتْ نوافِذُهُ حَرّاً على كَبِدي [٣]

أُنبِئتُ أنَّ أبا قابوسَ أوعَدَني ،
ولا قَرارَ على زأرٍ مِنَ الأسدِ [٤]

مَهلاً ! فداءٌ لكَ الأقوامُ كُلُّهُمُ ،
وما أُثَمِّرُ مِن مالٍ ومِن وَلَدِ

لا تَقذِفَنّي بِرُكنٍ لا كِفاءَ لَهُ
وإن تأثّفكَ الأعداءُ بالرِّفَدِ [٥]

---

(١) اى ما قلت شيئاً مما اتاك الواشون به . و ان كنت كاذباً شلّ الله يدى حتى لا استطيع رفع سوطى بها .

(٢) الفَنَد : الكذب والخطأ .

(٣) نوافذ : جمع نافذة . اراد حدّة الأقوال التى قُذف بها و شدة تأثير ها .

(٤) ابو قابوس : كنية النعمان. الزّأر صوت الأسد .

(٥) الرّكن : الامرالعظيم، ومرادالشاعر هنا سخطالنعمان . تأثّفك الاعداء : اى اجتمعوا حولك و احاطوك .الرفد : المعاونة . يقول الشاعر لاترمينّى بغضبكالذى لانظير له ولا تسمعللو شاة الذين احاطوك ويعاونون بعضهم بعضاً .

فما الفُراتُ ـ اذا هَبَّ الرياحُ لَهُ

تَرمِي أَواذِيُّه العِبرَينِ بالزَبَدِ [١]

يَمُدُّه كُلُّ وادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ

فيه رُكامٌ من اليَنْبوتِ والخَضَدِ [٢]

يَظَلُّ مِن خَوْفِه المَلَّاحُ مُعتَصِماً

بالخَيْزُرانَةِ ، بَعدَ الأَيْنِ والنَجَدِ ، [٣]

يَوْماً ـ بأَجودَ مِنهُ سَيبَ نافِلَةٍ

ولا يَحولُ عَطاءُ اليَومِ دونَ غَدِ [٤]

وفى المعنى نفسه

أَتاني أَبيتَ اللَّعْنَ ، أَنَّكَ لُمتَني

و تِلكَ الَّتي أَهتَمُّ مِنها و أَنْصَبُ [٥]

(١) أواذيّ :جمع آذى و هو الموج . العبران : الضفّتان .

(٢) يمدّه : يزيد فيه بانصباب مائه . المترَع : الممتلئ . اللَّجِب : ذو اللَّجَب و هو هياج البحر و اضطراب امواجه . الرُكام: الحطام المتكاثف المجتمع بعضه فوق بعض . الينبوت : شجر الخشخاش . الخضِد : الشجر المتكسّر .

(٣)الخيزرانة : السكّان، ذنب السفينة . الأين : العياء ، التعب . النَجَد : الكرب والشدة .

(٤) السيب : العطاء . النافلة : الزيادة ، الفضل .

(٥) (ابيت اللّعن) جملة دعائية كانت تحية ملوك الحيرة اى أبيت ان تفعل شيئاً تلعَن به . أهتمّ : أغتمّ . أنصَب : أتعب .

فبتُّ كأنَّ العائداتِ فرشْنَني
هَراساً بِه يُعلَى فِراشي و يُقشَبُ (١)

حلفتُ فلم أترُكْ لِنفسِكَ رِيبةً
و ليس وراءَ اللهِ ، لِلمرءِ مَطلَبُ ! (٢)

لَئن كُنتَ قد بُلِّغتَ عنّي خِيانةً
لَمُبلِغُكَ ألواشي أغشُّ و أكذَبُ (٣)

و لكنّني كُنتُ امرءاً لِيَ جانِبٌ
مِن الأرضِ ، فيه مُستَرادٌ و مَذهَبُ (٤)

مُلوكٌ و إخوانٌ اذا ما أتيتُهُمْ
أحكَّمُ في أموالِهِمْ و أُقرَّبُ (٥)

---

(١) العائدات : جمع العائدة : المرأة التى تزور المريض . الهَراس : نبت كثير الشوك كانه حسك . يُقشَب : يخلط ويجدَّد .

(٢) الريبة : الشك : يقول انه ليس بعداليمين بالله مجال للشك فيما أقول .

(٣) الخيانة : الذنب. الواشى : النّمام . اغشّ : اسم التفضيل من الغِشّ وهو الخيانة والخدعة .

(٤) مستراد : مصدر ميمى من استراد ، اى اقبال و ادبار ، او اسم المكان بمعنى الموضع الذى يتردد فيه لطلب الرزق .

(٥) ملوك و اخوان : بيان «مستراد» فى البيت السابق اراد الغسانيين الذين مدحهم لاكرامهم إيّاه .

كَفِعلكَ في قومٍ أراكَ اصطنعتَهم
فلم ترَهم، في شكر ذلك أذنبوا (١)

فلا تتركنّي بالوعيد، كأنني
إلى الناسِ مَطليٌّ به القارُ، أجربُ (٢)

ألم ترَ أنّ الله أعطاكَ سورةً
ترى كلَّ ملكٍ دونها يتذبذبُ (٣)

فإنكَ شمسٌ، والملوكُ كواكبُ
إذا طلعتْ، لم يبدُ منهنّ كوكبُ

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمّه
على شعثٍ. أيّ الرجالِ المهذّبُ (٤)

فإنْ أكُ مظلوماً، فعبدٌ ظلمتَهُ
وإن تكُ ذا عتبى فمثلُكَ يعتبُ (٥)

---

(١) اى:ان مدحتهم شكراً لهم فليس ذلك ذنباً عليّ، كمافعلت انت في من اصطفيتهم من الناس،فاذا مدحوك شكراً لك فلا ذنب عليهم .

(٢) اى لا تتركنّي تحت غضبك فيتجنّبنى الناس كما يتجنّبون البعير الأجرب المطليّ بالقطران .

(٣) السورة : المنزلة الرفيعة والشرف . يتذبذب : يضطرب .

(٤) تلمّه : تجمعه و تصلحه : الشعث : الفساد و التفرق . أىّ الرجال المهذَب : استفهام انكارى ، اى لاتجد رجلاً لايحتاج الى اصلاح وتقويم . أراد ، انك لا تستبقي صديقاً لك من لم تصلحه من الناس و تقوّم اخلاقه .

(٥) العُتبى : الرضى ، اى ان تغفرلى فانك حقيق بذلك .

الأعشى

و امثلة من مدائحه

هو ابو بصير ميمـون بن قيس ، سُمّى الاعشى لضعف فى بصره و اشتهر بصَنّاجة العرب لماكان لشعره من وقع بليغ فى الأسماع و اثر بعيد فى البلاد . او لأنّه اوّل من ذكر الصَنج فى شعره (١) وقال :

و مستجيب لصوت الصنج تسمعُه   اذا تُرجّع فيه القينةُ الفُضُل

نشأفى قرية من اليمامة تُسمّى منفوحة و عاش فى اواخر العهد الجاهلى و اوائل الاسلامى و قد نقل عنه قصيدة يمدح بهاالنبى .

قيل انه لما عظم امر النبى (ص) انشد اعشى هذه القصيدة و قصده بالحجاز فلقيه كفار قريش فأعطوه مائة ناقة على ان يرجع الى بلده ففعل،فلما كان فى بعض الطريق سقط عن ناقته و مات . الاّ ان بعض المحققين من المعاصرين يشكّون فى صحة الحادثة ويرجّحون نسبتها الى مشايخ بكر (٢)

و هو اول من صرّح فى شعره بالسؤال ، طاف بالبلاد و اكتسب بشعره . والشعراء قبله يمدحون و لايسألون . وكان ينتاب ملوك نجران و اساقفتها و ملوك الحيرة، و قصدبلاط كسرى و مدحه بقصيدة عربيّة لم يرُقْه لسوء ترجمته له و هومع ذلك أجزل عطاءه ، وكان تطوافه سببا فى كثرة معارفه وسعة . ثقافته وقد ادخل فى شعره ألفاظاً فارسية استفادها من رحلته الى الحيرة و ايران و هو مشهور بوصف

---

(١) ـ ذكر ذلك ابن قتيبة فى كتاب « الشعر و الشعراء » ١٣٦

(٢) Caetani ‹ Annali dell Islam ‹ 1 ‹ 302

والبستانى ، الروائع ج ٣١ ، ص ١٥

الخمر وقليلة قصائده التى لايذكر فيها الخمرة اومجلس الشرب. وفى اشعاره الخمرية جرثومة حيّة لفن تمّ فى شعر أبى نواس و مَن اليه. و كان له نفوذ كبير بين القبائل، ذكروا انه مرّ على رجل خامل الذكر يسمّى مُحلّق فأكرم و فادة الأعشى وشكا له حاله و عدم اقبال العرب على زواج بناته لخمول ابيهن و قدكان أبا ثمانى بنات. فانشد أعشى قصيدته الشهيرة فى وصف المحلّق و نوّه بذكره فى عكاظ فلم يمض عليه حولٌ حتى زوّجت كل بناته.

يعدّ الاعشى رابعاً لثلاثة الفحول : امرئ القيس، والنابغة، وزهير. وعدّوه من اصحاب المعلّقات أمّا معلّقته فبعضهم يقول هى التى مطلعها :

وَدِّع هُرَيْرَةَ انّ الركب مرتحل   و هل تطيق وداعاً ايها الرجل (١)

و بعضهم يقول بل هى التى مطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلال   و سؤالى وما تردّ سؤالى (٢)

وللاعشى ديوان كبير اكثره فى المدح وقدنشر رودلف گيير (R . Geyer) فى سنة ١٩٢٨ كتاباً نفيسا فى الأعشى وشعره سمّاه «الصبح المنير فى شعر ابى بصير» طبع فى فينا فى مجموعة گيب (E. J. W. Gibb memorial ، New Series VI)

---

(١) وقدنشرها سلفستردى ساسى Silvestre de sacy فى باريس سنة ١٨٢٦ فى مجموعة Chrestomathie Arabe و ترجمها الى الفرنسوية. ونشرها احمدشاه رضوانى مع لامية الشنفرى فى كتاب طبع فى امرت سر سنة ١٨٨٨ بعنوان: شرح قصيدة شلشليّة اعشى اسدى المعروف بشلشل الملقب بصنّاجة العرب مع شرح قصيدة الشنفرى المشهورة بلامية العرب فى الفارسية والعربية معاً.

(٢) وقد نشر هامع اللامية الاولى رودلف گيير R . Geyer فى ليبسيك سنة ١٨٧٥

من قصيدته في مدح النبيّ (ص)

أَلَم تَغتَمِض عيناكَ لَيلَةَ أَرمَدا　　و عادَكَ ما عادَ السَّليمِ المُسَهَّدا (١)
و ما ذاكَ مِن عِشقِ النِساءِ و إِنَّما　　تَناسَيتُ قبلَ اليَومِ خُلَّةَ مَهْدَدا (٢)
ولكِنْ أرى الدَّهرَ الذي هو خائِنٌ　　اذا أصلحَتْ كَفّايَ عادَ فأفسَدا (٣)
شَبابٌ و شَيبٌ وافتِقارٌ و ثَروَةٌ　　فلِلّهِ هذا الدَّهرِ كَيفَ تَردَّدا!
و ما زِلتُ أبغي المالَ مذ أنا يافِعٌ　　وَليداً و كَهْلاً حينَ شِبْتُ وأَمْرَدا (٤)
و أَبتَذِلُ العيسَ المَراقيلَ تَغتَلي　　مسافَةَ ما بَينَ النُجَيرِ و صَرْخَدا (٥)
ألا أيُّها ذا السائِلي أينَ يَمَّمَتْ　　فإنَّ لَها في أهلِ يَثرِبَ مَوعِدا (٦)

(١) الأرمد : المصاب بالرمد . عاد : زار وانتاب . السليم : الذى لدغته الأفعى. المُسَهَّد : مَن أرق و قلّ نومه مِن ألم اومن عشق .

(٢) و (٣) مهدد : اسم فتاته . و الخلة : الصداقة والحب. يقول فى هذين البيتين إن ما اصابنى من الأرق لم يكن من الحب فقد تناسيته بل عن فساد الدهر الذى يفسد كلّما أصلحه .

(٤) اليافع : غلام ترعرع و ناهز البلوغ . الوليد : الصبىّ. الكَهل : من كان بين الثلاثين و الخمسين تقريباً . شبتُ : من شاب يَشيبُ اى ابيضّ شعرى . الأمرد : الشاب طرّ شاربه و لم تنبت لحيته .

(٥) العيس : الناقة . المراقيل: جمع المِرقال وهو المُسرع . تغتلى : تسرع . النُّجير و صرخد موضعان .

(٦) يمّمت : قصدت . يثرب : مدينة الرسول.

فآليتُ لا أرثي لها من كلالةٍ ... و لا من حفىً حتى تزور محمداً (١)

نبيٌّ يرى ما لاترونَ و ذِكرُه ... أغارَ لعمري في البلادِ و أنجدا (٢)

متى ما تُناخي عندَ بابِ ابنِ هاشمٍ ... تُراحي و تَلقَى من فواضِلهِ يدا (٣)

له صَدقاتٌ ما تَغِبُّ و نائلٌ ... و ليس عطاءُ اليومِ يمنعُهُ غدا (٤)

إذا أنتَ لم ترحَل بزادٍ من التُّقَى ... ولاقيتَ بعدَ الموتِ مَن قد تزوَّدَا

ندِمتَ على أن لاتكونَ كمِثلِه ... فترصدَ للأمرِ الذي كان أرصدا. (٥)

و من قصيدته فى مدح المُحلّق

أرِقتُ و ما هذا السُّهادُ المُورِّقُ

و ما بيَ مِنْ سُقمٍ و ما بيَ مَعشَقُ (٦)

(١) آليت : اقسمت . لا أرثي لها : لا أرقّ لها و لا أرحمها ، و الضمير للناقة. كلالة : التعب . حفـىً من حَفِيَ يحفى : اى رقّت قدمه من كثرة المشى .

(٢) أغـار : هبط الغور و هـو المكان المنخفض . انجد : رقـى النجد و هو ما ارتفع من الارض . يريد ان ذكره عمّ البلاد .

(٣) تناخي : من اناخَ الجملَ اذا أبرَكه . اليد : النعمة .

(٤) ما تغِبّ : اى ما تنقطع . من غبّ يغِبُّ اذا اتى يـومـاً و انقطع يـومـاً . النائل :العطاء .

(٥) ارصد للأمر : اعدّه .

(٦) السُّهاد والأرَق : قلّة النوم .

وَ لٰكِنْ أَرانيَ لا أَزالُ بِحادِثٍ
أُغادي بِما لَمْ يُمْسِ عِندي وَ أُطْرَقُ

فَإِنْ يُمْسِ عِندي الشَيْبُ وَالهَمُّ وَالعَشى
فَقَد بِنَّ مِنّي ، وَ السِلامُ تُفَلَّقُ (١)

بِأَشْجَعَ أَخّاذٍ عَلى الدَهْرِ حُكْمَهُ
فَمِن أَيِّ ما تَجني الحَوادِثُ أُفْرَقُ (٢)

فَما أَنتَ إِن دامَت عَلَيكَ ، بِخالِدٍ
كَما لَمْ يُخَلَّدْ قَبْلُ ساسا وَ مَوْرَقُ (٣)

وَ كِسرى شَهِنشاهُ الَّذي سارَ مُلكُهُ
لَهُ ما اشتَهى راحٌ عَتيقٌ وَ زَنْبَقُ (٤)

لَعَمري لَقَد لاحَتْ عُيونٌ كَثيرَةٌ
إِلى ضَوْءِ نارٍ في يَفاعٍ تُحَرَّقُ (٥)

تُشَبُّ لِمَقْرورَيْنِ يَصْطَلِيانِها
وَ باتَ عَلى النارِ النَدى وَ المُحَلَّقُ (٦)

---

(١) العَشى : سوء البصر بالليل والنهار او بالليل فقط. بِنَّ من بان : اى ذهب و فارق . السِّلام : الحجارة الدقيقة الاطراف . تفلّق : تنشق .
(٢) الأشجع : الجسيم و باشجع متعلق بِنَّ . افرقُ : أخاف .
(٣) ساسا : مخفف ساسان ، وهو جدّ الأكاسرة . مورق من ملوك الروم .
(٤) الراح : الخمر
(٥) اليفاع : المرتفع من الارض .
(٦) المقرور : من اصابه البرد . يصطليانها : يستدفئان بها .

رضيعَىْ لِبان ثَدْيِ أمٍّ تحالَفا
بأسحَمِ داجٍ : عَوْضَ لا نتفرَّقُ[١]

يَداكَ يَدا صِدْقٍ : فَكَفٌّ مُفيدةٌ
وكَفٌّ اذا ما ضُنَّ بالزادِ ، تُنْفِقُ[٢]

تَرى الجودَ يَجْري ظاهِراً فَوْقَ وَجْهِهِ
كَما زانَ مَتْنَ الهِنْدُوانِيِّ رَوْنَقُ[٣]

---

(١) اللبان : الرضاع . الأسحم والداجى كلاهما بمعنى السواد والمراد هنا الليل .
عوض : ابداً ، ظرف لاستغراق المستقبل .
(٢) ضُنَّ بالشيئ : بخل به .
(٣) الهندوانى : نسبة الى الهند و هنا وصف للسيف والموصوف محذوف .

لاميَّة العرب

للشَّنْفَرَى

اختلف الرواة فى اسم الشاعر و نشأته بل و فى معنى لفظ « الشنفرَى » . قيل معناه عظيم الشفة ، و هو لقب الشاعر و اسمه ثابت بن جابر ، وقيل غير ذلك . و لاتنقل الروايات تاريخ حياته بالضبط ولكن يستفاد من بعضها انّه عاش قبيل الاسلام و لم يدرك النبى . و يعدّ الشنفرى من الشعراء الصعاليك وهم طائفة من المتلصّصين كانت طرق معيشتهم منحصرة بالسلب والنهب والغارات ليلاً بخفّة و رشاقة و خلّدوا اعمالهم هذه فى اشعار خشنة دقيقة التعبير . و هو من اشهر عدائّى العرب حتى سار به المثل و قيل « أعْدَى من الشنفرى »

و له اشعار متفرقة فى الاغانى و المفضليّات و الحماسة ، على ان اشهر آثاره هو لاميّة العرب وهى قصيدة ذات ٦٨ بيتا ، يصف فيها حاله و صفاته وصبره على الجوع و الحرّ و البرد و بطشه ليلاً على قوم مطمئنّين و فتكه ببعضهم و نهبه أموالهم و عوده بسرعة و خفّة و سيره فى القفر و وصف الوعول و الذئاب و ما الى ذلك من الموضوعات الجافّة التى يمثّل حياة الشاعر الخشنة أحسن تمثيل . وقد شكّ بعضهم فى صحّة نسبتها الى الشنفرى و رأى من المرجّح نسبتها الى شعراء صدر الاسلام ، على ان فى القصيدة من الخشونة و دقّة التصوير و التتبّع للحقيقة الوضعية ما يجعله انموذجاً صادقاً للشعر الجاهلى و ان كانت منتحلة . ونالت القصيدة شهرة واسعة و رَوَوْا حديثاً عن النبى (ص) يقول : « علّموا اولادكم لاميّة العرب ، فانّها

تعلّمهم مكارم الاخلاق » و قد يميل القارئ الى الشك فى صحة هذا الحديث لما يرى فى القصيدة من مواقف يشرح فيها الشاعر بطشه و نهبه و قتله الابرياء مالا يلائم و مكارم الأخلاق . وقد اهتمّ بشرحها كثير من العلماء اشهرها الشرح المطوّل للزمخشرى الذى أسماه « أعجب العجب فى شرح لاميّة العرب» و ترجمها المستشرق سلفستردى ساسى (S. de Sacy) الى الفرنساوية و طبعها مع تعليقات عليها و شروح كما ترجمها المستشرق ريس (Reuss) الى الالمانية والمستشرق ردهوس (Redhouse) الى الانكليزية .

و اليك نخبة من ابيات القصيدة :

أَقيموا ، بَني أمـّـي ، صُدورَ مَطِيّكُمْ
فَإِنّي إلى قَومٍ سواكم ، لَأَمْيَلُ [1]

ولي ، دونَكُم ، أَهلون : سِيدٌ عَمَلَّسٌ
و أرقَطُ زُهْلولٌ ، و عَرْفاءُ جَيْأَلُ ، [2]

هُمُ ٱلأَهلُ . لا مُستَودَعُ السِرِّ ذائعٌ
لَدَيهِمْ ، ولا الجاني ، بما جَرَّ يُخذَلُ [3]

---

(١) اقيمو صدورَ مطيّكم : اى استعدّوا للرحيل . أمْيَل : اسم تفضيل من مال ، اىانى اطلب صحبة غيركم .

(٢) يعدّد الشاعر فى هذا البيت صواحبه دون قومه . السيد : الذئب . العملّس : القويّ على السير . الأرقط : النمر . الزهْلول : الأمْلس . جَيْأل : عَلمٌ للضَبُع . عَرْفاء ذات العَرْف و هو شعر العنق .

(٣) ذائع : منتشر . المخذول : الذى لا يعان و لا ينْصر .

وكلُّ أَبِيٌّ باسِلٌ . غير أنني
إذا عَرَضَتْ أُولى الطرائدِ ، أبسَلُ [١]

***

و يصف صبره على الجوع بمايلى :

أُديمُ مِطالَ الجُوعِ حتى أُميتَهُ
و أَضرِبُ عَنهُ الذِّكرَ صفحاً ، فأُذهِلُ [٢]
وأَسْتَفُّ تُربَ الأرضِ كي لا يرَى لَهُ
عليَّ ، مِنَ الطَّوْلِ ، امرؤٌ مُتطوِّلُ [٣]
ولولا اجتنابُ الذَّأْمِ ، لم يُلفَ مَشربٌ
يُعاشُ بِه ، إلاّ لَدَيَّ و مأكَلُ [٤]
و لكنَّ نَفساً مُرَّةً لا تُقيمُ بي
على الضَّيْمِ إلاّ رَيْثَما أَتَحوَّلُ [٥]

***

---

(١) ابىّ : ممتنع من الظلم. الطرائد : جمع الطريدة و هى ما طردت من صيد و غيره، والمراد هنا الفرسان. يقول: اذا عرض من يطرد كان منا اومن غيرنا كنت اشدّ بسالةً .

(٢) مِطال : من المماطلة وهى امتداد المُدّة. يُقال ضرب عنه صفحاً اذا أعرض عنه .

(٣) استفّ الدواء : اخذه غير ملتوت . التُّرب : التراب . الطَّوْل : الفضل ، المنّة. اى آكُل التراب خيفة أن يمنّ علىّ انسان .

(٤) الذَّأْم : العيب ، الذّم .

(٥) الضَّيم : الظلم . الريث: مقدار المهلة من الزمن ، ريثما : اى قدرما .

و فى وصف بطشه فى الليلة الباردة يقول :

وَ لَيْلَةِ نَحْسٍ ، يَصطَلِي الْقَوْسَ رَبُّها
و أَقْطُعَهُ اللَاتي بهـا يَتَنَبَّلُ (١)

دَعستُ عَلى غَطْشٍ و بَغْشٍ و صُحْبَتي
سُعارٌ ، و إرْزيزٌ ، و وَجْرٌ و أفْكَلُ (٢)

فأيَّمْتُ نِسواناً و أيتمتُ ولدةً ،
و عُدْتُ كما أَبْدَأْتُ و الليلُ أَلْيَلُ (٣)

و أَصبحَ عَنّي بالغُمَيصاءِ ، جالِساً
فريقان : مَسْؤُلٌ ، و آخَرُ يَسْأَلُ (٤)

فَقالوا : لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلابُنا
فَقُلْنا أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلٌ (٥)

---

(١) ليلة نحس : اراد بها الليلة المظلمة الباردة . اصطلى بالنار : استد فأبها . الاقطُع جمع قِطع و هو نصل قصير عريض . تنبّله : اتخذه نبلًا و اختاره لرميه .

(٢) دعست : وطئت، سريت . الغطش : الظلمة . البغش : المطر الخفيف . السعار: شدة الجوع وتوهّج العطش . ارزيز : بَرَد صغير شبيه بالثلج . الوَجر : الخوف . الافكَل: الرعد .

(٣) أيّمت نسواناً : اى قتلت ازواجهن فتركتهن بلا ازواج . الأيْم : من لازوج له من الرجال والنساء . الليل الأليل : الشديد الظلام .

(٤) الغميصاء : محل قرب مكة .

(٥) هرّت الكلاب : نبحت وصاحت . عسّ : طاف و دار . الفرعل : ولدالضبُع .

فَلَمْ تَكُ إلا نَبْأَةٌ ثُمّ هَـوَّمَتْ ،

فقُلنا : قَطاةٌ ريعَ أم ريعَ أجْدَلُ [١]

فإن يَكُ مِن جِنٍّ لَأَبْرَحَ طارِقاً

و إن يكُ إنساً ، ماكها الإنسُ يَفْعَلُ [٢]

* * *

و فى جلده فى شدة الحرّ و وصف شعره يقول

و يَوْمٍ مِن الشِّعْرَى يذوبُ لُعابُهُ

أفاعيهِ ، في رَمْضائِهِ ، تَتَمَلْمَلُ [٣]

نَصَبْتُ له وَجْهي ، و لا كِنَّ دونَهُ

و لا سِتْرَ ، إلاّ الأَتْحَمِيُّ المُرَعْبَلُ [٤]

---

(١) النبأة : الصوت . هوّمت : نامت ؛ من الهَوْم و هو النوم الخفيف . ريع : أفزع . الأجدل: الصقر .

(٢) أبرح : اتى بالبَرَح، اى الأمر المدهش المعجب .

(٣) الشِعْرَى : كوكب يظهر عند شدة الحرّ . اللعاب: هو ما تراه وقت الظهيرة من شدة الحرّ مثل نسج العنكبوت كانه ينحدر من السماء . الرمضاء : شدة وقع الشمس على الرمل و غيره . التململ : التحرك على الفراش اذا لم تستقر عليه من الوجع .

(٤) نصبت له وجهى : اى اقمتُ . الكِنّ : الستر . الأتحمى : نوع من الاثواب . المُرَعبَل : الممزق .

وَضافٍ اذا هَبَّت لَهُ الرّيحُ ، طَيَّرَتْ
لَـبائِدَ عَن أعطافِهِ ، مـا تُرَجَّلُ (١)

بَعيدٍ بمَسِّ الدُّهنِ و الفَلْيِ عَهْدُه ،
لَهُ عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغَسْلِ مُحْوَلُ (٢)

---

(١) ضافٍ : طويل . نعت لمحذوف اى شَعر طويل . لبائد : جمع لبيدة و هى ما تلبَّد من الشَّعر، اى لصق بعضه ببعض حتى صار كاللبَد . الاعطاف : الجوانب . رجّل الشعر: سرحه و مشّطه .

(٢) فَلّى رأسَه اوثوبه : نقّاهما من القمل . العَبَس : ما تعلّق باذناب الابل من ابعارها و ابوالها يجفّ عليها . محول : اى مر عليه الحول و هو السنة .

امثلة من الخُطب الجاهليّة

اكثم بن صيفى — قسّ بن ساعدة

الخطابة هى نوع من النثر، و ان كان لها صلةٌ وثيقة بالشعر، لاعتمادها على الخيال و لأن الغاية منها اثارة المشاعر و تهييج العاطفة. كان للخطابة وقع شديد فى نفوس العرب الآنَ تفوّق الجاهليين فى الشعر أكثر من تفوّقهم فى النثر. وأكثر ما نُقل فى كتب الأدب خُطب خطبوها، إمّا عند وفودهم على الملوك و الأمراء فى حاجاتهم؛ وامّا فى الحكم و المواعظ، وامّا فى المنافرات. ومن الامثلة على الأولى خطبة منسوبة الى أكثم بن صيفى قيل انه خطبها أمام كسرى حين اوفده النعمان بن المنذر ملك الحيرة الى بلاط ايران على رأس طائفة من فصحاء العرب كحاجب بن زرارة وحارث بن ظالم وعمرو بن الشريد وغيرهم من الخطباء. ذكروا أن اكثم بن صيفى كان من ابلغ حكماء العرب و اعرفها بأنسابها.

و اليك خطبته أمام كسرى:

إنَّ أفضَلَ الأشياء أعاليها، وأعلى الرِّجالِ مُلوكُها، وأفضَلَ المُلوكِ أعمُّها نَفعاً، وخَيرَ الأزمنةِ أخصَبُها، و أفضَلُ الخُطَباءِ أصدَقُها.

الصِّدقُ مَنجاةٌ، والكِذبُ مَهواةٌ،(١) والشَّرُّ لَجاجةٌ، والحَزمُ مَركَبٌ صَعبٌ، والعَجزُ مَركَبٌ وَطِىءٌ،(٢) آفةُ الرَّأيِ الهوى، وَالعَجزُ مِفتاحُ الفَقرِ،

(١) مهواة، مهلكة.
(٢) الوطِئ: السهل اللين.

وَ خَيْرُ الأُمورِ الصَّبرُ . حُسْنُ الظَّنِ وَرْطَةٌ ؛ (١) و سُوءُ الظَّنِ عِصْمَةٌ ؛ إِصْلاحُ فَسادِ الرَّعِيَّةِ خَيْرٌ مِن إصلاحِ فَساد الرَّاعي ؛ مَن فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ (٢) كانَ كالغاصِ بالماء .

شَرُّ البِلادِ بِلادٌ لا أميرَ بِها ، و شَرُّ المُلوكِ مَن خافَهُ البَري‌ءُ ، المَرْءُ يَعْجِزُ لا مَحالَةَ ، أفْضَلُ الأَوْلادِ البَرَرَةُ ، خَيْرُ الأَعوانِ مَنْ لمْ يُراءِ (٣) بالنَّصيحَةِ ، أحَقُّ الجُنودِ بالنَّصرِ مَن حَسُنَتْ سَرِيرَتُهُ ، (٤) يَكْفيكَ مِنَ الزّادِ ما بَلَّغَكَ المَحَلَ ، حَسْبُكَ مِنْ شَرٍ سَماعُه . الصَّمْتُ حُكْمٌ (٥) و قليلٌ فاعِلُه ، البَلاغَةُ الإيجازُ ، مَن شَدَّدَ نَفَّرَ ، و مَن تَراخَى تألَّف .

* * *

و من الخطب المشهورة المنقولة الينا عن العصر الجاهلى خطبة نسبت الى قس بن ساعدة الأيادى، وهو من اشهر خطباء الجاهلية وحكمائها، وقد ضرب به المثل فى البلاغة . ذكروا انه كان يدين بالتوحيد و يدعو العرب الى ترك عبادة الاصنام و يوصيهم بعبادة الله ، ومما ذكروا عنه انه اول من قال فى خطبه « اما بعد »، و اول من اتكأ على سيف او عصاً فى خطابته ، و اول من خطب على شَرَف .

قيل انه مات قبيل البعثة و قد سمعه النبى (ص) قبل البعثة يخطب فى عكاظ

(١) الورطة : الهلكة ، كل امر تعسر النجاة منه .

(٢) بِطانة الرجل : اهله و خاصّته .

(٣) راءَهُ مُراءَاةً : أراه خلاف ما هو عليه .

(٤) السريرة : النيّة .

(٥) الحُكْم : الحِكمة و منه قوله تعالى « و آتيناه الحُكم صبياً »

فعجب من حُسن كلامه و اثنى عليه .

و اليك ما نقل من خطبته فى سوق عكاظ .

أيُّها النّاسْ ! اسمَعوا وَ عوا ،

أنْظروا واذْكُروا

من عاشَ مات ومَن مات فات

و كلُّ ما هو آتٍ آت

ليلٌ داجٍ (١) و نهارٌ ساج (٢)

و سماءٌ ذات أبراج

ألا أنَّ أبلغَ العِظاتِ السَّيْرُ في الفَلواتِ (٣)

والنَّظَرُ إلى مَحلِ الأمْوات

إنَّ في السَّماء لَخَبراً و إنَّ في الأرْض لَعِبَراً

مالي أرى النّاسَ يَذْهَبون فلا يَرْجعون ؟

أرَضوا هُناكَ بالمقام فَأقاموا أم تُرِكوا فَناموا ؟

يامَعْشَرَ أياد !

أيْنَ الآباءُ وَ الأجدادُ؟ و أيْنَ المريضُ و العُوّاد ؟

وأيْنَ الفَراعِنةُ الشِّدّاد ؟

---

(١) الداجى : المظلم .

(٢) الساجى : الساكن اللّين .

(٣) الفلوات : جمع « الفلاة » : الصحراء الواسعة .

أَيْنَ مَنْ بَنَى وَشَيَّد ؟ وَ زَخْرَف وَ نَجَّد ؟ [1]

وَ غَرَّه المالُ وَ الْوَلَد؟

أَيْنَ من طَغَى [2] و بَغَى [3]؟ وَ جَمَع فأَوْعَى ؟ [4]

وقال: أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى؟

أَلَم يَكونوا أَكْثر مِنكُم أموالاً ؟ وَ أَطْوَل مِنكُم آجالاً ؟

في الذاهبينَ الاَوَّلين من القُرونِ لَنا بَصائِر

لَمَّا رَأَيتُ مَوارِداً لِلْمَوتِ لَيْسَ لَها مَصادِر

ورَأَيتُ قَوْمي نَحْوَها تَمضي الأَصاغِرُ والأَكابِر

لا يَرجِع الماضي اِلَيَّ ، و لامِنَ الباقينَ غابِر

اَيْقَنْتُ أَنّي، لامَحالَةَ ، حَيْثُ صارَ القَوْمُ صائِر .

---

(١) نجّد : زيّن .

(٢) طغَى : اسرف فى الظلم والمعاصى .

(٣) بغَى : عصى و ظلم .

(٤) اوعى : حفظ و جمع .

نظرية فى الادب الجاهلى (١)

« و اوّل شيئى أفجؤك به فى هذا الحديث هو اننى شككت فى قيمة الادب الجاهلى و ألححت فى الشك ، اوقل الحّ علىّ الشك . فأخذت ابحث و افكّر و اقرأ و اتدبّر ، حتى انتهى بى هذاكله الى شيئى الاّ يكن يقيناً فهوقريب من اليقين . ذلك ان الكثرة المطلقة مما نسمّيه ادباً جاهليا ليست من الجاهلية فى شيئى . و انما هى منتحلة بعد ظهور الاسلام . فهى اسلامية تمثّل حياة المسلمين و ميولهم و اهواء هم اكثر مما تمثّل حياة الجاهليين . و أكاد لا اشك فى أن ما بقى من الادب الجاهلى الصحيح قليل جداً لايمثّل شيئاً و لايدل علـى شيئى . و لا ينبغى الاعتمـاد عليه

(١) وهى نظرية الدكتورطه حسين ، بسطها وتوسع فى عرضها فى كتاب «الشعر الجاهلى» الذى ظهر سنة ١٩٣٦فى القاهرة والذى اضطر مؤلفه تحت الضغط السياسى أن يحذف منه فصلااعتبرت مطالبه ماسة ببعض العقائد الدينية ويثبت مكانه فصلا ويضيف اليه فصولا و يغير عنوانه بعض التغيير فيعيده مطبوعاً باسم « فى الادب الجاهلى » بعد سنة من ظهور الكتاب الاول .

و قد احدث الكتابان ضجة عظيمة فى الاوساط الدينية والادبية وظهرت فى نقدها و ردها كتب و رسائل ترتكز على النقد التحليلى الرصين حيناً و على التعصب العاطفى احياناً . ومن اشهرما صدر فى الموضوع : «النقد التحليلى لكتاب الادب الجاهلى» لمحمد احمد الغمراوى ، و كتاب « تحت راية القرآن » لمصطفى صادق الرافعى ، و كتاب «الشهاب الراصد » لمحمد مصطفى جمعه ، و كتا ب « نقد كتاب الشعر الجاهلى » لمحمد فريد وجدى .

وقد راينا ان ننقل هذه العبارة بنصها عن « الادب الجاهلى » ط ٢ . ص ٦٣–٦٥ لان فيها تتلخص تلك النظرية التى وضع الكتاب لايضاحها

فى استخراج الصورة الادبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلى . وانا أقدر النتائج الخطرة لهذه النظرية . و لكنى مع ذلك لا اتردّد فى اثباتها و اذاعتها . و لا اضعف عن ان اعلن اليك و الى غيرك من القرآء أنّ ما تقرؤه على انه شعر امرئ القيس او طرفة او ابن كلثوم او عنترة ليس من هؤلاء الناس فى شيئى . و انما هو انتحال الرواة او اختلاق الأعراب او صنعة النحاة او تكلف القصاص او اختراع المفسرين والمحدّثين والمتكلمين .

و أنا أزعم مع هذا كله ان العصر الجاهلى القريب من الاسلام لم يضع . و أنّا نستطيع ان نتصوّره تصوّراً واضحا قويا صحيحاً . ولكن بشرط الّا نعتمد على الشعر، بل على القرآن من ناحية ؛ والتاريخ والأساطير من ناحية أخرى .

و ستسألنى كيف انتهى بى البحث الى هذه النظرية الخطرة ؟ و لست أكره ان أجيبك على هذا السؤال بل أنا لا أكتب ما أكتب الا لأجيبك عليه . ولاجل أن أجيبك عليه اجابة مقنعة يجب ان أتحدث اليك فى طائفة مختلفة من المسائل و سترى أنّ هذه الطائفة المختلفة من المسائل تنتهى كلّها الى نتيجة واحدة هى هذه النظرية التى ذكرتها منذ حين . يجب أن أحدّثك عن الحياة السياسية الداخلية للأمّة العربية بعد ظهور الاسلام و وقوف حركة الفتح ، و مابين هذه الحياة و بين الأدب من صلة . و يجب أن احدّثك عن حال اولئك الناس الذين غُلبوا على امرهم بعد الفتح فى بلاد الفرس و فى الشام و الجزيرة و العراق ومصر، و ما بين هذه الحال و بين لغة العرب و آدابهم من صلة . ويجب ان احدّثك عن نشأة العلوم الدينية واللغوية و ما بينها و بين اللغة والادب من صلة . ثم يجب ان احدّثك عن اليهود فى بلاد العرب قبل الاسلام و بعده ، و ما بين اليهود هؤلاء و بين الادب العربى من صلة . و يجب أن احدّثك بعد هذا عن المسيحية و ما كان لها من الانتشار فى بلاد العرب قبل الاسلام و ما أحدثت من تأثير فى حياة العرب العقلية والاجتماعية

والاقتصادية والادبية ؛ وما بين هذا كله وبين الادب العربى والشعر العربى من صلة . ثم يجب ان احدثك عن مؤثرات سياسية خارجية عملت فى حياة العرب قبل الاسلام وكان لها اثر قوى جداً فى الادب العربى الجاهلى و فى الادب العربى الذى انتحل و اضيف الى الجاهليين . و هذه المباحث التى اشرت اليها ستنتهى كلها الى تلك النظرية التى قدمتها : و هى ان الكثرة المطلقة مما نسميه الادب الجاهلى ليست من الجاهلية فى شيئى .

و لكنى مع ذلك لن اقف عند هذه المباحث : لأنى لم اقف عندها فيما بينى و بين نفسى بل جاوزتها و أريد أن أجاوزها معك الى نحو آخر من البحث اظنه اقوى دلالة وأنهض حجة من المباحث الماضية كلها . ذلك هوا البحث الفنى و اللغوى . فسينتهى بنا هذا البحث الى ان هذا الشعر الذى ينسب الى امرئ القيس اوالى الأعشى او الى غيرهما من الشعراء الجاهليين لايمكن من الوجهة اللغوية والفنية أن يكون لهؤلاء الشعراء ؛ ولا أن يكون قد قيل وأذيع قبل ان يظهر القرآن . نعم ؛ وسينتهى بنا هذا البحث الى نتيجة غريبة . وهى انه لاينبغى ان يستشهد بهذا الشعر على تفسير القرآن وتأويل الحديث ؛ و انما ينبغى ان يستشهد بالقرآن والحديث على تفسير هذا الشعر و تأويله ، أريد أن اقول ان هذه الاشعار لاتثبت شيئاً ولاتدل على شيئى ؛ ولا ينبغى ان تتخذ وسيلة الى ما اتخذت اليه من علم بالقرآن والحديث . فهى انما تكلفت واخترعت اختراعاً ليستشهد بها العلماء على ماكانوا يريدون ان يستشهدوا عليه .

فاذا انتهينا من هذه الطرق كلها الى غاية واحدة هى هذه النظرية التى قدمتها ، فسنجتهد فى أن نبحث عما يمكن ان يكون ادباً جاهلياً حقاً . و أنا اعترف منذ الآن بأن هذا البحث عسير كل العسر ؛ و بأنى اشك شكاً شديداً فى انه قد ينتهى بنا الى نتيجة مرضية . و مع ذلك فسنحاوله .

الشعر و الخطابة

فی صدر الاسلام

کان الشعر فی الجاهلیّة دیوان آداب العرب به یفُصحون عما یجول بخاطرهم من وصف او تشبیب او فخر او هجاء . فلمّا جاء الاسلام و تغیّرت الحالة عمّا کان علیه العرب فی الجاهلیّة ضعفت الحاجة الی قول الشعر خصوصاً بعد مـا جاء الطعن علی الشعراء فی القرآن بقوله تعالی « و الشُّعَـراءُ یَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فی کُلِّ وادٍ یَهِیمُونَ و أَنَّهُمْ یَقُولونَ ما لا یَفْعَلُونَ » . و هذه الآیة و ان نزلت ـ کما ورد فی بعض الروایات ـ فی شعراء قریش الذین تناولوا رسول الله (ص) بالهجاء والاذی امثـال عبدالله بن الزّبعری و ابو سفیان و عمرو بن العاص، وقد أبدی النبیّ (ص) اعجابه باشعار حسّان بن ثابت و کعب بن مالك وعبدالله بن رواحه الذین انتصبوا لهجاء قریش و للدفاع عنه (ص) الّا ان البیئة الاسلامیّة لم تکن لتساعد علـی قـول الشعـر فی هذا الصدر الاول کما کان الشأن فی الجـاهلیّة او فی العصور المتـأخرة فانّ الدیانة الاسلامیة کانت لاتزال فی بدء عهدها تحتاج الی دعایة قویّة توجّه الافکار نحو مبادئها الجدیدة و تستنهض الهمم لتأیید ها والدفاع عنها فتوافرت فیها الدواعی الی الاستعانة بالخطابة لأنها کانت الوسیلة الوحیدة للتفهیم والاقناع بین اقوام أمیّین لم یکن للکتابة فیهم شأن یذکر . والعرب اهل خیال و ذوو نفوس حسّاسة و للکلام الخطابی تأثیر شدید فی عواطفهم یقعدهم و یقیمهم فاصبحت الخطابة من اهم العوامل الفعّالة فی انتشار الاسلام بین العرب و قد جعلها الشارع شعار کل امام فی حفل دینی

او سياسى كالجمعة و العيدين و موسم الحج او إعلان نصر او غير ذلك . فانصرفت القرائح الى الخطابة . و لم تسعد العربيّة بكثـرة الخطبا و وفرة الخطيب مثل ما سعدت به فى هذا الصدر الاولّ ، فالخلفا و القوّاد و الأمراء كان معظمهم من الخطبا ووصلت الخطابة العربيّة فى هذا العصر الى أرقى ما وصل اليه فى أىّ عصر من عصور الأدب العربى .

الخطب النبويّة

وُلد النبىّ صلّى الله عليه و آله فى السنة المعـروفـة بعام الفيل ، و هى سنة ٥٧١ م . و قدمات ابوه عبدالله قبل أن يولد فكفلـه جدّه عبد المطلّب و بعد وفـاته كفله عمّه ابوطالب و توفيّت أمّه آمنة و هو (ص) فى السادسة من عمره . و كان اهل مكة تجّاراً ؛ لهم رحلات الى بلاد الشام و الى اليمن فـاشتغل محمّد (ص) بالتجارة . و طلبت منها خديجة و هى سيّدة موسرة أن يتعهّد تجارتها ثمّ رغبت فيه لجميل صفاته و عرضت عليه الزواج وهو (ص) فى الخامسة والعشرين و هى أرملة فى الاربعين .

بُعث محمّد (ص) بالرسالة فى الأربعين من عمره و استمـرّ ثلاث سنين يدعوا سرّاً الى الاسلام كلّ من يثق فيه و يطمئنّ الى استعداده لقبول دعـوته؛ و على رأس ثلاث سنين أمر بالجهر بالدعوة وما وافت السّنة العاشرة من نزول الوحى حتى أُصيب الرسول (ص) بوفاة عمّه وحاميه ابى طالب ثم ماتت خديجة بعد أبى طالب . وتتابعت عليه (ص) بموتهما المصائب و نالت منه قريش . ولمّا اشتدّ أذاهم ، هجر مكة هو و بعض اصحابه الى المدينة و كان ذلك فى السنة الثالثة عشرة من البعثة ، و هى التّى يبدأ منها تاريخ الاسلام الهجرى ، فلاقاه اهل المدينة بالاكرام و نصروه فسمّوا الأنصار، كما سمّى من هاجر معه المهاجرين . فلمّا قويت شوكته فى المدينة عزم على الجهاد

ضد المشركين و غزا غزوات عديدة كان الفتح فى معظمها حليف المسلمين ؛ و بفتح مكة سنة (٦٣٠ م .) تمّت له الغلبة على العرب فسارعوا اليه واعتنقوا الاسلام . و فى سنة ١١ هـ توفّى النبى (ص) و له من العمر ٦٣ سنة . و قد نقل عنه صلى الله عليه وسلّم كثير من جوامع العلم وطرائف الحكمة . و اليك امثلة منها :

فمن خطبة له (ص) فى حجّة الوداع

أيُّها النَّاسُ إنَّما المُؤمِنونَ إخْوَة ، فلا يَحِلُّ لِامرِئٍ مالُ أخيهِ إلاّ عَن طيبِ نَفْسِه . . . فلا تَرجِعوا بَعْدي كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُم أعناقَ بَعْضٍ ، فَإنِّي قد تَرَكْتُ فيكُم ما إنْ أخَذْتُم به لم تَضِلّوا : كِتابُ اللهِ و أهلُ بَيْتي .

أيُّها النَّاسُ إنَّ رَبَّكُم واحِد ؛ وَ إنَّ أباكُم واحد كُلُّكُم لِآدَم وآدَمُ مِن تُراب . لَيسَ لِعَرَبيٍّ عَلى عَجَميٍّ فَضْلٌ إلاّ بالتَّقوى » .

و منها (١)

أيُّها النَّاسُ كَأنَّ المَوتَ فيها عَلى غَيْرِنا قد كُتِبَ ، وَكَأنَّ الحَقَّ فيها عَلى غَيْرِنا قد وَجَبَ ، وَكَأنَّ الَّذي نُشَيِّعُ مِنَ الأمواتِ سَفْرٌ (٢) عمّا قَليلٍ إلَيْنا راجِعون ، نُبَوِّئُهُم (٣) أجداثَهم ، (٤) ونأكُلُ مِن تُراثِهم كأنّا

(١) صبح الاعشى ٢/٢١٣

(٢) السفر بمعنى المسافر .

(٣) نبوّئهم : من بوّأه بالمكان اى اقامه فيه .

(٤) الأجداث : جمع الجدث و هو القبر .

مُخَلَّدون بَعْدَهم ؛ و نَسِينا كُلَّ واعظَةٍ وأَمِنّا كُلَّ جائحة . [١] طُوبى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَن عُيوبِ الناسِ ، طُوبى لِمَنْ أَنْفَقَ مالاً اكْتَسَبَه مِن غَيْرِ مَعْصيةٍ ، وجالَسَ أَهلَ الذُّلِ والمَسْكَنَةِ ؛ طوبى لمن زَكَتْ و حَسُنَتْ خَليقتُه ؛ و طابَتْ سَريرتُه ؛ [٢] و عَزَلَ عَن النّاسِ شَرَّهُ ؛ طُوبى لِمَنْ أَنفقَ الفضلَ من مالِه ؛ وأَمسَكَ الفَضْلَ مِن قَوْلِه ؛ و وَسِعَتْهُ السُّنَّةُ ولَم تَسْتَهْوِه البِدْعَةُ . »

و من جوامع كلمه صلى الله عليه و سلّم

إنَّما الأَعمالُ بالنيّاتِ ؛ و إنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى .

المُؤمنُ للمُؤمن كالبُنْيانِ ، [٣] يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعضاً .

النّاسُ كُلُّهم سَواسِيَةٌ كأَسْنانِ المُشْطِ .

حُجِبَت النّارُ بالشّهواتِ و حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ .

إنَّ أَحَبَّكُم إلَيَّ وأَقربَكُم مِنّي مَجالِسَ يَوْمَ القِيامَةِ أَحاسِنُكُم أَخلاقاً ، المُوَطَّؤُونَ أَكْنافاً ، [٤] الّذينَ يَأْلَفُونَ و يُؤْلَفون . وإنَّ أَبْغَضَكُم إلَيَّ و أَبعدَكُم مِنّي مَجالِسَ يوم القِيامَةِ الثَّرثارون ، [٥] المُتَشَدِّقُون ، [٦]

---

(١) الجائحة : البليّة و التهلكة .

(٢) طابت سريرته : سلم قلبُه و صفت نيته .

(٣) البُنيان ، مصدر بَنَى يَبْنِي و المراد هنا المبنيّ .

(٤) الموطّئون اكنافاً : الممهّدة جوانبهم ، السهلة اخلاقهم .

(٥) الثرثار : الكثير الكلام المهذار .

(٦) المتشدّق : الّذى يلوى شدقه للتفصّح والذى يتوسّع فى الكلام من غير احتياط واحتراز .

المُتَفَيهِقون [1].

لِأنْ يأْخُذَ أحدكم حبلَهُ ثمّ يغدو إلى الجَبل فيحتطب فيبيعَ فيأكل ويتصدّق خيرٌ له مِن أنْ يسأل الله.

إنّ قوماً ركبوا في سفينة فاقتسموا، فصار لكلِّ رَجُلٍ منهُم موضعٌ، فنقر رجلٌ منهم موضعه بفأسٍ، فقالوا له: ما تصنع؟ قال: هو مكاني، أصنعُ فيه ما شِئْتُ.

فإنْ أخذوا على يدِهِ نجا ونجوا، وإنْ تركوه هلكَ وهلكوا.

(١) المتفيهق: المتنطّع في الكلام المتوسّع فيه كأنّه يملأ به فمه.

كعب بن زُهَيْر

وقصيدة

« بانَت سُعاد »

وهوابن زهيرابن أبى سُلمى الشاعر الجاهلى، ويعدّ كعب من المُخَضْرمين و هم شعراءٌ نشأوا فى الجاهليّة و أدركوا الاسلام، وقد نال كعب شهرته الواسعة بهذه القصيدة التى أنشدها فى مدح النبىّ صلى الله عليه وآله و الاعتذار اليه، وهى قصيدة لامية من البحر البسيط ذات ٥٨ بيتاً .

و قد ذكروا فى سبب انشادها أنّ كعباً كان قبل اسلامه يهجو المسلمين و النبىّ فى اشعاره هجواً مرّاً لاذعاً؛ وقد بلغ شدة تأثّر النبى بهذه الاشعار مبلغاً اهدر دم قائلها و قال « من لقى منكم كعباً فليقتله . فلمّا قويت شوكة الاسلام بعد فتح مكة و حنين و الطائف وقتل النبى رجالا ادركهم ممن كان يهجوه و يؤذيه مثل ابن اخطل- وكان قد اوعده بما اوعد به كعباً- وابن ضبابة وغيرهما وتحقق بجير بن زهير اخو كعب - وكان قد اسلم من قبل - أن النبىّ (ص) لم يهدّد عبثاً كتب الى اخيه كعب و اخبره بذلك، قال ابن اسحق : « لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه و سلّم من مُنْصَرَفه عن الطائف. كتب (اى بجير) الى أخيه كعب بن زهير يخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلّم قتل رجالاً بمكة، ممن كان يهجوه ويؤذيه ؛ وانّ من بقى من شعراء قريش ، ابنُ الزِّبعرى

و هُبَيْرَة بن أبى و هب ، قد هربوا كلّ وجه ، فان كانت لك فى نفسك حاجة ، فطر الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فانه لايقتل احداً جاءه تائباً ؛ و ان أنت لم تفعل فانْجُ الى نَجائك (١) من الأرض ... فلمّا بلغ كعباً الكتابُ ضاقت به الأرض و اشفق على نفسه ؛ و أرجف به من كان فى حاضره (٢) من عدُوّه، فقالوا: هومقتول. فلمّا لم يجد من شيئ بُدّاً ، قال قصيدته الّتى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذكر فيها خوفه و ارجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه و بينه معرفة ، فغدا به الى رسول الله (ص) حين صلّى الصبح، فصلّى مع رسول الله (ص) و جلس اليه ، فوضع يده فى يده ؛ و كان رسول الله (ص) لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به ؟ قال رسول الله (ص) : نعم ، قال : أنا يارسول الله كعب بن زهير، فأمّنه الرسول»(٣). وهناك روايات أُخرى ذكرت القصّة بصور أُخرى. امّا القصيدة فقد ذكر المؤرّخون أنّ لاميّة كعب هذه ، راقت النبىّ و استفزّته حتّى انه خلع عليه بردته وذكروا أنّ معاوية اشتراها من كعب اومن ورثته - على اختلاف الروايات - و أنّها ظلّت فى ورثة معاوية و انتقلت من الأمويين الى العباسيين. و زعم بعضهم أنّها بقيت حتى غزو التتار فاحرقها (هولاكو) وذهب بعضهم الى ابعد من ذلك و قال أنّها نقلت الى مصر ثم انتقلت الى الاستانة فى غزو العثمانيين و ان خلفاآل عثمان حفظوها باسم « الخرقة الشريفة » . وعلى كل فقد نالت القصيدة فى الاسلام من الاهتمام و العناية ما لم تنله قصيدة عربيّة اخرى . فقد تبارى الشرّاح

(١) الى نجائك ، اى الى محلّ ينجيك منه .

(٢) أرجف به : خاض فى أمره بما يسوءه و يفزعه .

(٣) عن السيرة النبوية لابن هشام، ط مصر ١٩٣٦، ج ٤، ص ١٤٤ و ما بعد ملخصاً .

فى التعليق عليها و تنافس الشعراء و النظّام فى معارضتها و تشطيرها و تخميسها، حتى جاوزت اثارهم خمسين. و من اشهر المعارضات قصيدة البوصيرى صاحب «البُردة» التى مطلعها :

إلى مَتى أنتَ بـاللّذاتِ مَشغولُ

و أنتَ عن كلّ ما قدّمتَ مسئولُ

وقدسَماها «ذخر المعادفى معارضة بانت سعاد». وشُرحت قصيدة كعب شروحاً عديدة و طبعت نحو العشرين طبعة فى الشرق و الغرب و تُرجمت الى لغات عديدة من - اللاتينية و الفرنسوية و البولونية و الاردية و الانكليزية و الالمانية و الايطالية و التركية. ولها ترجمات فارسية منها واحدة للكاملى منشورة مع شرح لعبد الحافظ محمد نظير فى لكنؤ سنة ١٨٧٥ م. (١)

و اليك نخبة منها :

بـانَتْ سُعادُ فقَلبي اليوم مَتْبولُ

مُتَيّم إثْرها، لَمْ يُفدَ، مَكبولُ (٢)

و ما سُعادُ، غداةَ البَيْنِ، اذ رَحَلوا

إلا أغنُّ، غضيضُ الطرْفِ، مكحولُ (٣)

---

(١) راجع التفصيل فى الروائع ج ٣٢.

(٢) بانت : من البين و هو الفراق . متبول : من تبَلَه الحُب، اذا أسقمه و ذهب بعقله . متيَّم : مذلَّل . مكبول : مقيَّد .

(٣) أغنّ : الذى فى صوته غنّة . غضيض الطرف : فاتر النظر، منكسر الأجفان. مَكْحول : الذى وضع فى عينيه الكُحل .

* * *

اكْرِمْ بِها خُلَّةً ، لو أنها صدقتْ

في وَعْدِها ، أوْ لو أنَّ النُّصحَ مقبولُ [١]

لكِنَّها خُلَّةٌ قد سِيطَ من دَمِها

فَجْعٌ و وَلْعٌ و إخلافٌ و تبديلُ [٢]

فَما تدومُ على حالٍ تكونُ بِها

كَما تَلوَّنَ في أثوابِها الْغُولُ [٣]

وَ لا تَمَسَّكُ بالعَهْدِ الَّذي زَعَمتْ

إلاّ كَما يُمْسِكُ الْماءَ الغَرابيلُ [٤]

فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ و ما وَعَدَتْ

إنَّ الأمانِيَّ و الأحْلامَ تَضليلُ [٥]

---

(١) الخُلَّة: الصَّديق و يستوى فيها المذكر و المؤنث .

(٢) سيط : خُلِط ، من ساط الشيئ يسوطه اى خلطه. الفَجع : الاصابة بما يُكره. الوَلع : الكذب . الاخلاف : عدم القيام بالوعد .

(٣) الغول : موجود خرافى كان العرب يزعمون أنّه من الجنّ و انه يتلوّن ألوانا مختلفة ، شبّه الشاعر تلوّن سعاد فى احوالها بتلوّنِ الغول .

(٤) تَمَسَّكُ : تتمسَّكُ ، حذفت منه التاء كما فى نظائره . الغرابيل : جمع الغربال.

(٥) مَنَّت : اى جعلتْكَ تَتَمَنَّى .

كانتْ مَواعيدُ عُرْقوبٍ لَها مَثلَا

و ما مَواعيدُه إلاّ الأَباطيلُ[١]

أَرْجو و آمُلُ أَن تَدْنو مَودَّتُها

و ما إخالُ لَدَيْنا منكِ تنويلُ[٢]

أمْسَتْ سُعادُ بأَرضٍ لا يُبَلِّغُها

الا العِتاقُ، النَّجيباتُ المَراسيلُ[٣]

و بعد ان يصف الناقة بأبيات يتخلص الى مدح النبي و يقول :

تَسْعَى الوُشاةُ جَنابَيْها ؛ و قَوْلُهُم :

« إنَّكَ يا ابْنَ أَبي سُلْمَى، لَمقْتولُ »[٤]

و قالَ كُلُّ خليلٍ كُنْتُ آمُلُهُ :

« لا أُلْهِيَنَّكَ ؛ إنّي عَنكَ مَشغولُ »[٥]

---

(١) عُرقوب : رجل يضرب المثل بإخلافه الوعد، و الضمير فى مواعيده للعُرقوب. أباطيل : جمع باطل .

(٢) التنويل : من النَّوال و هوالعطاء و النصيب .

(٣) العِتاق : هذه الكلمة وما بعد هاصفات للنوق المحذوفة، والعتاق القوية الرائعة. النجيبات : الكريمات. المراسيل: جمع المِرسال ، السهلة اليدين فى السير .

(٤) جَنابَيْها : ناحيتَيها ، طَرَفيها و الضمير للنّاقة اولسُعاد كما ظن البعض .

(٥) لاأُلهينَّك : لاأُشغِلنَّك عما انت فيه من الخوف والجزع . يقول : انّ كلّصديق كنت ارجو مساعدته لى تركنى و أعرض عنى .

فقُلتُ خَلُّوا سبيلي ، لا أَبالَكُم ،
فكلُّ ما قدَّر الرَّحمنُ مَفعولُ [١]

كُلُّ ابنِ أُنثَى ؛ وإنْ طالتْ سلامَتُه
يوماً على آلةٍ حَدباءَ مَحمولُ [٢]

نُبِّئتُ أَنَّ رسولَ اللهِ أَوعَدني
و العَفوُ عِندَ رسولِ اللهِ مأمولُ [٣]

مَهلاً ـ هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافلةَ الْـ
قُرآنِ فيه مَواعيظٌ و تَفصيلُ [٤]

لا تأخُذَنّي بأقوالِ الوُشاةِ و لَم
أُذنِبْ ؛ و إنْ كثُرتْ فيَّ الأقاويلُ [٥]

لَقد أَقومُ مَقاماً لو يَقومُ به ،
أَرى و أَسمعُ ما لو يَسمعُ الفيلُ [٦]

---

(١) لا أبالكم : تعبير للتفجُّع و التعجّب و يستعمل فى المدح و الذّم .

(٢) آلة حَدباء : نعش يحمل عليه الميّت : يقول كل انسان صائر الى الموت طالت سلامته اوقصرت .

(٣) نبئت : أُخبِرتُ. اوعدنى : هدّدنى بالقتل . مأمول : مرجو ، مطموع فيه .

(٤) النافلة : العطيّة والفضل .

(٥) يقول الشاعر لا تستبح دمى بأقوال الوشاة فانّى لم أذنب ذنباوان كثرت الاقوال حولى .

(٦) يقوم : فاعله الفيل المحذوف يفسره الظاهر و جواب لو فى البيت التالى . يقول: انى أقوم مقاماً هائلا لو يقوم به الفيل وارى و أسمع مالو رآه الفيل وسمعه، لظلّ يرعد . . الخ .

لَظَلَّ يُرْعَدُ ، إلاّ أنْ يكونَ لهُ
مِنَ الرَّسولِ ، بإذْنِ اللهِ ، تَنْويلُ [١]
ما زِلْتُ أَقْتَطِعُ البَيْداءَ ، مُدَّرِعاً
جُنحَ الظَّلامِ ؛ وثوبُ اللَّيلِ مَسْبولُ [٢]
حتّى وضَعْتُ يميني ، لا أنازِعُه ،
في كفِّ ذي نَقِماتٍ قِيلُهُ القيلُ [٣]
لَذاكَ أَهْيَبُ عندي إذْ أُكَلِّمُهُ
وقيل : «إنّك مَنْسوبٌ و مَسْئولُ» [٤]
مِنْ خادرٍ مِن ليوثِ الأرض، مَسْكَنُهُ
من بطن عَثَّرَ غِيلٌ دونَهُ غِيلُ [٥]

---

(١) يُرْعَد : تأخذه الرِّعدة وهى الاضطراب يكون من فزع وغيره . تنويل:العطاء و المرادهنا العفو و الأمان .

(٢) البيداء : الفلات . مسبول : من أسبل الستر اى أرخاه .

(٣) وضعت يمينى : اى كفّى الأيمن ، يشير الى مصافحته النبيّ بالاسلام . لا أنازعه: اى طائعاً له . نقمات : جمع نَقِمة بمعنى المكافأة بالعقوبة . القيل : القول اى أنّ قوله نافذ معتدبه .

(٤)لذاك : اشارة الى النبى (ص) منسوب و مسئول : اى منسوب الى امورصدرت منك و مسئول عنها .

(٥) خادر : الأسد و من خادر متعلق بأهيب . عثّر : مكان فى اليمن تكثر فيه الأسود . الغيل : الأجمة : يقول ان النبىّ (ص) اشدّ اخافة عندى من تلك الأسود .

و بعد ان يصف الليوث بابيات يختم القصيدة بالتخلص الى مدح المهاجرين :

إنَّ الرَّسولَ لَسَيفٌ يُستَضاءُ به ،
مُهنَّدٌ ، مِن سُيوفِ اللهِ ، مَسلولُ (١)
في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائلُهم ،
بِبطنِ مكَّةَ لَمّا أسلَموا : « زولوا ! » (٢)
زالوا ، فما زالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ،
عِندَ اللِّقاء ، ولا مِيلٌ مَعازيلُ (٣)
شُمُّ العَرانينِ ، أبطالٌ ، لَبوسُهُم
مِن نَسجِ داودَ في الهَيجا سَرابيلُ (٤)

---

(١) و فى السيرة « لنور » مكان «لسيف» . يستضاء به : يهتدى به . و قد كانت عادة العرب اذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم أن يشهروا السيف الصقيل فيبرق فيظهر لمعانه من بُعد . فيأتون اليه مهتدين بنوره . المهند : المنسوب الى الهند ؛ و سيوف الهند قديماً أحسن السيوف . المسلول : المخرج من غمده .

(٢) العصبة، الجماعة وروى « فى فتية ».زولوا : اى انتقلوا من مكة الى المدينة.

(٣) أنكاس : جمع نِكس و هو الرجل الضعيف و كُشُف (حرِّك للشعر) جمع أكْشَف و هو الذى لا ترس معه . و المِيل جمع أمْيَل و هو الذى لاسيف معه او هو الذى لايحسن الركوب فيميل عن السّرج . المعازيل : جمع مِعْزال ، و هو الذى لاسلاح معه .

(٤) شُمّ : جمع أشَمّ بمعنى العالى والمرتفع . العرانين : جمع العرنين : طرف الأنف و الشمم فى العرنين حدّة فيه و ارتفاع ، و هو كناية عن الانفة و كبر النفس . اللبوس : ما يُلبس من السِلاح . نسج داود : اى منسوجه و هو الدّروع . والهيجاء : الحرب . السرابيل : جمع السربال و هو القميص اوالدرع .

بيض ، سوابغ ، قد شُكّتْ لها حلق
كأنها ، حلق القفعاء ، مجدولُ (١)

لا يفرحون إذا نالت رماحهم
قوماً ، وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا ، (٢)

يمشون مشي الجمال الزهر ، يعصمهم
ضرب ، اذا عرّد السودُ التنابيلُ (٣)

لا يقع الطعنُ إلاّ في نحورهم ،
و ما لهم عن حياض الموت تهليلُ (٤)

---

(١) فى هذا البيت يصف الدّروع بأنّها بيض : اى صافية مصقولة . سوابغ : اى طوال و طول الدروع يدل على قوّة لابسها . شُكّت : اى أُدخِل بعض حلقها فى بعض . القفعاء : نبات له شوكٌ ينبسط على وجه الأرض له حلق مثل الخواتم، تشبه بحلق الدّروع. مجدول : مفتول .

(٢) نالت : اى اصابت رماحهم الأعداء ، كناية عن غلبتهم عليهم . مجازيع : جمع مِجزاع : و هو كثير الجزع .

(٣) الجمال : جمع الجَمَل. الزهر: جمع الأزهر، الأبيض المشرق. عرّد : اى فرّوهرب عن قرنه . التنابيل : جمع التنبال وهو القصير. يصف المهاجرين بامتداد القامة وعظم الخلق ما يدلّ على الوقار و السؤدد و يتعرض فى البيت الأخير ـ كما ذكر بعض الشراح ـ بالأنصار .

(٤) النحور : جمع النّحر و هو اعلى الصدر . يقول : انهم لا ينهزمون فى الحرب ليقع الطعن فى ظهورهم. واراد بحياض الموت ساحات القتال . التهليل: الجبن و التأخّر.

حسّان بن ثابت
ونُخبةٌ من اسلاميّاته

ابو الوليد حسّان بن ثابت الانصاري، شاعر رسول الله من اهل المدينة. وهو من الشعراء المخضرمين، اتصل في الجاهلية بالغساسنة امراء الشام، ومدح النعمان بن المنذر من أمراء الحيرة، وقد أسلم هو وقومه الخزرج على اثر الهجرة، ولمّا لم يكن حسّان رجل حرب مال الى نصرة النبي بلسانه على من كان يهجوه من شعراء قريش وساير المشركين، وعارضهم وهجاهم بمثالبهم وفضائحهم التي كان يستمدّها من ابي بكر. روى ان النبيّ (ص) قال له عند ما تطوّع للدفاع عنه: «اذهب الى ابي بكر ليحدّثك حديث القوم وايامهم واحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك». وقد أدّى بذلك خدمة جليلة للاسلام، وعرف له النبي هذه الخدمة فقرظ شعره وعطف عليه وتجاوز عن بعض سيئآته.

وعدّوا من صفات حسّان ادمانه على الخمرة واستمتاعه بالغناء وما يتصل بذلك من لهو وعبث، ويظهر ان الاسلام لم يحوّله كثيراً من هذه العادة فهو ـ على مايستفاد من تاريخ حياته ـ يتابع الشرب واللهو والسماع كمن ذي قبل ويصف الخمرة حتى في مدائحه للنبي.

وله ديوان معروف طبعت مراراً منذ اواسط القرن التاسع عشر في تونس و بومباى ولاهور و مصر وقد طبعه هرشفيلد في سلسلة گيب التذكارية
E J. W. Gibb Memorial Series Vol XIII London 1910
وهو افضل طبعاته. واكثر قصائده في الديوان هجائية تتناول المشركين من قريش وغيرهم، وهو شديد الهجاء يقذف لسانه بالشتائم المقذعة، لايبالي ولايتحرّج في ذكر شيئ حتى قيل لو مزج البحر بشعر حسان لمزجه . وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا سمع هجاءه في اعدائه

يقول : « لَهذا اشدّ عليهم من وقع النبل » . وفى ديوانه بجانب هذه القصائد الهجائية قصائد فى مدح الغساسنة و وصف مجالس اللهو والشرب . و قد حفظ لنا فى قصائده اسماء المعارك العديدة بين المسلمين والمشركين واسماء الصحابة واسماء اعداء الاسلام من قتل منهم ومن انتصر ولذلك شبّهه بعض النّقاد الحديثين بشاعر الدولة الرسمى يؤرّخ ويحصى ويقوم بالدعاية ويناضل ، وعدّوه مؤسّس الشعر التاريخى الاسلامى .

واليك قصيدته فى فتح مكة:

فتح مكّة

عفتْ ذاتُ الأَصابِعِ فالْجِواءُ ... إلى عَذْراءَ مَنْزِلُها خَلاءُ (١)

دِيارٌ مِن بَني الْحَسْحاسِ قَفْرٌ ... تُعَفّيها الرَّوامِسُ والسَّماءُ (٢)

وكانَتْ لا يَزالُ بِها أنيسٌ ... خِلالَ مُروجِها نَعَمٌ وَ شاءُ (٣)

فَدَعْ هذا ! ولكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُني ، إذا ذَهَبَ العِشاءُ (٤)

---

(١) عَفَت : تغيرّت ودرست . ذات الأَصابع والجواء : موضعان بالشام ، وبالجواء كان منزل الحارث بن ابى شمر الغسّانى ، وكان حسان كثيراً مايرد على ملوك غسّان بالشام يمدحهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل . عذراء : قرية على بريد من دمشق .

(٢) بنو الحسحاس : حىّ من بنى أسد . واصل الحسحاس الرجل الجواد ، و لعلّه مرادهنا . الروامس : الرياح التى ترمس الآثار اى تغطّيها . السماء : المطر .

(٣) النعم : المال الراعى ، وهوجمع لا واحد له من لفظه ، واكثرمايقع على الإبل . الشاة من الغنم يقع على الذكر والاُنثى ، والجمع شاء وشياه .

(٤) الطيف : خيال المحبوبة يلم فى النوم . يؤرّقنى : يسهرنى . يريد انّ الطيف اذا زال عنه وجدله لوعة تؤرّقه .

لِشَعْثَاءَ الَّتِي قَدْ تَيَّمَتْهُ ... فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ (١)
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ (٢)
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْماً ، ... فَهُنَّ لِطَيِّبِ الرَّاحِ الْفِدَاءُ (٣)
نُوَلِّيهَا الْمَلَامَةَ ، إِنْ أَلَمْنَا ... إِذَا مَا كَانَ مَغْثٌ اوْلِحَاءُ (٤)
وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكاً ... وَأُسْداً مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ (٥)
عَدِمْنَا خَيْلَنَا ، إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ ، مَوْعِدُهَا كَدَاءُ (٦)
يُنَازِعْنَ الْأَعِنَّةَ ، مُصْغِيَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ (٧)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ (٨)

---

(١) شعثاء : اسم امرأة ، قيل هى بنت سلام بن مشكم اليهودى ، وقيل هى امرأة من خزاعة ، وقيل غير ذلك .

(٢) الخبيئة : الخمر المخبوءة المصونة المضنون بها . وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيدة .

(٣) الأشربات : جمع الأشربة ، والأشربة : جمع شراب : يريد أنّ الأشربة غير راح بيت رأس لاتدانيها فى اللذة .

(٤) نولّيها الملامة : نصرف اللوم اليها . إن ألمنا : ان فعلنا ما نستحق عليه اللوم. يقال ألام الرجل فهو مليم . المغث : الضرب باليد . اللحاء : السباب .

(٥) ينهنهنا : يزجرنا ويردنا .

(٦) النقع : الغبار . كَداء : ثنية بأعلى مكة وهى الثنية التى عند المقبرة و تسمّى تلك الناحية المعلاة . ودخل النبى (ص) مكة منها .

(٧) الأعنة : جمع عنان وهو اللجام . والمصغيات : الموائل المتحرفات للطعن . الأسل : الرماح . الظمأ : العطاش .

(٨) المتمطرات : التى يسبق بعضها بعضاً . تلطمهنّ : تضرب النساء وجوههنّ لتردّهن . والخُمر: جمع خمار، وهوما تغطى به المرأة رأسها ووجهها . اى ان النساء كنّ يضربن وجوه الخيل بخمرهن يوم الفتح .

فإمَّا تُعرِضوا عنَّا ، اعتمرْنا ... وكانَ الفتحُ ، وانكشفَ الغِطاءُ (١)
وإلاَّ فاصبِرُوا لِجلادِ يومٍ ... يُعِينُ اللهُ فيهِ مَنْ يشاءُ (٢)
وجِبْريلٌ رسولُ اللهِ فينا ... ورُوحُ القُدْسِ ليسَ لهُ كفاءُ (٣)
وقالَ اللهُ قد أرسلتُ عبداً ... يقولُ الحقَّ إنْ نفعَ البَلاءُ (٤)
شهِدْتُ به فقوموا صدِّقوهُ ... فقُلتُم لا نقومُ ولا نشاءُ
وقالَ اللهُ قد سيَّرتُ جُنْداً ... هُمُ الأنصارُ عُرضَتُها اللقاءُ (٥)
لنا في كلِّ يومٍ من مَعَدٍّ ... سِبابٌ أو قِتالٌ أو هِجاءُ (٦)
فنُحكِمُ بالقوافي مَن هَجانا ... ونَضرِبُ حينَ تختلطُ الدِّماءُ (٧)
ألا أبْلِغْ أبا سُفيانَ عنِّي ... مُغلغَلةً فقد بَرِحَ الخَفاءُ (٨)
بأنَّ سيوفَنا تركَتْكَ عبداً ... وعبدُ الدارِ سادَتُها الإماءُ (٩)

---

(١) اعتمرنا : ادينا مناسك العمرة ، وهى زيارة بيت الله الحرام .

(٢) الجلاد : القتال بالسيوف .

(٣) كفاء : مثل .

(٤) البلاء : الاختبار .

(٥) عُرضتها اللقاء : عادتها ان تتعرض للّقاء ، فهي قوية عليه .

(٦) نحكمه : نمنعه ونكفّه ، ومنه سمى القاضى حاكماً ، لانه يمنع الناس من الظلم.

(٧) ابوسفيان : هوالمغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب ابن عم النبى ، وكان هجا النبى قبل ان يسلم .

(٨) مغلغلة : رسالة ترسل من بلد الى بلد .

(٩) يريد ان سيوف الانصار جعلت أباسفيان كالعبد الذليل يوم فتح مكة ، وأنّ سادة بنى عبدالدار صاروا كالإماء في المذلّة والهوان .

هَجَوْتَ مُحَمَّداً و أَجبتُ عنهُ و عِندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ
أَتَهْجُوه و لَستَ لَه بكُفْءٍ فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ
هَجَوْتَ مُباركاً بَرّاً حَنيفاً أَمينَ اللهِ شيمَتُهُ الوَفاءُ [1]
أَمن يَهْجُو رَسولَ اللهِ مِنكُمْ و يَمْدحُهُ و يَنْصُرُهُ سَواءُ؟
فإنَّ أَبي و والِدَه و عِرْضي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنكُم وِقاءُ
لِساني صارِمٌ لا عَيْبَ فيهِ و بَحْري لا تُكَدِّرُهُ الدِّلاءُ

(١) الحنيف : المسلم ، وسمّي حنيفا ، لانه مال عن الباطل الى الحق . شيمته : طبيعته .

الامام علىّ بن ابيطالب (ع)

و امثلة من خطبه

ولد على بن ابى طالب (ع) بمكة قبل البعثة بعشر سنين. ولما بعث رسول الله (ص) كان على اول من آمن به من الصبيان و لما يناهز الثالثة عشرة. وقد زوّجه النبىّ من ابنته فاطمة (ع) فى السنة الثانية للهجرة. واشترك علىّ فى جميع الغزوات عدا غزوة تبوك فان الرسول خلّفه على المدينة. ولما تولّى الخلافة سنة ٣٥ هـ بادر - لما عرف عنه من الشدة فى الحق وعدم الهوادة فيه - بعزل الولاة الذين ولّاهم عثمان والذين كانوا مثار الفتنة وسبب خروج الثوار عليه. كما استفتح ولايته باسترداد الاقطاعيات التى كان عثمان قد منحها بعض بطانته والمقرّبين من اهل بيته الى بيت المال، وقد احفظ هذا العمل قلوب اولئك الولاة الذين أثروا فى عهد عثمان. وأبى معاوية بن ابى سفيان - الذى مكّنته ثروة بلاد الشام من تكوين حزب قوى - الاذعان لأمر على، ونشر لواء الثورة و العصيان. ومن ثم قامت موقعة جمل التى اوقع فيها على (ع) برجال بنى امية وعائشة وطلحة والزبير. ثم دارت بينه وبين معاوية موقعة صفّين التى اعقبها عقد التحكيم و ما اقترن به من انقسام جنده على انفسهم و ظهور الخوارج، وبينما كان على (ع) يلقى الشدائد على يد اصحابه الذين تثاقلوا عنه وتسلّلوا من جيشه تمكّن معاوية من الاستيلاء على مصر على يد عمر بن العاص. ولم يكتف معاوية بذلك بل اخذ يدعو الى نفسه بالخلافة. وادرك على (ع) هذا الخطر فجمع جيشاً قوامه اربعون الفاً لقتال معاوية. ولم يكد هذا الجيش يتحرك حتى طعن عبدالرحمن بن ملجم الخارجى علياً بسيف مسموم، فتوفى فى رمضان سنة ٤٠ هـ.

على ان لعليّ بن ابى طالب شخصية ادبية بارزة كان لها اثر نافذ فى مذاهب المتأدّبين والبلغاء ، فهو يعدّ بحق افصح العرب بعد رسول الله (ص) وقد نقل عنه فى كتب التاريخ والأدب من الخطب والمواعظ والحكم الشيئى الكثير، وكان الناس يتداولونها بعده حتى قام الشريف الرضى فجمع كلّ ما نقل عنه (ع) وضمّنها كتابا واحداً سمّاه نهج البلاغة، انتهى من تأليفه فى رجب سنة ٤٠٠ هـ. وقد شكّ قوم من النّقاد والمؤرّخين كابن خلّكان والصفدى وغيرهما فى صحّة نسبة كلّها الى الامام و تبعهم بعض المستشرقين، الاّ أنه كما يظهر من اقوال المؤرّخين القدماء ليس هناك مجال للشك فى أن خطبا كثيرة كانت متداولة فى الألسن عن على بن ابيطالب قبل الشريف الرضى ، وقد قال المسعودى المتوفى قبل تأليف نهج البلاغة بأكثر من نصف قرن: « والذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته اربعمائة خطبة ونيف وثمانون ، يوردها على البديهة ، تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً » (١)

واليك امثلة من كلامه المأثور:

فمن خطبة له عليه السلام

وَاللهِ لأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ (٢) السَّعدان (٣) مُسَهَّداً (٤) وأُجرّ فى الأغلالِ مُصفَّداً (٥) ، أحبُّ إِلَيَّ مِن أَن أَلْقَى اللهَ و رَسولَه يَوْمَ القيامةِ ظالماً

(١) مروج الذهب ط . دار الرجاء ج٢ . ص . ٢٩٦

(٢) الحسك : الشوك .

(٣) السَّعدان : نبت له شوك وهو من افضل ما ترعاه الابل .

(٤) المُسهَّد : القليل النوم .

(٥) المصفّد : المقيّد بالحديد .

لِبَعْضِ الْعِبادِ. وغاصِباً لِشَيْئٍ مِنَ الْحُطامِ. وكَيْفَ أَظْلِمُ أَحداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلى قُفولُها [١] وَيَطولُ في الثَّرى حُلولُها [٢].

واللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقيلاً [٣] وقد أَمْلَقَ [٤] حَتَّى اسْتَماحَني [٥] بُرَّكُم صاعاً [٦] ورَأَيْتُ صِبيانَه شُعْثَ الشُّعورِ [٧] غُبْرَ الأَلْوانِ مِن فَقْرِهِم [٨]. وعاوَدَني مُؤَكِّداً وكَرَّ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً. فَأَصْغَيْتُ إِلَيْه سَمْعي فَظَنَّ أَنِّي أَبيعُهُ ديني وأَتَّبِعُ قِيادَهُ [٩] مُفارِقاً طَريقَتي. فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَديدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُها مِن جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِها فَضَجَّ ضَجيجَ ذي دَنَفٍ [١٠] مِن أَلَمِها وكادَ أَن يَحْتَرِقَ مِن مِيسَمِها [١١]. فَقُلْتُ لَه ثَكِلَتْكَ الثَّواكِلُ يا عَقيلُ، أَتَئِنُّ مِن حَديدَةٍ أَحْماها إِنْسانُها لِلَعِبِه وتَجُرُّني إِلى نارٍ سَجَرَها جَبَّارُها لِغَضَبِه. أَتَئِنُّ مِنَ الأَذى

(١) اى يسرع الى الفناء رجوعها .

(٢) اى يطول فى التراب مقامها .

(٣) عقيل اخوه وقد طلب من بيت المال شيئاً لم يكن من حقه فمنعه عليٌّ فلم يرض عقيل وفارقه الى معاوية .

(٤) أملق : افتقر اشدّ الفقر .

(٥) استماحنى : طلب منى العطاء .

(٦) البرّ : الحنطة . الصاع : المكيال .

(٧) الشُّعث: جمع الاشعث وهو من كان شعره متغبّراً وملصقاً بعضه ببعض .

(٨) الغبْر : جمع الأغبر وهو ما لونه لون الغُبار .

(٩) القياد : ما تقادُ به الدابةّ من حبل ونحوه ، اتبع قياده ، اى اطيعه وامشى خلفه.

(١٠) الدنف : المرض الشديد .

(١١) الميسم : الحديدة التى تحمى فى النار وتوسّم بها .

ولا تَنِنُّ مِن لَظَى ![1]

وأعجَبُ مِن ذلك طارِقٌ طرَقَنا بمَلفوفَةٍ في وعائها ومَعجونَةٍ شَنِئتُها[2] كأنها عُجِنَت بريقِ حيَّةٍ أو قَيْئِها . فقلتُ أصِلَةٌ أم زكاةٌ أم صدَقَةٌ ؟ فذلكَ محرَّمٌ علينا أهلَ البيتِ . فقالَ لا ذا ولا ذاكَ ولكنَّها هديَّةٌ ، فقلتُ هبلَتْكَ الهَبولُ[3] أعَن دينِ اللهِ أتَيتَني لتَخدَعني . أمُختَبِطٌ أم ذو جِنَّةٍ أو تَهجُرُ[4] . واللهِ لو أُعطيتُ الأقاليمَ السَّبعَةَ بما تحتَ أفلاكِها على أن أعصِيَ اللهَ في نَملَةٍ أسلُبُها جِلبَ شَعيرةٍ ما فعَلتُ . وإنَّ دُنياكُم عِندي لأَهوَنُ مِن ورَقَةٍ في فَمِ جَرادَةٍ تَقضَمُها[5] . ما لِعليٍّ ولنَعيمٍ يَفنى ولذَّةٍ لا تَبقى ! نعوذُ باللهِ مِن سُباتِ العَقلِ[6] وقُبحِ الزَّلَلِ وبه نَستَعين .

ومن خطبة له يوم أغار الأعداء على الأنبار

أمّا بعد، فإنَّ الجِهادَ بابٌ مِن أبوابِ الجَنَّةِ، فمَن ترَكَهُ ألبَسَهُ اللهُ ثوبَ الذُّلِّ وأشمَلَهُ البَلاءَ وألزَمَهُ الصَّغارَ . ألا وإنّي دعَوتُكُم إلى قِتالِ هؤلاءِ القَومِ

---

(١) اللَّظى : لهيب النار .

(٢) شنئتها : كرهتها وهو يشير الى نوع من الحلوى .

(٣) الهَبول : المرأة التى لايعيش لها ولد .

(٤) هَجر فى نومه اومرضه : خلط وهذى .

(٥) تقضمها : تأكلها .

(٦) سُبات العقل : نومها .

لَيْلاً ونهاراً وَقُلْتُ لَكُمْ اُغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ ما غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ في عُقْرِ (١) دارِهِمْ إلاّ ذَلُّوا. فتوا كَلْتُمْ (٢) وَتَخاذَلْتُمْ (٣) وَثَقُلَ عليكُمْ قَوْلي فَاتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيّاً حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغاراتُ (٤). هذا أَخُو غامِد قد بَلَغَتْ خَيْلُهُ الْأَنبارَ وأزالَ خَيْلَكُمْ. فوا عَجَباً مِنْ جِدِّ هؤُلاءِ في باطِلِهِمْ وَفَشَلِكُمْ عن حَقِّكُمْ! فَقُبْحاً لَكُمْ حينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى! يُغارُ عَلَيْكُمْ ولا تُغيرونَ و تُغْزَوْنَ وَلا تَغْزُونَ. فَإذا أَمَرْتُكُمْ بِالْمَسيرِ إِلَيْهِم في أيّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ حَمارَّةُ الْقَيْظِ (٥) أَمْهِلْنا حَتَّى يَنْسَلِخَ عَنّا الْحَرُّ، وإذا أَمَرْتُكُم بِالْمَسيرِ إِلَيْهِم ضُحىً في الشِّتاءِ قُلْتُم أَمْهِلْنا حَتّى يَنْسَلِخَ عَنّا هذا القُرُّ (٦). يا أَشْباهَ الرِّجالِ وَلا رِجالَ، ويا أَحْلامَ الأَطْفالِ (٧)، وَدِدْتُ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَني مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ وَقَبَضَني إِلَى رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِكُمْ، وأَنّي لا أَعْرِفُكُمْ. وَاللهِ جَرَّتْ وَهْناً (٨)، وَوَرَّيْتُمْ وَاللهِ صَدْري غَيْظاً (٩) وَجَرَّعْتُموني الْمَوْتَ أَنْفاساً، وأَفْسَدْتُم عَلَيَّ رَأْيي بِالْعِصْيانِ

(١) العُقْر والعُقُر؛ وسط الدار واحسن موضع منه.

(٢) تواكلتم: اى اتكل بعضكم على بعض وتركتم الجهاد.

(٣) تخاذلتم: اى ترك بعضكم بعضاً.

(٤) اى وُجِّهَتْ عليكم من كلّ جهة.

(٥) حمارّة الغيظ: شدة الحرّ.

(٦) القُرّ: البرد.

(٧) احلام: اى عقول.

(٨) الوهن: الضعف فى العمل.

(٩) ورّيتم من ورى الزند اذا خرجت ناره اى حرقتم صدرى من الغيظ.

وَ الْخِذلان ، حَتّى قالَتْ قُرَيْش إنَّ ابْنَ أبي طالب شُجاعٌ و لٰكِنْ لاعِلْمَ لَهُ بِالْحَرب . لِلّهِ أبُوهم ! و هَل مِنهم أحَدٌ أشَدُّ لَها مِراساً [1] وأطوَلُ تجْرِبَة مِنّي ؟ لَقَد مارَسْتُها وأنا ابْنُ عِشرين ، فها أنا ذا الآنَ قد نَيَّفتُ على السّتين ، ولٰكِن لارأْيَ لِمَن لايُطاع .

و من حِكَمه المأثورة

لاتَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ و قد جَعلكَ اللّهُ حُرّاً .

ما هَلَكَ امْرُؤٌ عرف قَدْرَهُ .

إسْتَغْنِ عَمّن شِئْتَ تَكُنْ نَظيرَه ، واحْتَجْ [2] إلى مَنْ شِئْتَ تكُن أسيرَه ، و أحْسِن إلى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أميرَه .

إن اسْتَطَعْتَ ألّا يَكُونَ بَيْنَك وَ بَيْنَ اللّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ . فَإنّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ و آخِذٌ سَهْمَكَ ، و إنَّ اليَسيرَ مِنَ اللّهِ سُبْحانَهُ و تَعالى أكْرَمُ و أعْظَمُ مِنَ الكَثيرِ مِن خَلْقِهِ وَ إن كانَ كُلٌّ مِنْ عِنْدِه .

النّاسُ مِن خَوْفِ الذُّلِّ في الذُّلِّ .

اذا تَمَّ العَقْلُ نَقَصَ الكَلامُ .

(١) مراساً : اى ممارسة ومزاولة .

(٢) احتج : امر من احتاج احتياجاً .

أكثرُ مصارعِ (١) العقولِ تحتَ بروقِ الأطماعِ .

النّاسُ بزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم .

أكرِم نفسكَ عن كلِّ دنيّةٍ و إنْ ساقتكَ إلى الرّغائب ، فإنّك لن تعتاضَ بما تبذُلُ من نفسِك عِوضاً .

النّاسُ ابناءُ الدّنيا و لا يُلام الرّجلُ على حُبِّ أمِّه .

الحِرمانُ خيرٌ من الإمتنانِ . (٢)

إذا أقبلتِ الدّنيا على احدٍ ، أعارتْه محاسنَ غيرِه . و إذا أدبرتْ عنه ، سلبَتْه محاسنَ نفسِه .

لسانُ العاقلِ وراءَ قلبِه ، و قلبُ الأحمقِ وراءَ لسانِه . (٣)

إحذرُوا صولةَ الكريمِ إذا جاعَ ، و اللّئيمِ اذا شبِع .

الغِنى في الغُربةِ وطنٌ . والفقرُ في الوطنِ غُربةٌ .

إنّ هذهِ القلوبَ تملُّ كما تملُّ الأبدانُ ، فابتغُوا لها طرائفَ الحِكَمِ .

كم مِن صائمٍ ليسَ لهُ مِن صيامِهِ إلاّ الظّمأُ ، وكم مِن قائمٍ ليس لهُ مِن قيامِه إلّا السّهرُ والعَناءُ ! حبّذا نومُ الأكياسِ (٤) و إفطارُهم .

---

(١) مصارع : مهالك .

(٢) اى اذا سئل الانسان فخيرٌ له أن يُحرم من أن يُعطى ويُمنّ عليه وذلك تشديد لترك السؤال .

(٣) اى انّ العاقل لا يطلق لسانه الا بعد تأمّل و تفكّر و الاحمق يسبق كلامه مراجعة فكره .

(٤) الأكياس : جمع الكَيِّس : وهو الفطن الحسن الفهم .

ماءُ وَجهكَ جامِدٌ يقطِرهُ السُّؤالُ ، فانظرْ عِندَ من تُقطِرهُ .

إنَّ قوماً عَبدوا الله رغبةً، فتلكَ عِبادةُ التُجارِ . وَ إنَّ قوماً عبدوا الله رَهْبةً فتلكَ عِبادةُ العبيدِ . وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلكَ عِبادةُ الأحرارِ .

رُدُّوا الحجرَ مِن حَيثُ جاءَ فإنَّ الشرَّ لا يدفعهُ إلّا الشرُّ .

الخُطبة البَتْراء

لزيادبن أبيه

هو زيادبن ابى سفيان ،كان مولده بالطائف عام الفتح و نشا غلاما فصيحا شجاعا ، و كتب للمغيرة ابن شعبة ثم لابى موسى الا شعرى والى البصرة من قبل عمر ثم لابن عامر ثم لابن عباس،فاظهر من المهارة ما جمع القلوب على حبّه . و كان مع علىّ بن ابى طالب (ع)، فولّاه فارس و كانت حينئذ مضطربة على الخلافة فاستطاع بخداعه و تدبيره من ايقاع الشقاق بين رؤساء المشاغبين ، و ما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت سائرتهم و ظلّ يتولّى الاعمال لعلىّ بن ابى طالب (ع) حتى قُتل علىّ فاستقدمه معاوية فاستجاب له وقدم عليه فاستلحقه معاوية بنسب ابيه ابى سفيان و ادّعاه اخاله فسمّى زيادبن ابى سفيان ثم ولّاه البصرة واعمالها وخراسان وسجستان و ما وليهما وكانت ولايته ثمان سنين . و يعدّ زياد من دهاة العرب ونوابغها وساستها و خطبائها . و قد اشتدّ فى العقوبة حتى شمل خوفه جميع الناس . ومات فى الكوفة سنة ٥٣ ﻫ .

و من خطبه البليغة خطبته حين قدم الى البصرة واليا لمعاوية بن ابى سفيان ، وكان الفسق بالبصرة كثير فاش واموال الناس منتهبة والسياسة ضعيفة . وقداشتهرت

خطبته هذه بالبتراء لانه لم يحمدالله فيه و اليك الخطبة كما ورد في « البيان و التبيين » (١).

أما بَعْدُ ، فَإنَّ الجَهالَةَ الجَهلاء ، و الضَّلالَةَ العَمياء ، وَ الغَيَّ (٢) المُوفي بِأَهْلِهِ عَلى النَّارِ ، ما فيهِ سُفهاؤُكُمْ وَ يشتَمِلُ عَلَيْهِ حُلماؤُكُمْ مِنَ الْأُمورِ العِظام ؛ يَنْبُتُ فيها الصَّغيرُ ، وَلا يَتحاشى (٣) عَنهُ الكَبيرُ . كَأَنَّكُمْ لَمْ تَقرَأوا كِتابَ اللهِ ، وَلَمْ تَسمَعُوا ما أَعَدَّ اللهُ مِنَ الثَّوابِ الكَريمِ لِأَهْلِ طاعَتِهِ ، وَ العَذابِ الأَليمِ لِأَهْلِ مَعْصيَتِهِ ، في الزَّمَنِ السَّرمَدِيِّ (٤) الَّذي لا يَزُولُ . أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَيْنَيْهِ الدُّنيا ، وَ سَدَّتْ مَسامِعَهُ الشَّهَواتُ ، وَ اخْتارَ الفانِيَةَ عَلى الباقِيَةِ ، وَلا تَذكُرُونَ أَنَّكُمْ أَحْدَثْتُمْ فِي الإِسلامِ الحَدَثَ الَّذي لَمْ تُسبَقُوا إِلَيْهِ ، مِنْ تَرْكِكُمُ الضَّعِيفَ يُقهَرُ وَ يُؤخَذُ مالُهُ !؟ وَ الضَّعيفَةَ المَسْلوبَةَ (٥) في النَّهارِ لا تُنصَرُ ، ما هَذِهِ المَواخيرُ (٦)

---

(١) ج ٢ ص ٥٠ - ٤٧ طبع السندوبى .

(٢) الغيّ : الضلالة .

(٣) لا يتحاشى : لا يجتنب و لا يتنزّه .

(٤) الزمن السرمدى : مالا أوّل له و لاآخر .

(٥) ذكروا انه كانت المرأة من اهل البلد تأخذها الفتيان الفسّاق ويقولون لها نادى ثلاثة اصوات فان أجابك أحد و الاّ فلا لوم علينا فيما نصنع ، فبلغ ذلك زياداً فغضب وأمهلهم شهراً ثم دعا عبدالله بن حصين اليربوعى صاحب شرطه وأمره بأن يأتى برأس كل من لقيه خارج منزله بعد العشاء الأخيرة و لوكان ابنه فجاءه في اول ليلة بسبعمأة رأس وفي الثانية بخمسين رأساً و في الثالثة برأس واحد . و كفّ الفسّاق عن المعاصى .

(٦) المواخير : جمع الماخُور و هو مجلس الفسّاق وبيت الريبة والدعارة. ويطلق ايضاً على من يلى ذلك البيت و يقود اليه .

المَنصُوبَةُ وَ العَددُ غيرُ قليلٍ ؟ أَلَمْ تكُنْ مِنكُمْ نُهاةٌ تمنعُ الغُواةَ عن دَلجِ اللَّيلِ [١] وغارةِ النهارِ ؟

قرّبتُم القرابةَ وباعدتُم الدينَ ، تعتذرونَ بغيرِ العُذرِ وتغضونَ عنِ المُختلسِ [٢] كلُّ امرئٍ منكُمْ يذبُّ [٣] عن سفيهِهِ ، صنيعَ مَنْ لا يخافُ عاقبةً ولا يرجو معاداً . ما أنتُمْ بالحُلماءِ وَ لَقدِ اتَّبعتُم السُّفهاءَ ، فلَمْ يزَلْ بكُمْ ما تَروْنَ مِنْ قيامِكُمْ دونَهُمْ حتى انتهكوا حُرَمَ [٤] الإسلامِ ثُمَّ أطرقوا وراءَكُم كُنوساً في مكانسِ الرِّيَبِ [٥] . حرامٌ عليَّ الطعامُ وَ الشرابُ حتى أُسوّيها بالأرضِ هدماً وَ إحراقاً .

إنِّي رَأيتُ آخِرَ هذا الأمرِ لا يَصلحُ إلا بما صلحَ بِهِ أوّلُهُ : لينٌ في غيرِ ضَعفٍ وَشِدّةٌ في غيرِ عُنفٍ . وَ إنِّي أُقسمُ باللهِ لآخذنَّ الوليَّ بالمولى وَ المُقيمَ بالظَّاعِنِ [٦] ، وَ المُقبلَ بالمُدبرِ ، وَ المُطيعَ بالعاصي ، و الصَّحيحَ مِنكُمْ في نفسِهِ بالسَّقيمِ ، حتى يلقى الرجلُ منكُمْ أخاهُ فيقولُ : أَنجُ سَعدُ فقدْ هلكَ سُعَيدٌ [٧] ، أو تستقيمَ قناتُكُم .

---

(١) دَلَج الليل : السير فى الليل .

(٢) المختلس : هو الذى يسلب مال الناس بخدعة و عاجلاً .

(٣) يذُبّ : يدافع و يحامى عنه .

(٤) حُرَم : جمع الحرْمَة ، ما وجب القيام به من حقوق الله .

(٥) مكانس الريب : مداخلها .

(٦) الظاعن : الراحل ، المسافر .

(٧) سَعد و سُعيد : اخوان ذهبا فى حاجة فهلك احدهمـا و نجا الاخر و اصبحا مثلاً يضرب .

إنَّ كَذْبةَ المِـنبرِ[١] بلقاءُ مشهورةٌ ، فإذا تعلّقتم عليَّ بكذبةٍ فقد حلّت لـكُم معصيتي ، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها فيَّ و اعلموا أنَّ عندي أمثالهـا .

من نقبَ منكم عليهِ فأنـا ضامنٌ لما ذهبَ منهُ ، فإيّايَ و دلجَ الليل فإني لا أوتى بمدلجٍ إلّا سفكتُ دمهُ ، و قد أجلتكم في ذلكَ بمقدارِ ما يأتي الخبرُ الكوفةَ و يرجعُ إليكُم . وَ إيّايَ و دعوى الجاهليّةِ[٢] ، فإني لا أجدُ أحداً دعا بها إلّا قطعتُ لسانهُ .

وَ قد أحدثتُم أحداثاً لم تكنْ ، وَ قد أحدثنا لكلِّ ذنبٍ عقوبةً ، فمن غرّقَ بيوتَ قومٍ غرّقناهُ ، و من احرقَ على قومٍ احرقناهُ ، و من نقبَ بيتاً نقبنا على قلبِهِ ، و من نبشَ قبراً دفنـاهُ حيّاً فيهِ . فكفّوا عني أيديكُم و ألسنتـكُم أكففْ عنكُم يدي و لساني ، وَ لا تظهرْ من أحدٍ منكُم ريبةٌ بخلافِ ما عليهِ عامّتكُم فأضربْ عنقهُ .

وَ قد كانتْ بيني وَ بينَ أقوامٍ إحنٌ[٣] فجعلتُ ذلكَ دبرَ أذني[٤] وَ تحتَ قدمي ، فـمن كانَ منكُم محسناً فليزددْ إحساناً ، وَ من كانَ منكُم

---

(١) وروى كذبة الأمير .

(٢) يريد بدعوى الجاهلية الاعتزاء الى القبيلة ، و هو ان يقول فى الأمر حل به (يا ال فلان).

(٣) الإحن : جمع الإحنة ، الحقد و الضغينة .

(٤) اى لم استمع اليه .

مُسيئاً فَلْيَنْزِعْ عَنْ إساءَتِه ، إنّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أحدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلالُ[(١)] مِنْ بُغْضي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِناعاً وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْراً حَتّى يُبْدِيَ لي صَفْحَتَهُ[(٢)] ، فإذا فَعَلَ ذلِكَ لَمْ أُناظِرْهُ[(٣)] . فَاسْتأنِفوا أُمورَكُمْ وأَعينوا على أَنْفُسِكُمْ فرُبَّ مُبْتَئِسٍ[(٤)] بِقُدومِنا سَيُسَرُّ ، وَمَسْرورٍ بِقُدومِنا سَيَبْتَئِسُ .

أيُّها النّاسُ ، إنّا أَصْبَحْنا لَكُمْ ساسَةً وَعَنْكُمْ ذادَةً[(٥)] نَسوسُكُمْ بِسُلْطانِ اللهِ الّذي أَعْطانا ، وَنَذودُ عَنْكُمْ بِفَيْءِ اللهِ[(٦)] الّذي خَوَّلَنا[(٧)] ، فَلَنا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ والطّاعَةُ فيما أَحْبَبْنا وَلَكُمْ عَلَيْنا العَدْلُ والإنْصافُ فيما وَلينا ، فَاسْتَوْجِبوا عَدْلَنا وَفَيْئَنا بِمُناصَحَتِكُمْ لَنا ، واعْلَموا أَنّي مَهما قَصَّرْتُ عَنْهُ فَلَنْ أُقَصِّرَ عَنْ ثَلاثٍ : لَسْتُ مُحْتَجِباً عَنْ طالِبِ حاجَةٍ مِنْكُمْ وَلَوْ أَتاني طارِقاً بِلَيْلٍ ، وَلا حابِساً عَطاءً وَلا رِزْقاً عَنْ إبّانِهِ[(٨)] ، وَلا مُجَمِّراً لَكُمْ بَعْثاً .[(٩)] فَادْعوا اللهَ بِالصَّلاحِ لِأَئِمَّتِكُمْ فَإِنَّهُمْ ساسَتُكُمْ المُؤَدِّبونَ لَكُمْ ،

---

(١) السلال ، ويروى السل ، كلاهما واحد و هو المرض المعروف .

(٢) حتى يبدى لى صفحته : حتى يجاهرنى بالعداوة .

(٣) لم أناظره : اى أضربه دون مباحثة او مجادلة .

(٤) المبتئس : الحزين الكئيب :

(٥) ذادة : جمع ذائد ، اى مدافعون .

(٦) الفيئى : الخراج .

(٧) خوَّلنا : اعطانا .

(٨) عن ابّانه : عن موعده .

(٩) و لامجمّراً : من تجمّر الجيش ، اى تحبّس فى ارض العدوّ . يقول لا احبس جيشكم فى ارض العدوّ .

وكَهْفُكُم (١) الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ، وَمَتَى يَصْلُحُوا تَصْلُحُوا . و لا تُشْرِبُوا قُلُوبَكُم بُغْضَهُم فَيَشْتَدَّ لِذَلِكَ غَيْظُكُم وَيَطُولَ لَهُ حُزْنُكُمْ ، وَلا تَذْكُرُوا حَاجَتَكُمْ.مع أَنَّهُ لَوْ اسْتُجِيبَ لَكُم فيهم لَكَانَ شَراً لَكُم . أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِينَ كُلّاً عَلى كُلٍّ ، و إِذا رَأَيْتُم أُنْفِذُ فِيكُمْ الأَمْرَ فَأَنْفِذُوهُ عَلَى أَذْلالِهِ (٢) و أَيْمُ اللهِ إِنَّ لِي فيكُم لَصَرْعَى (٣) كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرْ كُلُّ امْرِئٍ مِنكُم أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَايَ .

من خطب الحجّاج

هو ابومحمد الحجّاج بن يوسف الثقفى، احد جبابرةالعرب وساستها ، ذكروا انه كان آية فى البلاغة و فصاحة اللسان و قوّة الحجة . ولد سنة ٤٢ هـ. وكان اول امره يعلّم الصبيان مع ابيه بالطائف ثم دخل فى خدمة عبدالملك الخليفة الاموى و تقدّم فى المناصب بما اظهر من الكفاءة والرأى، فولّاه الخليفة قيادة جيش ارسله لقتال عبدالله بن الزبير فسار اليه الحجّاج و حاصره بمكة و قتله و أزال ملكه،ثم ولّاه بعد ذلك على العراق لماكان العراق حينئذ متمرّداًعليه وقد اعجزه أمره.فاستعمل الحجّاج هناك من الشدّة و القسوة والارهاب و سفك الدّماء مالم يُسمع بمثله وأمره

---

(١) الكَهف : الملجأ ، البيت المنقور فى الجبل و هو اكبر من الغار .

(٢) أذلال : جمع الذّل ، على اذلاله اى على حاله التى هو عليها دون تغييره و لا تبديل .

(٣) الصرعى : جمع الصريع و هوالمصروع .

مشهور ، ومع ذلك فقد كان لمقدرته الخطابيّة اذا رقى المنبر و ذكر احسانه الى اهل العراق و صفحه عنهم واسائتهم اليه يخيل الى السامع أنّه صادق و أنّ اهل العراق ظالموه ، و هذه خطبة خطب بها أهل العراق بعد دير الجماجم و هو مكان كانت به وقائع بين جيوش الحجّاج و ابن الأشعث .

« يا أَهْلَ الْعِراقِ ، إنَّ الشَّيْطانَ قَدِ اسْتَبْطَنَكُمْ فَخالَطَ اللَّحْمَ وَ الدَّمَ و العَصَبَ و الْمَسامِعَ و الْأَطْرافَ و الْأَعْضاءَ و الشَّغافَ (١) ثُمَّ أَفْضى إلَى الأَمْخاخِ و الأَصْماخِ (٢) ثُمَّ ارْتَفَعَ فَعَشَّشَ ثُمَّ باضَ وَ فَرَّخَ ، فَحَشاكُمْ نِفاقاً وَ شِقاقاً وأَشْعَرَكُم خِلافاً، أَخَذْتُمُوهُ دَليلًا تَتَّبِعُونَهُ وقائِداً تُطيعُونَهُ ومُؤامِراً تَسْتَشيرُونَهُ فَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَةٌ أَوْ تَعِظُكُمْ وَقْعَةٌ أَوْ يَحْجُزُكُمْ إِسْلامٌ أَوْ يَنْفَعُكُمْ بَيانٌ ! أَلَسْتُمْ أَصْحابي بِالْأَهْوازِ (٣) حَيْثُ رُمْتُمُ الْمَكْرَ و سَعَيْتُمْ بِالْغَدْرِ وَ اسْتَجْمَعْتُمْ لِلْكُفْرِ و ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ يَخْذُلُ دينَهُ وَ خِلافَتَهُ !؟ و أَنَا أَرْميكُمْ بِطَرْفي و أَنْتُمْ تَتَسَلَّلونَ (٤) لِواذاً (٥) وتَنْهَزِمُونَ سِراعاً ! ثُمَّ يَوْمَ الزّاوِيَةِ (٢) ، وَ مايَوْمُ الزّاوِيَةِ ! بِها كانَ فَشَلُكُمْ و تَنازُعُكُم وتَخاذُلُكُم وبَراءَةُ اللهِ مِنْكُم

---

(١) الشَّغاف : غلاف القلب ، حبّته .

(٢) الامخاخ : استعمل جمعاً للمُخّ وكذلك الأصماخ للصماخ و هو خرق الاذن الباطن الماضى الى الرأس .

(٣) محل كانت به واقعة بين الحجاج و ابن الأشعث .

(٤) تتسلّلون : تهربون فى استخفاء .

(٥) لِواذاً : التجاءً .

وَنُكُوص (١) وَلِيَكُمْ عَنْكُمْ إذْوَلَّيْتُم كالإبلِ الشَّوارِدِ إلى أوْطانِها، النَّوازِعِ إلَى أعْطانِها (٢)، لا يَسْأَلُ المرْءُ عنْ أخيهِ وَلا يَلْوِي الشَّيْخُ على بَنيهِ حَتَّى عَضَّكُمُ السِّلاحُ و قَعَصَتْكُمُ (٣) الرِّماحُ. ثُمَّ يوم دَيْرِ الجَماجِم (٣)، وَما يَوْمُ دَيْرِ الجَماجِم! بِها كانَتِ المَعارِكُ و المَلاحِمُ بِضَرْبٍ يُزيلُ الهامَ عَنْ مَقيلِهِ و يُذْهِلُ الخَليلَ عَنْ خَليلِه.

يا أَهْلَ العِراقِ ... ! إنْ بَعَثْتُكُمْ إلى ثُغُورِكُمْ غَلَلْتُمْ (٤) وخُنْتُمْ، وَإنْ أَمِنْتُمْ أرْجَفْتُمْ (٥) و إنْ خِفْتُمْ نافَقْتُمْ، لاتَذْكُرُونَ حَسَنَةً وَلا تَشْكُرُونَ نِعْمَةً، هَلْ اُسْتَخَفَّكُمْ ناكِثٌ (٦) أوِاسْتَغْواكُمْ غاوٍ أوِاسْتَنْصَرَكُمْ ظالِمٌ أوِاسْتَعْضَدَكُمْ (٧) خالِعٌ! إلَّا تَبِعْتُمُوهُ و آوَيْتُمُوهُ و نَصَرْتُمُوهُ ورَحَّبْتُمُوهُ ..!؟ يا أَهْلَ العِراقِ، هل شَغَبَ (٨) شاغِبٌ او نَعَبَ ناعِبٌ اوزَفَرَ زافِرٌ إلّا كُنْتُمْ أتْباعَهُ و أنْصارَه؟ يا أهلَ العِراقِ، أَلَمْ تَنْهَكُمُ المَواعِظُ، أَلَمْ تَزْجُرْكُمُ الوَقائِعُ ...؟

(البيان والتبيين ١١٨/٢)

---

(١) النكوص : الإحجام ، الكف عن الشيئ ، الرجوع عماكان عليه .

(٢) الأعطان : جمع العطَن و هو مبرك الإبل حول الماء .

(٣) قعصتكم : قتلتكم .

(٤) غللتم : سرقتم .

(٥) أرجفتم : اذعتم اخبار السوء قصد أن تهيّجوا الناس و تُثيروا الفتن .

(٦) الناكث : الناقض للعهد .

(٧) استعضدكم : اتخذكم له أعضاداً .

(٨) هل شَغَب . . . الخ اى كلّما علا صوت من ايّ جهة لتهييج الشر واثارة الفتنة فأنتم تجيبونه .

من رسائل صدر الاسلام

يوصف الترسل فى صدر الاسلام بالبساطة، و مزاياه البارزة المتانة و الايجاز و البعد عن التصنّع، وفيما يلى امثلة منها :

١ - كتاب عمر بن الخطّاب الى ابى موسى عامله بالبصرة

وهو عمر بن الخطّاب بن نفيل يكنّى بابى حفص ويلقّب بالفاروق . وُلد بمكة وكان فى صغره يرعى الغنم لأبيه ثمّ احترف التجارة . و كان يعارض الدعوة الاسلامية معارضة شديدة فى مبدء الامر ، و أسلم قبل الهجرة باربع سنين وكان لاسلامه أثر كبير فى ظهور الاسلام و شوكته وقد شهد مع الرسول فى بدر وأحد و الخندق و بيعة الرضوان وغيرها .

قام بالأمر بعد ابى بكر فى سنة ١٣ ﻫ . وكان ابوبكر هو الذى اختاره خليفة له من بعده و تمّت معظم الفتوح الاسلامية فى عهده على حساب الدولتين العظيمتين : الايرانية و الرومانية . و نسب بعض المؤرّخين احراق مكاتب ايران والاسكندرية اليه وخاض بعض المتأخرين من المستشرقين و غيرهم فى هذه المسئلة ولهم آراء مختلفة فيها. (١) على انه كان شديد الحرص على منع المسلمين من الاشتغال بكتاب غير القرآن . روى انه اتى عمر بن الخطاب رجل فقال انا لما فتحنا المدائن أصبت كتاباً فيه كلام معجب . قال : أمن كتاب الله ؟ قال لا ، فدعا عمر بالدرة وجعل يضربه بها ... ثم قال له انما أهلك من كان قبلكم أنهم اقبلوا على كتب علمائهم و اساقفتهم و تركوا التوراة و الانجيل حتى درس و ذهب ما فيها من العلم .

---

(١) راجع تلك الآراء و الدلائل التى أقاموا عليها : فى تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ج ٣ ، ص ٤٢–٤٧ و تاريخ الاسلام السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى للدكتور حسن ابراهيم حسن الجزء الاول ص ١٨٦–١٩٠ .

قتل عمر بن الخطاب فی شهر ذی الحجة سنة ٢٣ ﻫ . فی الثالثة و الستین من عمره،قتله رجل من اهل نهاوند یدعی فیروزویکنّی ابا لؤلؤة(١) کان قد أسره الروم ثم أسره العرب و اتخذه المغیرة بن شعبة غلاماً له . واتّهموا الهرمزان ایضاً بممالأته علی قتل عمر (٢) . و ظنّوا أنّ له ید فی قتله فقال له یوماً

(١) ذکروا انه لمّا قدم سبی نهاوند المدینة صار ابو لؤلؤة لا یلقی منهم صغیراً الّا مسح رأسه و بکی و قال : « اکل عمر کبدی » و وصف المسعودی واقعة قتل عمر کما یلی : « و کان عمر لا یترك احداً من العجم یدخل المدینة ، فکتب الیه المغیرة بن شعبة ان عندی غلاماً نقاشاً نجاراً حداداً فیه منافع لأهل المدینة فان رأیت أن تأذن لی فی الارسال به فعلت، فأذن له وقدکان المغیرة جعل علیه کل یوم درهمین، وکان یدعی أبالؤلؤة، وکان مجوسیاً من أهل نهاوند . فلبث ماشاء الله . ثم أتی عمر یشکو الیه ثقل خراجه ، فقال له عمر : وما تحسن من الأعمال ؟ قال نقّاش ، نجّار ،حدّاد ، فقال له عمر : ماخراجك بکثیر فی کنه ما تحسن من الأعمال ، فمضی عنه و هو مدبر ، قال : ثم مرّ بعمر یوماً آخر و هو قاعد ، فقال له عمر : ألم أُحَدَّثْ عنك انك تقول : لو شئت أنْ أصنع رحاً تطحن بالریح لفعلت ، فقال ابولؤلؤة : لأصْنعنّ لك رحاً یتحدث الناس بها ، و مضی ابو لؤلؤة فقال عمر : اما العلج فقد توعدنی آنفاً ، فلما أزمع بالذی او عدبه أخذ خنجْراً فاشتمل علیه ثم قعد لعمر فی زاویة من زوایا المسجد فی الغلس ، وکان عمر یخرج فی السحر و یوقظ الناس ، فمر به، فثار الیه فطعنه ثلاث طعنات احداهنّ تحت سرّته وهی التّی قتلته، و طعن اثنی عشر رجلا من اهل المسجد فمات منهم ستة و بقی ستة ، و نحر نفسه بخنجره فمات » (مروج الذهب ٢١٢/٢٠) .

(٢) و الهرمزان هذاکان من مشاهیر قوّاد الدولة الساسانیة ومن عمّال هذه الدولة علی کور الأهواز و المهرجا نقذق و قد حارب العرب محاربة شدیدة فی القادسیة ثم فی رامهرمز و تُستر : و له وقایع مع أبی موسی الأشعری عامل عمر علی البصرة و الذی بعثه عمر لفتح الأهواز و مایلیها . و قد أسر الهرمزان فی تستر و سیق الی المدینة فأسلم و بقی هناك و کان عمر یشاوره فی أمر الملك ونسبوا الیه وضع اوّل دیوان فی الاسلام. راجع التفصیل فی کتاب « فرهنگ ایرانی و تأثیر آن در تمدن اسلام و عرب » للمؤلف . طهران ١٣٢٣ ص ٥٩ـ٦٢ .

عبيدالله بن عمر امض بنا ننظر الى فرس لى فمضى و عبيد الله خلفه فضربه بالسيف و هو غافل . (١)

و اليك الكتاب كما نقله الجاحظ (٢) .

« أَما بَعْد : فَإِنَّ لِلنَّاسِ نُفْرَةً عَنْ سُلْطانِهِمْ ، فَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكَني وَ إِيَّاكَ عَمياءُ مَجْهُولَةٌ، وَضَغائِنُ مَحْمُولَةٌ [٣] ، وَأَهْواءٌ مُتَّبَعَةٌ ، وَدُنْيا مُؤْثَرَةٌ [٤] . فَأَقِمِ الْحُدُودَ وَلَوْ ساعَةً مِنْ نَهارٍ . و إذا عَرَضَ لَكَ أَمْرانِ أَحَدُهُما لِلهِ وَ الْآخَرُ لِلدُّنْيا ، فَآثِرْ نَصيبَكَ مِنَ الْآخِرَةِ عَلى نَصيبِكَ مِنَ الدُّنْيا ، فَإِنَّ الدُّنْيا تَنْفَدُ و الْآخِرَةَ تَبْقَى . وَكُنْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَلى وَجَلٍ [٥] . وَ أَخِفِ الْفُسَّاقَ وَ اجْعَلْهُم يداً يداً وَ رِجْلاً رِجْلاً ، وإذا كانَتْ بَيْنَ الْقَبائِلِ نائِرَةٌ [٦] و تَداعَوْا : يا آلَ فُلانٍ، فَإِنَّما تِلْكَ نَجْوى الشَّيْطانِ، فَاضْرِبْهُم حَتَّى يَفيئُوا [٧] إِلى أَمْرِ اللهِ وَ تَكُونَ دَعْواهُم إِلَى اللهِ وَ إِلى الإِمامِ ، وَ قَدْ بَلَغَ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ أَنَّ ضَبَّةَ تَدْعُو : يا آلَ ضَبَّةَ ، وَ إِنِّي وَاللهِ ما أَعْلَمُ أَنَّ ضَبَّةَ ساقَ اللهُ بِها خَيْراً

---

(١) فتوح البلدان ٣٧٤ .

(٢) البيان و التبين ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

(٣) الضغائن : جمع الضغينة و هى الحقد .

(٤) آثره : اختاره و فضله .

(٥) الوجل : الخوف .

(٦) النائرة : الفتنة الهائجة .

(٧) يفيئوا : يرجعوا .

قطُّ ولا منع بها سوءاً قطُّ ، فإذا جاءك كتابي هذا فانهكهم عقوبة[١] حتى يفرقوا[٢] إن لم يفقهوا ، والصق بغيلان بن خرشة[٣] من بينهم وعُد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح بابك وباشر أمرهم بنفسك ، أنت امرؤ منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً ، وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصيب فلم يكن لها همة إلا السمن وإنما حتفها في السمن ، واعلم ان للعامل مرداً إلى الله فإذا زاغ العامل[٤] زاغت رعيته ، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام .

---

٢ - كتاب الحجّاج الى سليمان بن عبدالملك (٥)

« كان بين الحجاج وسليمان (قبل أن تولّى الخلافة) جفاء . فكتب سليمان الى الحجّاج كتاباً شديد اللهجة يتهدّده فيه و يغلظ له القول . ولم يكن الحجّاج من الذين يحتملون الضّيم و هو رجل الدولة وسيفها البتّار فاجابه بمايلى :

---

(١) انهكهم عقوبة : بالِغْ فى عقوبتهم .

(٢) يفرقوا : يفزعو ويخافوا .

(٣) غيلان بن خرشة : كان من سراة البصرة .

(٤) زاغ : جار و انحرف عن الحق .

(٥) عن « المختارات السائرة » ٨٤ . نقلا عن جمهرة رسائل العرب .

« بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، مِنَ الحَجَّاجِ بنِ يُوسُفَ إلى سُلَيمانَ بنِ عَبدِ المَلكِ ، سَلامٌ عَلى مَن اتَّبعَ الهُدى ، أَمّا بَعدُ ؛ فإنَّكَ كَتَبتَ إلَيَّ تَذكُرُ أنِّي امرُؤٌ مهتوكٌ عَنِّي حِجابُ الحَقِّ ، مُولَعٌ بما عَلَيَّ لا لي ، مُنصرِفٌ عن مَنافِعي ، تارِكٌ لِحظِّي ، مُستَخِفٌّ بِحَقِّ اللهِ وحَقِّ وَليِّ الحَقِّ . وَ تذكُرُ أنَّكَ ذو مُصاوَلَةٍ [1] . و لَعَمري إنَّكَ لَصَبيٌّ حَديثُ السِّنِّ تُعذَرُ بِقِلَّةِ عَقلِكَ وَحداثَةِ سِنِّكَ ، وَ يُرقَبُ فيكَ غَيرُكَ .

فَأَمّا كِتابُكَ إلَيَّ فَلَعَمري لَقَدْ ضَعُفَ فيهِ عَقلُكَ و استَخَفَّ بِهِ حِلمُكَ . فَلِلّهِ أبوكَ ! أَفَلا انتَصَرتَ بِقَضاءِ اللهِ دُونَ قَضائِكَ ، وَ رَجاءِ اللهِ دُونَ رَجائِكَ ، وَ أَمَتَّ غَيظَكَ ، و أَمِنتَ عَدُوَّكَ ، وسَتَرتَ عَنهُ تَدبيرَكَ و لَمْ تُنَبِّهْهُ فَيَلتَمِسَ مِنْ مُكايَدَتِكَ ما تَلتَمِسُ مِنْ مُكايَدَتِهِ ! و لَكِنَّكَ لَمْ تَشِفَّ [2] بِالأُمورِ عِلماً وَلَمْ تُرزَقْ مِنْ أَمرِكَ حَزماً . جَمَعتَ أُموراً دَلَّكَ فيها الشَّيطانُ عَلى أَسوإِ أَمرِكَ ، فَكانَ الجَفاءُ مِنْ خَليقَتِكَ وَ الحُمقُ مِنْ طَبيعَتِكَ ، وَ أَقبَلَ بِكَ الشَّيطانُ وَ أَدبَرَ ، وَحَدَّثَكَ أَنَّكَ لَنْ تَكونَ كامِلاً حَتّى تَتَعاطى ما يَعيبُكَ فَتَحذلَقَتْ [3] حَنجَرَتُكَ لِقَولِهِ و اتَّسَعَ جَوانِبُها لِكَذِبِهِ .

وَ أَمّا قَولُكَ : لو مَلَّكَكَ اللهُ لَعَلَّقتَ زَينَبَ ابنَةَ يُوسُفَ [4] بِثَديَيها

(١) ذو مصاولة : ذو سطوة .

(٢) لم تشفّ : لم تنظر و لم تتأمّل .

(٣) تحذلق : اظهر الحذق و ادّعى اكثر مما عنده . يقال تحذلق فى كلامه اى تظرّف وتكيّس .

(٤) اى اخت الحجّاج .

فَأَرْجو أَنْ يُكْرِمَها اللهُ بِهوانِكَ وَ أَنْ لا يُوَفِّقَ ذٰلِكَ لَكَ إِنْ كانَ ذٰلِكَ مِنْ رَأْيِكَ ، مع اني أَعرِفُ ذٰلِكَ انَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ وَالشَّيْطانُ بَيْنَ كَتِفَيْكَ ، فَشَرٌّ مُمِلٌ عَلَيْكَ عَلى شَرِّ كاتِبٍ راضٍ بِالْخَسْفِ . فَأَحْرِ بِالْحُمْقِ أَنْ لا يَدُلَّكَ عَلى هُدىً وَ لا يَرُدَّكَ إِلّا إِلى رَدَى . و تَحَلَّبَ (١) فُوكَ لِلْخِلافَةِ فَأَنْتَ شامِخُ البَصَرِ طامِحُ النَّظَرِ تَظُنُّ أَنَّكَ حينَ تَمْلِكُها لا تَنْقَطِعُ عَنْكَ مُدَّتُها. إِنَّها لَلُقَطَةُ اللهِ (٢) ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُلْهِمَكَ فيها الشُّكْرَ ، مَعَ اَنّي أَرْجو أَنْ تَرْغَبَ فيما رَغِبَ فيهِ أَبوكَ وَ أَخوكَ فَأَكونَ لَكَ مِثْلي لَهُما . وَ إِنْ نَفَخَ الشَّيْطانُ في مِنْخَرَيْكَ فَهُوَ أَمرٌ أَرادَ اللهُ نَزْعَهُ عَنْكَ وَإِخْراجَهُ إِلى مَنْ هُوَ أَكْمَلُ بِهِ مِنْكَ . وَ لَعَمْري إِنَّها لَنَصيحَةٌ فَإِنْ تَقْبَلْها فَمِثْلَها قُبِلَ ، وَ إِنْ تَرُدَّها عَلَيَّ اقْتَطَعْتُها دونَكَ . وأنا الحجّاج. »

من المختارات السائرة

كتاب الحجاج الى قطريّ بن الفُجَأة ، وردّه عليه .

كان قطرى بن الفجأة رئيس الخوارج الأزارقة والازارقة فرقة منسوبة الى نافع بن الازرق المكنّى بابى راشد الذى كان من اكبر فقهاءهم وهو الذى احدث الفتنة فى البصرة ايام ولاية ابن زياد على العراق واستولى على الاهواز و كثرت اتباعه و استفحل امره واوقع الهزيمة بجيوش الامويين مراراً .

ولم تكن من الخوارج قط فرقة اكثر عدداً و لا اشد شوكة من الازارقة . و قد كفّر نافع و اصحابه المسلمين وقال انه لا يحلّ لاصحابه أن يأكلوا من ذبائحهم و لا أن يتزوّجوا منهم و هم فى نظره مثل الكفار وعبدة الأوثان. ومما امتازوا به شدة تمسكهم بالقرآن و اتباع احكامه و تنفيذ او امره . و قد اشتدوا

(١) تحلّب : سال .

(٢) اللّقطة : اسم للشيئى الذى تجده فتأخذه .

فى معاملة المخالفين لهم من المسلمين حتى كان الكثير منهم لا يرحم المرأة و لا الطفل الرضيع و لا الشيخ الفانى . وهكذا كانوا لا يتورّعون عن ارتكاب اشد اعمال القسوة برغم ماكان من ظهورهم بمظهر العبّاد والزهّاد كماكانوا يأتون افظع المنكرات و اكبر الكبائر، كانهم لايعرفون شفقة ولارحمة و هم مع ذلك لايعجزون عن الاتيان بالايات البيّنات من كتاب الله و احاديث الرسول .

و اما قَطَرى بن الفجأة فقد تولّى رئاسة الازارقة بعد نافع بن الازرق و خليفته ابن الماحوز و استولى زمناً على فارس و الاهواز و طبرستان و العراق و الموصل وجبى خراجها و بقى يسلم عليه بالخلافة من الخوارج عشرين سنة . وكان يحارب جيوش الامويين ويهزمها حتى حدث بين الازارقة اختلاف فى مذهبهم وانقسموا فيما بينهم فانتهزت الدولة الاموية هذه الفرصة وحاربته محاربة شديدة قتل فيها سنة ٧٩ ه. و قطرى من شجعان الخوارج و خطبائها و شعرائها بل عدّوه اخطب الخوارج على الاطلاق . كتب الحجاج بن يوسف اليه :

« سَلامٌ عَلَيْكَ ، أمّا بَعْدُ ، فَإنَّكَ مَرَقْتَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ا(١) قد عَلِمْتَ حَيْثُ تَجَرْثَمْتَ(٢) . ذَلِكَ أنَّكَ عاصٍ لِلّٰهِ وَ لِوُلاةِ أمْرِهِ، غَيْرَ أنَّكَ أعْرابِيٌّ جِلْفٌ(٣) أمِيٌّ تَسْتَطْعِمُ الكِسْرَةَ وَ تَشْتَفِي بِالتَّمْرَةِ ، والأُمُورُ عَلَيْكَ حَسْرَةٌ، خَرَجْتَ لِتَنالَ شَبْعَةً فَلَحِقَ بِكَ طَغامٌ(٤) صُلُوا بِمِثْلِ ماصُلِيتَ بِهِ مِنَ العَيْشِ ، (٥) يَهُزُّونَ الرِّماحَ و يَسْتَنْشِقُونَ الرِّياحَ عَلَى خَوْفٍ وَ جَهْدٍ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَ ما أَصْبَحُوا يَنْتَظِرُونَ أعْظَمَ مِمّا جَهِلُوا مَعْرِفَتَهُ ! ثُمَّ أهْلَكَهُمُ اللهُ

(١) مَرَق السهم من الرَّمِيّة : نفذ فيها و خرج منها . والرَّمِيّة : الصيد يُرمى .

(٢) تجرثمت : سقطت من علو الى أسفل .

(٣) الجِلف : الغليظ الجافى .

(٤) الطغام : اوغاد الناس (أوباش) .

(٥) صُلوا بمثلِ ما صُليت : قاسوا الفقر وضنك العيش بمثل ما قاسيت .

بنزحتين و السلامُ .

وأجابه قطرىّ بن الفجاءة بمايلى :

مِنْ قَطَرِيّ بْنِ الْفُجَأَةِ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُف :

سَلامٌ عَلَى الْهُدَاةِ مِنَ الْوُلاةِ الَّذِينَ يَرْعَوْنَ حَرِيمَ اللهِ وَ يَرْهَبُونَ نِقَمَه، (١) فَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَى مَا أَظْهَرَ مِنْ دِينِهِ وَ أَظْلَعَ بِهِ أَهْلَ السَّفَالَةِ وَ هَدَى بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ و نَصَرَ بِهِ عِنْدَ اسْتِخْفَافِكَ بِحَقِّهِ ، كَتَبْتَ إِلَيَّ تَذْكُرُ أَنِّي أَعْرَابِيٌّ جِلْفٌ أُمِّيٌّ أَسْتَطْعِمُ الْكِسْرَةَ وَ أَشْتَفِي بِالتَّمْرَةِ ! و لَعَمْرِي يا ابْنَ أُمِّ الْحَجَّاجِ إِنَّكَ لَمِيتٌ فِي جِبِلَّتِكَ مُطَّلِخِمٌ (٢) فِي طَرِيقَتِكَ ، وَاهٍ (٣) فِي وَثِيقَتِكَ لا تَعْرِفُ اللهَ و لا تَجْزَعُ مِنْ خَطِيئَتِكَ ، يَئِسْتَ وَ اسْتَيْأَسْتَ مِنْ رَبِّكَ ، فَالشَّيْطانُ قَرِينُكَ لا تُجَاذِبُهُ وِثَاقَكَ و لا تُنَازِعُهُ خِنَاقَكَ ، فَالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَوْ شَاءَ أَبْرَزَ لِي صَفْحَتَكَ وَ أَوْضَحَ لِي طَلْعَتَكَ ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ قَطَرِيّ بِيَدِهِ لَعَرَفْتَ أَنَّ مُقَارَعَةَ الأَبْطالِ لَيْسَتْ كَتَصْدِيرِ الْمَقالِ ، مَعَ أَنِّي أَرْجُو أَنْ يَدْحَضَ اللهُ حُجَّتَكَ (٤) وَ أَنْ يَمْنَحَنِي مُهْجَتَكَ .

البيان والتبيين ٢٤٨/٢

رسالة هشام بن عبدالملك الى خالد بن عبدالله والى العراق

و هو هشام بن عبدالملك من الخلفاء الامويين ولى الخلافة سنة ١٠٥ هـ. فى اليوم الذى مات فيه اخوه يزيدبن عبدالملك و بقى فى الخلافة تسع عشرة سنة وسبعة اشهر و اياماً و توفى سنة ١٢٥ هـ. وانتقل الخلافة منه الى الوليدبن يزيد .

---

(١) النقم : المعاقبة :

(٢) مطلخم : مضطجع .

(٣) واه : ضعيف ، مسترخى .

(٤) دحض حجته : أبطلها .

و اشتهر هشام بالتدبير و حسن السياسة و غزارة العقل كما اشتهر بامعانه فى الانتقام من العلويين و التنكيل بهم كلما امكنته الفرصة و عرف ايضا بخشونة الطبع و شدة البخل(١). واليك رسالته التى كتبها عنه عبدالله بن سالم سنة ١٦٩ هـ :

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ أَمْرٌ لَمْ يَحْتَمِلْهُ لَكَ إِلَّا لِمَا أَحَبَّ مِنْ رَبِّ الصَّنِيعَةِ قِبَلَكَ (٢) وَ اسْتِتْمَامِ مَعْرُوفِهِ عِنْدَكَ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقَّ مَنِ اسْتَصْلَحَ مَا فَسَدَ عَلَيْهِ مِنْكَ. فَإِنْ تَعُدْ لِمِثْلِ مَقَالَتِكَ وَ مَا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ رَأَى فِي مُعَاجَلَتِكَ بِالْعُقُوبَةِ رَأْيَهُ. إِنَّ النِّعْمَةَ إِذَا طَالَتْ بِالْعَبْدِ مُمْتَدَّةً أَبْطَرَتْهُ (٣) فَأَسَاءَ حَمْلَ الْكَرَامَةِ وَ اسْتَقَلَّ الْعَافِيَةَ، (٤) وَ نَسَبَ مَا فِي يَدَيْهِ إِلَى حِيلَتِهِ وَحَسَبِهِ وَبَيْتِهِ وَرَهْطِهِ وَعَشِيرَتِهِ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ الْغِيَرُ وَانْكَشَطَتْ (٥) عَنْهُ عَمَايَةُ الْغَيِّ وَالسُّلْطَانِ ذَلَّ مُنْقَاداً وَنَدِمَ حَسِيراً، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ عَدُوُّهُ قَادِراً عَلَيْهِ قَاهِراً لَهُ. وَ لَوْ أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِفْسَادَكَ لَجَمَعَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ مَنْ شَهِدَ فَلَتَاتِ (٦) خَطَلِكَ (٧) وَ عَظِيمَ زَلَلِكَ حَيْثُ تَقُولُ لِجُلَسَائِكَ: وَاللهِ مَا زَادَتْنِي وِلَايَةُ الْعِرَاقِ شَرَفاً، وَلا وَلَّانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ مَنْ قَبْلِي مِمَّنْ هُوَ دُونِي يَلِي مِثْلَهُ. وَ لَعَمْرِي لَوِ ابْتُلِيتَ بِبَعْضِ

(١) مروج الذهب ج ٢ ، ١٨٤ .

(٢) ربّ الصنيعة قِبلك : اتمام الاحسان اليك . ربّ النعمة اى زادها .

(٣) أبطرته : حملته على الطغيان .

(٤) استقل العافية : عدها قليلا .

(٥) انكشطت : انكشفت وزالت .

(٦) الفلتات : جمع الفلتة و هى الزلة والهفوة والكلام من غير تدبّر .

(٧) الخطل : الكلام الكثير الفاسد : الحمق .

مَقاوِمِ الحَجّاج في أهلِ العِراقِ في تِلْكَ المَضايِقِ التي لَقِيَ ، لَعَلِمْتَ أنَّكَ رَجُلٌ مِنْ بَجيلَة ، فَقَدْ خَرَجَ عَلَيْكَ أرْبَعُونَ رَجُلاً فَغَلَبُوكَ على بَيْتِ مالِكَ وَخزائِنِكَ حَتّى قُلْتَ : أَطْعِموني ماءً ، دَهْشاً وبَعْلاً [1] وجُبْناً ، فَما اسْتَطَعْتَهُمْ إلّا بِأَمانٍ ثُمَّ أَخْفَرْتَ ذِمَّتَكَ (منهم رزين واصحابه) . وَلَعَمْري انْ لَوْ حاوَلَ أميرُ المُؤمِنينَ مُكافَأَتَكَ في خَطَلِكَ بِمَجْلِسِكَ ، وجُحُودِكَ فَضْلَهُ إلَيْكَ وتَصْغيرِ ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ فَحَلَّ العُقْدَةَ ونَقَضَ الصَّنيعَةَ ، وَرَدَّكَ إلى مَنْزِلَةٍ أنْتَ أَهْلُها ، كُنْتَ لِذلِكَ مُسْتَحِقّاً فَهذا جَدُّكَ يَزيدُ بْنُ أَسَدٍ قَدْ حَشَدَ مَعَ مُعاوِيَةَ في يَوْمِ صِفّينَ ، وعَرَّضَ لَهُ دينَهُ ودَمَهُ فَما اصْطَنَعَ إلّا عِنْدَهُ ، ولا وَلّاهُ ما اصْطَنَعَ إلَيْكَ أميرُ المُؤمِنينَ ووَلّاكَ وقَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ وبُيُوتاتِهِمْ مَنْ قَبيلَتُهُ اكْرَمُ مِن قَبيلَتِكَ ، مِنْ كِنْدَةَ وغَسّانَ وآلِ ذي يَزَنَ وذي كَلاعٍ وذي رُعَيْنٍ في نُظَرائِهِمْ مِنْ بُيُوتاتِ قَوْمِهِمْ ، كُلُّهُمْ اكْرَمُ أَوَّلِيَّةً وأَشْرَفُ أَسْلافاً مِنْ آلِ عَبْدِاللهِ ابْنِ يَزيد . ثُمَّ آثَرَكَ أميرُ المُؤمِنينَ بِوِلايَةِ العِراقِ بِلا بَيْتٍ رَفيعٍ ولا شَرَفٍ قَديمٍ ، وهذِهِ البُيُوتاتُ تَعْلُوكَ وتَغْمُرُكَ ، وتُسْكِتُكَ وتَتَقَدَّمُكَ في المَحافِلِ وَالمَجامِعِ عِنْدَ بَداةِ الأُمُورِ وأَبْوابِ الخُلَفاء . وَلَوْ لا ما أَحَبَّ أميرُ المُؤمِنينَ مِنْ رَدِّ غَرْبِكَ [2] لَعاجَلَكَ بِالَّتي كُنْتَ أَهْلَها ، وإنَّها مِنْكَ لَقَريبٌ مَأْخَذُها سَريعٌ مَكْرُوهُها وإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لَمّا رَأى

(١) بعلاً : خوفاً .

(٢) الغرب : الحدّة والنشاط .

إحسانَ أميرِ المؤمنينَ إليكَ ، وسوءِ قيامِكَ بشكرِهِ قلّبَ قلبَهُ فأسخطَهُ عليكَ حتى قبحتْ أمورُكَ عندَهُ ، وآيسَهُ مِنْ شكرِكَ ما ظهرَ مِنْ كفرِكَ النعمةَ عندَكَ ، فأصبحتَ تنتظرُ سقوطَ النعمةِ وزوالَ الكرامةِ وحلولَ الخزيِ ، فتأهبْ لنوازلِ عقوبةِ اللهِ بكَ فإنَّ اللهَ عليكَ أوجدُ [1] ولما عملتَ أكرهُ ، فقدْ أصبحتَ وذنوبُكَ عندَ أميرِ المؤمنينَ أعظمُ مِنْ أنْ يبكّتكَ إلّا راتباً بينَ يديهِ [2] وعندَهُ منْ يقرّرُكَ بها ذنباً ، ويبكّتكَ [3] بما أتيتَ أمراً أمراً ، فقدْ نسيتَهُ وأحصاهُ اللهُ عليكَ . ولقدْ كانَ لأميرِ المؤمنينَ زاجرٌ عنكَ فيما عرفكَ بهِ من التسرّعِ إلى حماقتِكَ في غيرِ واحدةٍ . واللهِ لوْ كنتَ مِنْ ولدِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ما احتملَ لكَ أميرُ المؤمنينَ ما أفسدتَ مِنْ مالِ اللهِ وضيّعتَ مِنْ أمورِ المسلمينَ ، وسلّطتَ مِنْ ولاةِ السوءِ على جميعِ أهلِ كورِ عمالِكَ ، تجمعُ إليكَ الدهاقينُ هدايا النيروزِ والمهرجانِ [4] حابساً لأكثرِها دافعاً لأقلِّها ، معَ مخابثِ مساويكَ التي قدْ أخّرَ أميرُ المؤمنينَ تقريرَكَ بها ومناصبتِكَ أميرَ المؤمنينَ في مولاهُ حسانَ ووكيلِهِ في ضياعِهِ وأحوازِهِ [5] في العراقِ ، وإقدامِكَ على ابنِهِ بما أقدمتَ بهِ . وسيكونُ لأميرِ المؤمنينَ

---

(١) أوجد : أشدّ غضباً .

(٢) راتباً بين يديه . منتصباً بين يديه .

(٣) يبكّتك : يغلبك بالحجة .

(٤) و قد جرت العادة ان تقدم فى النيروز و المهرجان هدايا للحكّام .

(٥) أحوازه : ممتلكاته . و الحوز ، الموضع اذا اقيم حواليه سدّ او عاجز

في ذلك نبأٌ إن لم يعفُ عنك ، ولكنّه يظنّ أنّ الله طالبك بأمورٍ أتيتها، غير تاركك لتكشيفك عنها ، وحملك الأموال ناقصة عن وظائفها التي جباها عمر بن هبيرة، وتوجيهك أخاك أسداً إلى خراسان مظهراً العصبيّة بها، متحاملاً على هذا الحيّ من مضر . فإذا خلوت أو توسطت ملأ فاعرف نفسك ، وخف رواجع البغي عليك وعاجلات النقم فيك ، واعلم أنّ ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا أشدّ عليك وأفسد لك . وقبل أمير المؤمنين خلفٌ منك كثيرٌ في أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم ، وفيهم عوضٌ منك والله من وراء ذلك .

(تطور الاساليب النثرية ، ١٢٥ عن الكامل ٣٢٤/٢)

الغزل فى صدر الاسلام وعصر بنى أميّة

لم يكن الغزل فى الجاهلية موضوعاً مستقلاً يطرقه الشاعر لذاته ، و انما كان وسيلة الى الغرض الذى كانوا يرمون اليه من المدح و الهجاء و الفخر و ما الى ذلك من فنون الشعر . و كان الغزل عند الجاهليين ضرباً من الوصف كماكان نظرهم الى الحب نظراً مادّياً، فكانوا يصفون النساء واعضائهنّ وصفاًخارجياًمن غير أن يظهرفى شعرهماثرللعاطفة الحيّة، وقلمّا تجد عندهم عناية بدخائل نفوسهم او حرصاً على ما يظهر فى النفس من اثر للحب و الآلام التى تنشأ عنه .

أمّا فى الاسلام فقد ظهر بجانب هذا النوع من الغزل الجاهلى الذى استمرّ كمن ذى قبل نوع آخر من الغزل كان غاية لا وسيلة وكان أرقى من هذا الغزل العادى وجرى فى مجرين رئيسيين . الاول : الغزل العفيف البدوى او الغزل العذرى، و الثانى الغزل الصريح الحضرى او الغزل الاباحى .(١)

و يعنون بالغزل العذرى هذا النوع من الغزل الذى نشأ فى بادية الحجاز فى بنى عذرة و خزاعة . ذكروا انه كان جمال فى نسائهم وضعف فى قلوب شبّانهم فكثر بينهم حوادث العشق العفيف ونتج عن تلك الحوادث غزل شريف نزيه عن الفحش و عن الكذب يمثّل حبّاً صادقاً اشتهر باسمهم . و يريدون بالغزل الاباحى هذا النوع من الغزل الذى نشأ فى مكة و المدينة بين المترفين من ابناء المهاجرين و الانصار وبنى هاشم و كبار الصحابة ممّن خلّف لهم آباؤهم ثروة طائلة استجمعت فى ايام الفتوح،

---

(١) و من اراد التوسّع فى هذا الموضوع فليراجع طهحسين فى «حديث الاربعاء» و جبرائيل جبورفى « عمر بن ابى ربيعة » .

و ممّن غمرهم معاوية بالأعطيات يجاملهم بها و يترضّاهم عن سياسته ، فآثروا عيشة التمتّع بالطيّبات و اللذائذ المباحة و غير المباحة و كان ينضم اليهم حاشية و بطائن من المغنين و ينشدهم بعض خلعاء الشعراء المقطعات الغزلية .

و الغزل العذرى الذى يمثله اشعار عروة بن حزام و جميل بن معمر و قيس و مجنون و امثالهم و ان لم يكن بريئاً من المادّة الا انه اضاف الى المادة شيئاً آخر هو الحب و جعله قوام الشعر، فهو وصف النفس و ما تلقى بالحب من شقاء او سعادة ، و يعدّون من خصائصه الصدق فى وصف العاطفة و تمثيلها بحيث لاتكاد تقرأه حتى تقطع بان قائله كان يألم حقاً و يصف ألمه وصفاً صادقا . امّا الغزل الاباحى الذى يمثله اشعار عمر بن ابى ربيعة فهو يتغنّى بالحب و لذّاته العمليّة كما يفهمها الناس و يمثل عواطفاً تصدر عن الشهوات و ايثار اللّذة قبل كل شيئ .

و لمّا كان المغنّون قد اتخذوا هذه الاشعار الحبيّة من قصائد العذريين و الاباحيين موضوعاً لغنائهم ولم تكن هذه الاشعار لتكفى لسداد حاجتهم، فقد اصطنعوا هم ايضاً ضروباً من الشعر الاباحى و العذرى ليتغنّوا بها، و نسجت حول هذه الاشعار و القصائد قصص غرامية امتلأت بها كتب الأدب العربى، كما انه حيكت حول بعض هؤلاء الشعراء حكايات لا تخلو من التكلف و المبالغة غالباً اختفت ضمنها شخصياتهم و نسبت الى كل منهم اشعار للآخرين ليس من اليسير معرفتهم و معرفة اشعارهم بالضبط.

وفيما يلى امثلة ممّا روى عن الشعراء العذريين و الاباحيّين .

عُروة بن حِزام العُذرى

و هو من الشعراء المحبّين، ادرك الاسلام و مات حوالى سنة ٣٠ ه‍ . ذكر الرواة فى قصّته(١) انه ابتلى بحبّ «عفراء» بنت عمّه فسأل عمه أن يزوّجها منه فكان يسوّفه(٢) الى أن خرج عروة الى الشام و خطب عفراء ابنُ عم لها من البلقا، فزوّجها ابوها منه فحملها الى بلده، فلما رجع عروة و علم الخبر اشتدّ حبّه لها، واثر ذلك فى مزاجه، فضعف و اضطرب وأصابه هزال فظنّوا فيه الخبل(٣). قالوا : انه كان باليمامة طبيب او عرّاف فصار اليه و معه اهله فلم ينفعه علاجه كما انه لم ينتفع بمعالجة عرّاف نجد فمات فى حبّها. و لا يعرف له شعر الا فى عفراء، و اليك بعض ماروواه الرواة منسوباً اليه .

قصيدة عروة فى فتاته عفراء

خليلَىَّ مِنْ عُلْيا هِلالِ بْنِ عامِرٍ بِصَنْعاءَ عُوجا الْيَوْمَ وَ انْتَظِراني (٤)

ولا تَزْهَدا في الأَجْرِ عِنْدي وَأَجْمِلا فَإِنَّكُما بي الْيَوْمَ مُبْتَلَيانِ

أَلا فَاحْمِلاني بارَكَ اللهُ فيكُما إِلَى حاضِرِ الرَّوْحاءِ ثُمَّ دَعاني

---

(١) راجع قصته فى «الاغانى» ج٢٠/ص ١٥٢ وفى «الشعر والشعراء» لابن قتيبه ط/٢ ص ٣٣٧ .

(٢) يُسوِّفه :كان يقول له مرة بعد مرة «سوف أعمل» .

(٣) الخبل : الجنون وفساد العقل .

(٤) عوجا : قِفا ، من عاج السائر ، اذا وقف .

أَلِمّا عَلى عَفراءَ إِنَّكُما غَداً ... بِشَحْطِ النَّوى وَالْبَيْنِ مُعْتَرِفانِ [١]

***

فَيا واشِيَيْ عَفرا دَعاني وَ نَظْرَةً ... تَقَرُّ بِها عَيْناي ثُمَّ كِلاني [٢]

أَغَرَّكُما مِنّي قَميصٌ لَبِسْتُهُ ... جَديدٌ وَ بُرْدا يُمْنَةٍ زَهَيانِ [٣]

مَتى تَرْفَعا عَنّي الْقَميصَ تَبَيَّنا ... بِيَ الضُرَّ مِنْ عَفْراءَ يافَتَيانِ

اذاً تَرَيا لَحماً قليلاً وأَعْظُماً ... رِقاقاً وَ قَلْباً دائِمَ الْخَفَقانِ

عَلى كَبِدي مِنْ حُبِّ عَفْراءَ قُرْحَةٌ ... وَعَيْناىَ مِنْ وَجْدٍ بِها تَكِفانِ [٤]

تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفراءَ ما لَيْسَ لِي بِهِ ... وَ لا لِلْجِبالِ الرّاسِياتِ يَدانِ [٥]

كَأَنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بِجَناحِها ... عَلى كَبِدي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقانِ

***

جَعَلْتُ لِعَرّافِ الْيَمامَةِ حُكْمَهُ ... وَ عَرّافِ نَجْدٍ إِنْ هُما شَفَياني [٦]

فَما تَرَكا مِنْ رُقْيَةٍ يَعْلَمانِها ... وَ لا شَرْبَةٍ إِلّا وَ قَدْ سَقَياني [٧]

---

(١) ألِمّا على عفراء : انزلا بها . شحط النوى ، ألم الفراق .

(٢) قرت العين : رأت ماكانت متشوّقة اليه .

(٣) اليُمْنة واليَمْنة : بُردٌ يمَنى . الزاهى : النضر المشرق الوجه .

(٤) الوجد : العشق . تكفان : تسيلان بالدمع .

(٥) الراسيات : الراسخات ، الثابتات .

(٦) جعلت لعرّاف اليمامة حكمه اى قلت له اشفنى ولك ماتشاء ، فاحكم . والعرّاف: كان يطلق على المنجم، والذى يخبر عن الماضى والمستقبل، والطبيب .

(٧) الرُّقية : العوذة ، كانوا يستعينون بها على زعمهم بقوى تفوق القوى الطبيعية لعلاج مرض او للحصول على أمر .

وَ رَشَا عَلَى وَجْهِي مِنَ الْمَاءِ سَاعَةً — وَقَـا مَا مَعَ الْعُوَّادِ يَبْتَدِرَانِ
وَ مَا شَفَيَا الدَّاءَ الَّذِي بِي كُلَّهُ — وَ لَا ذَخَرَا نُصْحاً وَ لَا أَلْوَانِي [١]
فَقَالَا شَفَاكَ اللهُ وَ اللهِ مَا لَنَـا — بِمَا حُمِّلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ [٢]
فَرُحْتُ مِنَ الْعَرَّافِ تَسْقُطُ عِمَّتِي — عَنِ الرَّأْسِ مَـا أَلْتَاثُهَا بِبَنَانِ [٣]

***

فَلَهْفِي عَلَى عَفْرَاءَ لَهْفاً كَأَنَّهُ — عَلَى النَّحْرِ وَ الْأَحْشَاءِ حَدُّ سِنَانِ [٤]
فَيَا عَمِّ يَا ذَا الْغَدْرِ لَا زِلْتَ مُبْتَلًى — حَلِيفاً لِهَمٍّ لَازِمٍ وَ هَوَانِ
فَلَا زِلْتَ ذَا شَوْقٍ إِلَى مَنْ هَوَيْتَهُ — وَ قَلْبُكَ مَقْسُومٌ بِكُلِّ مَكَانِ

***

وَإِنِّي لَأَهْوَى الْحَشْرَ إِذْ قِيلَ إِنَّنِي — وَ عَفْرَاءَ يَوْمَ الْحَشْرِ مُلْتَقِيَانِ
أَلَا لَعَنَ اللهُ الْوُشَاةَ وَ قَوْلَهُمْ — « فُلَانَةُ أَضْحَتْ خُلَّةً لِفُلَانِ »
أَلَا يَا غُرَابَيْ دِمْنَةِ الدَّارِ خَبِّرَا — أَبِالْهَجْرِ مِنْ عَفْـرَاءَ تَنْتَحِبَانِ [٥]
فَإِنْ كَانَ حَقّـاً مَا تَقُولَانِ فَاذْهَبَا — بِلَحْمِي إِلَى وَكْرَيْكُمَا فَـكُلَانِي

---

(١) و لا ألوانى : و لا منعانى النصح .

(٢) الضلوع : جمع الضلع ، و هو عظم مستطيل من عظام الجنب منحن . مالنا... يدان : اى لانستطيع علاج الداء الذى فى جسمك .

(٣) العِمَّة : أراد بها العمامة . ألتاث : من لاث العمامةَ على رأسه (يلوث) اى لفّها و عصبها .

(٤) اللّهف : كلمة يتحسّر بهـا على مافات ، و يقال يا لهفى على فلان او لهفى بحذف الياء .

(٥) تنتحبان : ترفعان صوتكما بالبكاء .

***

أنا ابنُ سيِّد عفراءَ ذِكْرِي بَعْدَمَا ... تَرَكْتُ لها ذِكْراً بِكُلِّ مَكانِ
تُكَنِّفُني الواشُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... وَلَوْ كانَ واشٍ واحدٌ لَكَفاني
يُكَلِّفُني عَمِّي ثَمانِينَ نَاقَةً ... وَ مالِيَ يا عَفْراءُ غَيْرُ ثَمانِ

***

فَوَاللهِ ما حَدَّثْتُ سِرَّكِ صاحِباً ... أخاً لي وَ لا فَاهَتْ بِهِ الشَّفَتانِ
أَعَفْراءُ كَمْ مِنْ زَفْرةٍ قَدْ أَذَقْتِنِي ... وَ حُزْنٍ أَلَحَّ العَيْنَ بِالْهَمَلانِ (١)
فَلَوْ أَنَّ عَيْنَي ذي هَوىً فَاضَتَا دَماً ... لَفَاضَتْ دَماً عَيْنَايَ تَبْتَدِرانِ (٢)

---

(١) الزفرة : النفس الحارّ من شدة الحزن و الألم، تشبيهاً لها بزفير النار .
(٢) هملان العين : فيضانه بالدمع .

جَميل بن مَعْمَر العُذرى

هو ابو عمرو جميل بن عبدالله بن مَعْمَر من بنى عُذرة احدى قبائل قضاعة، اشتهر بحبّه بُثَيْنَة (١) ابنة عمّه و لذلك عرف بجميل بثينة . كانت قبيلتُهما تنزل وادى القرى الى تَيْماء شمالى المدينة الى الشرق .

و كان اول عهده بها و هى صغيرة وهو صبىّ فتعاشقا على عفّة ، كما كان الشأن فى بنى عذرة . و كان جميل ينظم القصائد فيها حتى اشتهر امره، و من اوائل نظمه فيها قوله :

وَ أَوَّلُ مَا قَادَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا　　　بِوادي بَغيض يا بُثَيْنَ سبابُ
وقُلْتُ لها قَوْلاً فَجاءَتْ بِمِثْلِهِ　　　لِكُلِّ كلامٍ يا بُثَيْنَ جوابُ

و ما زال يجتمع بها سراً عن اهلها حتى شكوه الى العامل ففرّ الى اليمن ثم عاد ثانية الى اهل بثينة بالشام، فشكوه الى عشيرته فانقطع عنها ولجأ الى مصر حيث توفى فيها سنة ٨٢ هـ .

من اشعار جميل فى فتاته بُثَيْنة

لَقَدْ لامَني فيها أَخٌ ذُو قَرابَةٍ　　　حَبيبٌ إِلَيْهِ في مَلامَتِهِ رُشْدي

(١) بُثينة : مصغر بَثنة ، و اصل البثنة الزبد ، شبّهوا بها المرأة الجميلة البيضاء الغضة، وسميت بها مصغّرة .

وقالَ: أفِقْ! حتّى متى أنتَ هائمٌ؟ ... بِبَثْنَةَ فيها قدْ تُعيدُ، و قد تُبدي (١)

فقلْتُ لَهُ: فيها قضَى اللهُ ما ترَى ... عليَّ! وَهلْ فيما قضَى اللهُ مِنْ رَدِّ؟

فإنْ كانَ رُشداً حُبُّها أوْ غوايةً ... فقدْ جئتُهُ. ما كانَ مِنّي على عَمْدِ (٢)

فقدْ لجَّ ميثاقٌ مِنَ اللهِ بيْننا ... و ليْسَ لِمَنْ لمْ يُوفِ للهِ مِن عهْدِ

فلا و أبيها الخيْرِ ما خُنتُ عهْدَها ... وَلا لِيَ عِلْمٌ بالّذي فعلَتْ بَعْدي

و ما زادَها الواشونَ إلّا كَرامةً ... عليَّ، و ما زالَتْ مودّتُها عِنْدي (٣)

أفي النّاسِ أمْثالي أحَبَّ فحالُهُمْ ... كحالي أمْ أحْبَبْتُ مِنْ بيْنِهِم وحْدي

وَهلْ هكذا يلقَى المُحِبّونَ مِثْلَ ما ... لَقيتُ بِها أمْ لمْ يجِدْ أحدٌ وَجْدي (٤)

***

و من قوله ابيات ينسبونها الى مجنون ليلى:

وَ مازِلْتُمْ يا بُثْنَ حتّى لَوْ انّني ... مِنَ الشَّوْقِ أسْتَبْكي الحَمامَ بَكَى لِيا

إذا خَدِرَتْ رِجْلي وَ قيلَ شِفاؤُها ... دُعاءُ حَبيبٍ كُنْتِ أنتِ دُعائيا

وَ ما زادَني النَّأْيُ المُفرِّقُ بعْدَكُمْ ... سُلُوّاً و لا طُولُ التّلاقي تَلاقِيا (٥)

وَلا زادَني الواشونَ إلّا صَبابةً ... وَ لا كثْرَةُ النّاهينَ إلّا تَمادِيا (٦)

لَقدْ خِفْتُ أنْ ألْقى المَنيّةَ بَغْتَةً ... وَفي النّفْسِ حاجاتٌ إليْكِ كَما هِيا

---

(١) الهائم: المتحيّر، مَن ذهب فؤاده و خُلب عقله من الحب اوغيره.

(٢) الرشد: الاستقامة على طريق الحق. والغواية: الضلالة.

(٣) الواشي: مِن (وشى وشاية) اذا نمَّ عليه و سعى به.

(٤) لم يجد وجدي: مِن وجد به يَجِد (اويجُدُ) وَجْداً اى احبَّه حباً شديداً.

(٥) النّأْي: البُعد، الفراق. سُلُوّاً: مصدر سَلا (عنه) يَسْلو، اذا نسيه وذهل عن ذكره.

(٧) تمادَى: دام على فعله و لجَّ.

***

و من اقواله فى بثينة :

لها في سوادِ القلبِ بالحبِّ منعةٌ هي الموتُ أو كادت على الموتِ تُشرِفُ
وما ذكرتكِ النفسُ يا بثنَ مرةً من الدهرِ إلّا كادتِ النفسُ تتلفُ
وما استطرفت نفسي حديثاً لخلّةٍ أسرُّ بهِ إلّا حديثُكِ أطرفُ

***

وإني لأرضى من بثينةَ بالذي لو ابصرهُ الواشي لقرّت بلابلُه (١)
بلا، وبأن لا أستطيعُ، وبالمنى، وبالأملِ المرجوِّ قد خابَ أملُه
وبالنظرِ العجلى، وبالحولِ تنقضي أواخرُهُ لا نلتقي وأوائلُه

***

ومن رقيق نسيبه قوله :

أراني لا ألقى بثينةَ مرةً من الدهرِ إلّا خائفاً أو على رحلِ
خليليَّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبِّ قاتلهِ قبلي
أبيتُ معَ الهُلّاكِ ضيفاً لأهلها وأهلي قريبٌ موسعونَ ذوو فضلِ (٢)
فلو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها ولكن طلابيها لما فاتَ من عقلي (٣)

---

(١) البلبال : شدة الهمّ .

(٢) الهُلّاك : الفقراء ، يقول الشاعر، انّه كان يحتال بأنّه فقير مستضيف اهلها ليراها مع أن اهله كانوا ينزلون قريباً منهم و هم فى سعة و خصب .

(٣) و عدّ ابن قتيبة هذا البيت مما يستغث من شعر جميل (الشعر و الشعراء ط ٢ ص ١٦٨) .

***

و من اقواله فيها :

عَلِقْتُ الْهوى مِنها وَليداً فَلَمْ يَزَلْ ... إلى الْيَوْمِ يَنْمي حُبُّها وَ يَزيدُ
وَ أَفنَيْتُ عُمْري بِانْتِظارِ نَوالِها ... فَأَبْلَيْتُ ذاكَ الدَّهرَ و هو جَديدُ
فَلا أَنا مَرْدودٌ بِما جِئْتُ طالِباً ... وَ لا حُبُّها فيما يَبيدُ يَبيدُ

***

و روى له هذه الابيات فى النخر ، و روى بعضها لغيره ايضاً :

نَسيرُ أَمامَ النّاسِ وَ النّاسُ خَلْفَنا ... فَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنا إِلى النّاسِ وَقَّفُوا (١)
وَ كُنّا إِذا ما مَعْشَرٌ نَصَبُوا لَنا ... وَمَرَّتْ جَواري طَيْرِهِمْ وَ تَعَيَّفُوا (٢)
وَضَعْنا لَهُمْ صاعَ الْقِصاصِ رَهينَةً ... بِا سَوْفَ نُوفيها إِذا النّاسُ طَفَّفُوا (٣)

---

(١) أَوْمأْنا : أشرنا . وقَّفُوا : من وقَّف الجيشُ ، اذا وقفوا واحداً بعد واحد .

(٢) تعيَّفوا : من التعيُّف و هو التكهّن بالعيافة و زجر الطير . الصاع : المكيال .
نوفيها : من اوفى الكيل ؛ اذا اتمّها .

(٣) طفَّفوا : من طفّف المكيال ، اى نقصه قليلاً .

عُمَر بن أبى رَبيعَة

هوعمر بن عبدالله بن ابى ربيعة القرشى، ولد بالمدينة ـ ليلة مات عمر بن الخطاب ـ فى اسرة من أغنى اسر قريش، فنشأ مترفاً مترفّها، و قد قال الشعر من صغره و لمّا كان فى غنى عن التكسب بشعره سلك فى طريق التطرب و الغزل، فشبّب بالنساء و صارله فى التشبيب طريقة خاصة عرفت باسمه. كان عمر يتعرّض فى شعره لمشاهير النساء و يتحدث عنهن و يصف احوالهن فى منازلهن او دعوته اليهن ليسمعن شعره، فى اسلوب قصصى رقيق اللفظ أنيق المعنى له موقع فى القلوب والأسماع. ولسهولة شعر عمر و قرب فهمه من جميع الطبقات و شدة تأثيره فى النفوس استهوى بشعره اهل الصبوة من الفتيان و الفتيات و أولع به المغنون و المغنيات حتى قال فيه بعض متورعى الانصار «ما عُصِىَ الله بشىءٍ كما عُصى بشعر ابن ابى ربيعة.» و عدّوا شعره ضرراً على الاداب وقالوا: «ما دخل العواتق فى حجالهن شيءٌ اضر عليهن من شعر ابن ابى ربيعة.

و من اشهر قصائده الغزلية بل من اشهر قصائد الغزل فى الادب العربى هو رائيّته الشهيرة فى فتاته نُعم التى أولها:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غادٍ فَمُبْكِرُ غَداةَ غَدٍ أَمْ رائِحٌ فَمُهَجِّرُ

يصف فيها على طريقته المبتكرة، زيارته لها فى مخيّم لقبيلتها بعد أن راقب الخيام حتى استيقن أن الحيّ ناموا، ويصف ما حدث له معها عند ماتبدو الصبح واليك قصته:

وَ لَيْلَةِ ذي دَوْرانَ جَشَّمْتِني السُّرى
و قَدْ يَجْشَمُ الْهَوْلَ الْمُحِبُّ الْمُغَرِّرُ (١)

فَبِتُّ رَقيباً لِلرِّفاقِ عَلى شَفاً
أُحاذِرُ مِنْهُمْ مَنْ يَطُوفُ وَ أَنْظُرُ (٢)

إِلَيْهِمْ مَتى يَسْتَمْكِنُ النَّـومُ مِنْهُمُ
وَلِي مَجْلِسٌ لَوْ لا اللُّبـانَـةُ أَوْعَرُ (٣)

وَ بِتُّ أُناجي النَّفْسَ أَيْنَ خِبـاؤُها
وَكَيْفَ لِما آتي مِنَ الْأَمْرِ مَصْدَرُ (٤)

فَدَلَّ عَلَيْها الْقَلْبَ رَيّاً عَرَفْتُهـا
لَها وَ هَوى النَّفْسِ الَّذي كادَ يَظْهَرُ (٥)

فَلَمّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَ أُطْفِئَتْ
مَصـابيـحُ شُبَّتْ بِالْعِشاءِ وَ أَنْوُرُ (٦)

---

(١) ذو دوران : اسم مكان جرت قصة الشاعر فيه . جشّمتنى: كلّفتنى، ويجشم اى يتكلّف . المغرر : الذى يعرض نفسه للهلاك .

(٢) الرِفاق جمع الرُّفاقة و هى جماعة المرافقين :

(٣) اللبانة : الحاجة من غير فاقة بل من همة . الوعر: المكان الصلب ضدالسهل.

(٤) الخِباء ، و جمعه الأَخْبِية : نوع من الخيام ، ما يعمل من وبر او صوف اوشعر للسكن . وكيف ... الخ :اى وكيف يمكننى الرجوع .

(٥) الريّا : الريح الطيبة .

(٦) الأنوُر : جمع النار .

وَ غابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ
وَ رَوَّحَ رُعْيانٌ و نَوَّمَ سُمَّرُ[١]

وخُفِّضَ عَنّي الصَّوْتُ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ الـ
حُبابِ وَ شَخْصي خِيفَةَ القَوْمِ أَزْوَرُ[٢]

فَحَيَّيْتُ إذْ فاجَأْتُها فَتَوَلَّهَتْ
وَ كادَتْ بِمَكْنُونِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ[٣]

وَ قالَتْ، وَ عَضَّتْ بِالْبَنانِ: « فَضَحْتَني
وَ أَنْتَ امْرُؤٌ مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ

فَوَاللهِ ما أَدْري أَتَعْجيلُ حاجَةٍ
سَرَتْ بِكَ أَمْ قَدْ نامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ »

فقُلْتُ لَها: « بَلْ قادَني الشَّوْقُ وَالْهَوى
إلَيْكِ وَ ما عَيْنٌ مِنَ النّاسِ تَنْظُرُ »

فقالَتْ، وَ قَدْ لانَتْ و أَفْرَخَ رَوْعُها
« كَلاكَ بِحِفْظٍ رَبُّكَ الْمُتَكَبِّرُ[٤]

(١) الرّعيان : جمع الراعى ، والسُّمَّر : جمع السامر، و السَّمَر: الحديث فى الليل اى و ارجع الرعيان مواشيهم و نام المتسامرون .

(٢) الحُباب : الحيّة . أزْوَر: أميل . يقول انه مشى مائلا عن الطريق مختفياً نفسه لئلا يراه اهلها .

(٣) تولّهت : تحيرت من شدة الوجد .

(٤) أفرخ روعها : انكشف ، ذهب خوفها .

فأنتَ ، أبا الخطّابِ ، غيرُ منازعٍ
عَلَيَّ أميرٌ ما مكثتُ مُؤمَّرُ »[١]

***

فَيـالَكَ مِنْ لَيلٍ تقـاصرَ طُولُهُ
وَ مـا كانَ لَيلي قَبلَ ذَلِكَ يَقصُرُ
وَ يا لَكَ مِنْ مَلهىً هُناكَ وَ مَجلسٍ
لَنـا لَمْ يُكَـدِّرْهُ عَلَيْنـا مُكَـدِّرُ
يَمُجُّ ذَكِيَّ الْمِسْكِ مِنْهـا مُفَلَّجُ
رَقيقُ الْحَـواشي ذُو غُرُوبٍ مُؤشَّرُ[٢]
يَـرِفُّ إذا يَفترُّ عَـنْـهُ كأنَّـهُ
حصى بَـرَدٍ أَوْ أُقحُوانٌ مُنوَّرُ[٣]
وَ تَرْنُو بِعَيْنَيْها إليَّ كَمـا رَنـا
إلى رَبْرَبٍ وَسْطَ الْخَـميلَةِ جُؤذُرُ[٤]

---

(١) مؤمّر : من أمّره ، اى حكّمه وولّاه الامارة .

(٢) يمج ... الخ : اى فم رقيق الحواشى محرز الاسنان ذورضاب ممسّك .

(٣) يرف : يتلألأ . البرد : ماء الغمام يتجمّد فى الهواء البارد ويسقط على الارض يشبهون به الأسنان فى الصفاء والرونق . الأقحوان : نبات له زهرا بيض و اوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الاسنان .

(٤) ترنو : تنظر بسكون الطرف . الربرب : القطيع من بقر الوحش . الخميلة : الموضع الكثير الشجر . الجؤذر : ولد البقرة الوحشية .

***

فَلَمّا تَقَضَّى اللَّيلُ إلا أقلَّهُ

وَ كادَتْ تَوالي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ[١]

أشارَتْ بِأنّ الحَيَّ قَدْ حانَ مِنْهُمُ

هُبُوبٌ وَلَكِنْ مَوْعِدٌ لَكَ عَزْوَرُ[٢]

فَما راعَني إلّا مُنادٍ بِرِحْلَةٍ

وَ قَدْ لاحَ مَفْتُوقٌ مِنَ الصُّبْحِ أشْقَرُ

فَلَمّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنَوَّرَ مِنْهُمُ

وَ أيْقاظَهُمْ قالَتْ: «أشِرْ كَيْفَ تَأْمُرُ»[٣]

فَقُلْتُ: «أُبادِيهِمْ فَإمّا أفُوتُهُمْ

وَ إمّا يَنالُ السَّيْفُ ثاراً فَيُثْأرُ»[٤]

فَقالَتْ: «أتَحْقِيقاً لِما قالَ كاشِحٌ

عَلَيْنا، وَتَصْدِيقاً لِما كانَ يُؤْثَرُ؟»[٥]

---

(١) تتغوّر : تأفل .

(٢) الحيّ: القوم . حان منهم هبوب : قرب استيقاظهم. عزور : اسم محل ، يقول اجتماعنا الثانى فى عزور.

(٣) أيْقاظ : جمع يقِظ، ضد النائم .

(٤) أباديهم : أبارزهم .

(٥) الكاشح : العدو ، المبغض . يقول اتفعل ذلك فيثبت علينا قول المبغضين و ما ينقلونه عنا .

فَإِنْ كانَ ما لا بُدَّ مِنْهُ فَغيرُهُ
مِنَ الأَمرِ أَدْنَى لِلْخفاء وَ أَسْتَرُ
أُقِصُّ على أُخْتيَّ بَدْءَ حَديثِنا
وَ مالِيَ مِنْ أَنْ تَعْلَما مُتأَخِّرُ
لَعَلَّهُما أَنْ تَبْغِيا لَكَ مَخْرَجاً
و أَنْ تَرْحَبا سَرْباً بِما كُنْتُ أَحْصَرُ(١)

***

فَقامَتْ كَئيباً لَيْسَ فِي وَجْهِها دَمٌ
مِنَ الْحُزْنِ تَذْرِي عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ(٢)
فَقامَتْ إِلَيْها حُرَّتانِ عَلَيْهِما
كِساآنِ مِنْ خَزٍّ، دِمَقْسٌ و أَخْضَرُ(٣)
فَقالَتْ لِأُخْتَيْها: «أَعينا عَلَى فَتىً
أَتَى زائِراً وَالأَمْرُ لِلأَمْرِ يُقْدَرُ
فَأَقْبَلَتا فارْتاعَتا ثُمَّ قالَتا:
« أَقِلِّي عَلَيْكِ اللَّوْمَ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ(٤)

(١) أن تبغيا: أن تطلبا . سرباً : صدراً ، ورحْب الصدر : الحلم والتمهل والوقار. أُحْصَر : ضاق صدري .
(٢) الكئيب : المحزون . تذرى عَبرة : تصب الدمع .
(٣) الدمقس : الديباج ، الحرير الابيض .
(٤) الخطب : الامر العظيم المكروه ، اوالأمر مطلقا .

فقالَتْ لها الصُّغْرَى : «سَأُعْطيهِ مِطْرَفي
وَ دِرْعي وَ هذا البُرْدِ إنْ كانَ يَحْذَرُ[١]
يَقُومُ فَيَمْشي بَيْنَنا مُتَنَكِّراً
فَلا سِرُّنا يَفْشُو وَ لا هُوَ يَظْهَرُ»
فَكانَ مِجَنّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقي
ثَلاثُ شُخُوصٍ كاعِبانِ وَ مُعْصِرُ[٢]
فَلَمّا أَجَزْنا ساحَةَ الحَيِّ قُلْنَ لي :
«أَما تَتَّقي الأَعْداءَ وَ اللَّيْلُ مُقْمِرُ ؟»
وَ قُلْنَ : «أَهذا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سادِراً
أَما تَسْتَحي أَوْ تَرْعَوي أَوْ تُفَكِّرُ؟[٣]
إذا جِئْتَ فَامْنَحْ طَرْفَ عَيْنَيْكَ غَيْرَنا
لِكَيْ يَحْسَبُوا أَنَّ الهَوى حَيْثُ تَنْظُرُ»
فَآخِرُ عَهْدٍ لي بِها حِينَ أَعْرَضَتْ
وَ لاحَ لَها خَدٌّ نَقِيٌّ وَ مَحْجِرُ[٤]

---

(١) المطرف: رداء من خز ذو اعلام . درع المرأة : قميصها او ثوب تلبسه في بيتها. البرد : ثوب مخطط ، كساء من الصوف الاسود .

(٢) المجن، الترس، كل ما وقى من السلاح . الكاعب : الجارية نهد ثديها وارتفع. المعصر : المرأة اذا ادركت وبلغ وقت زواجها .

(٣) سادراً . طائشاً لاتبالى بما تصنع . ترعوى : ترجع عن جهلك و تكف عنه .

(٤) المحجر: من العين مادار بها .

هَنيئاً لِأَهلِ العامِرِيّةِ نَشْرُها الـ
لَذيذُ وَ رَيّاها الّذي أَتذكّرُ.[١]

***

و مما يستجاده من أشعاره الغزلية قوله :

هَيَّجَ القَلْبَ مَغانٍ و صِيَرْ — دارِساتٌ قَدْ عَلاهُنَّ الشَّجَرْ[٢]
ورِياحُ الصَّيفِ قَدْ أَزرَتْ بِها — تَنْسِجُ التُّرْبَ فُنوناً والمَطَرْ[٣]
ظِلْتُ فيها ذاتَ يَوْمٍ واقِفاً — أَسأَلُ المَنْزِلَ هَلْ فيهِ خَبَرْ[٤]
لِلَّتي قالَتْ لِأَترابٍ لَها — قُطُفٍ فيهِنَّ أُنْسٌ و خَفَرْ[٥]
قَدْ خَلَوْنا فَتَمَنَّيْنَ لَنا — إذْ خَلَوْنا اليَوْمَ نُبْدي ما نُسِرّْ[٦]
فَعَرَفْنَ الشَّوْقَ في مُهْجَتِها — وَحَبابُ الشَّوْقِ يُبْديهِ النَّظَرْ[٧]
قُلْنَ يَسْتَرْضِينَها : « مُنْيَتُنا — لَوْ أَتانا اليَوْمَ في سِرٍّ عُمَرْ»
بَيْنَما يَذْكُرْنَني أَبْصَرْنَني — دُونَ قِيدِ المِيلِ يَعْدُو بِي الأَغَرّْ[٨]

---

(١) الريّا : الريح الطيّبة .
(٢) المغانى : المنازل . الصير : جمع الصياره والصِيرة : حظيرة الغنم والبقر .
(٣) كانت الرياح و المطر تنسج التراب أشكالا .
(٤) ظِلْت : لغة فى ظَلَلْتُ وكذلك ظَلْت .
(٥) قُطف : جمع قطوف ، بطيئى السير . خَفَر : حياء .
(٦) قالت لرفيقاتها ها قد خلونا فهلم نبدى فى خلوتنا ما نتمناه .
(٧) مهجتها : قلبها ، حَباب الشوق : معظمه .
(٨) قيد الميل ؛ مقدار الميل او هو اسم مكان . الاغر : فرسه .

قُلْنَ : تَعْرِفْنَ الْفَتَى ؟ قُلْنَ نَعَمْ قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرْ ؟
ذَا حَبِيبٌ لَمْ يُعَرِّجْ دُونَنَا سَاقَهُ الْحَيْنُ إِلَيْنَا وَالْقَدَرْ(١)
وَرُضَابُ الْمِسْكِ مِنْ أَثْوَابِهِ مَرْمَرَ الْمَاءُ عَلَيْهِ فَنَضَرْ(٢)

---

(١) لم يعرّج دوننا : اى لم يسر الينا من عند نفسه بل ساقه القدر .
(٢) رُضاب المسك : فتات المسك . مرمر : مرّ ، و الضمير فى عليه للرُّضاب . نَضَرَ : نعُم و حسُن و صار جميلا .

الشعر في العصر الأموى

بنو أميّة بطن من بطون قريش تولّوا الخلافة فى الشام من سنة ٤١ هـ. الى سنة ١٣٢ هـ. وممّا امتازوا به عن الخلفاءِ السابقين أنّهم قلّبوا الخلافة الاسلاميّة الى دولة عربيّة موروثة، و تركوا الزهد و البساطة و مالوا الى البذخ و الترف مع المحافظة على مقتضيات البداوة والتمسك بعاداتها. و اليک اسماءهم و تاريخ خلافتهم :

١ ـ معاوية بن ابى سفيان (مؤسس الخلافة الاموية)	٤١-٦٠	هـ.
٢ ـ يزيد ابنه	٦٠-٦٤	»
٣ ـ معاوية بن يزيد	٦٤-٦٤	»
٤ ـ مروان بن الحَكَم	٦٤-٦٥	»
٥ ـ عبدالملك بن مروان	٦٥-٨٦	»
٦ ـ الوليدبن عبدالملك	٨٦-٩٦	»
٧ ـ سليمان بن عبد الملك	٩٦-٩٩	»
٨ ـ عمربن عبد العزيز	٩٩-١٠١	»
٩ ـ يزيدبن عبدالملك	١٠١-١٠٥	»
١٠ ـ هشامبن عبدالملك	١٠٥-١٢٥	»
١١ ـ الوليدبن يزيدبن عبدالملك	١٢٥-١٢٦	»
١٢ ـ يزيدبن الوليد الاول	١٢٦-١٢٦	»
١٣ ـ ابراهيمبن الوليد	١٢٦-١٢٧	»
١٤ ـ مروان بن محمد ـ اخر الخلفاء الامويين	١٢٧-١٣٢	»

و الشعر فى العصر الأُموى بدوى فى نسجه وحوكه ، و قلّما يظهر فى شعرهم ما ولّده الاتصال مع الامم الغريبة من المعانى الجديدة و الاساليب المستحدثة، فقد ذهبوا فى ابواب الشعر و موضوعاته نفس المذاهب التى كان يسلكها الجاهليون إلّا انهم تقدّموا أكثر من الجاهليين فى المدح و المهاجاة الادبية و السياسية و فى الغزل و التشبيب .

أما المدح فقد كان من أغراض الشعر الجاهلى ، إلّا أنه لم يصر طريقاً للتكسب فى ذلك العصر ، و قد ترخص النبى (ص) استماعه من حسان و غيره من الشعراء الذين مدحوه تأييداً لدعوته ، و تورّع كثير من الخلفأ قبل بنى أمية من سماع المدح الباطل . أما فى العصر الاموى فقد توسّع معاوية و بنو مروان فى استماع مدح الشعراء و احسنوا جزائهم . و هكذا فعل كثير من ولاتهم و رؤساء الاحزاب فى زمانهم، ولذلك فقد تسابق الشعراء فى تعظيم اولياء الامر و اختراع المعانى فى تفخيمهم و مدحهم باوصاف تعجبهم. و نتج عن ذلك تلك الكمية الكبيرة من القصائد المدحية التى نقرأها فى كتب الادب عن شعراء هذا العصر .

و اما الهجاء . فقد رأينا أن النبى(ص) أجازه لحسّان فى قريش والمشركين الذين كانوا يهجونه و لم يجزه فى غيرهم ، و جرى اصحابه من بعده على سنّته فى التورّع عن الهجاء ، و لكن بنى امية لم يسلكوا مسلكهم فتغاضت من هجاءِ من خالف سياستهم من المسلمين ، بل شجّع بعضهم بعض الشعراءِ على هجاءِ مخالفيهم كما فعل يزيد بن معاوية من هجاءِ الانصار على لسان الاخطل . و أثيرت فى هذا العصر، لاسباب سياسية ، الضغائن الكامنة فى نفوس القبائل فهجا بعضهم بعضاً على لسان شعرائهم و استفحل الامر تدريجاً حتى صار العرب فى الهجاءِ على شرٍّ مما كانوا عليه فى الجاهلية .

و اما الشعر السياسى فلم يكن للشعر العربى تأثير فى سياسة الدولة و منزلة

عند الخلفاء في عصر من العصور مثل ما كان له في العصر الاموى . والسبب في ذلك ان الامويين لمّا تولّوا الخلافة و استبدّوا بالحكم، اقتضت سياستهم التمسّك بالعصبية الجاهلية و استنصار القبائل بعضها على بعض، فتعصبوا هم لقبيلتهم قريش و قدّموهم على سواهم، ولم يمض زمن حتى عادت العصبيات القديمة في القبائل العربية الى نحو ما كانت عليه في الجاهلية فتفرّقوا شيعاً و احزاباً من أمويين و علويين و خوارج و شيعة و مضرية و قحطانية ، و استغل الأمويون تلك العصبيات في تمكين سياستهم . وكان الشعر يومئذ سلاح الاحزاب و لكل حزب شعراء معدودون و خطباء ينظمون الشعر ويخطبون في تأييد نحلتهم . وكان الأمويون - وحزبهم من أقوى الاحزاب - يستعينون بالشعراء على مناوئيهم ، يقرّبونهم بالجوائز و العطايا و يشترون ألسنتهم بالاموال لكي يناشدوا بفضلهم و سلطانهم فصار هذا النوع من الشعر متجراً رابحاً في هذا العصر وراج رواجاً عظيماً قلّما نرى له مثيلا في التاريخ العربي .

و اليك اشهر شعراء هذا العصر .

الأخْطَل

هو غياث بن غوث ، يكنّى ابا مالك والأخطل لقب غلب عليه. و لد في اوائل خلافةعمر وتوفّى فى اوائل خلافة الوليد سنة ٩٥ ﻫ. و قد نيف على السبعين . كان نصرانياًمن قبيلة تغلب يقيم بالحيرة، وقال الشعر وهوصبي ولم يلبث حتى زاحم شاعر تغلب وقتئذ وهو كعب بن جعيل فدارت مهاجاة بينه وبين كعب فغلبه الاخطل وصار هوالمقدم فى شعرائها .

يعدّ الاخطل و الفرزدق و جرير من فحول شعراء العصر الاموى و هم أشعر شعراء بنى امية على الاطلاق، و الاخطل أمدح الثلاثة لهم فانه قلّما مدح غيرهم كما فعل ذلك جرير و الفرزدق ، وقد عرف الامويون هذا الفضل للاخطل فسمّوه شاعر بنى امية و بعث عبدالملك بمولى له ينادى على رؤوس الملأ « هذا شاعر امير المؤمنين . هذا شاعر العرب » .

ذكروا فى سبب تقرّبه الى بنى أميّة ان معاوية أراد أن يهجو الانصار لأنّ اكثرهم كانوا اصحاب على بن ابيطالب و لا يرون رأى معاوية فى الخلافة فطلب ابنه يزيد من كعب بن جعيل هجاءهم فأبى ذلك و قال و لكنّى ادلّك على غلام منا نصرانى كأنّ لسانه لسان ثور لايبالى ان يهجوهم(١) فدلّه على الاخطل وهجاهم الأخطل بقصيدةاغضبت كبار الانصار فشكوه الى معاوية وأظهر معاوية أن الاخطل فعل ذلك من عند نفسه و وعدهم بقطع لسانه و لكن الاخطل احتمى بيزيد حتى عفاعنه . و قد قرّبه أليه يزيد فى خلافته و كذلك فعل سائر خلفاء بنى اميّة و بخاصة عبدالملك

---

(١) البيان والتبيين . ٨٦/١

الذى سمح له بالدخول عليه بلا إذن و اجزل له العطاء .

وكان الاخطل مغرماً بالخمر ولذلك امتاز بالتعمق فى وصف الخمر والترغيب فيها . ذكروا أن عبدالملك قال له مرّة : « الا تسلم فنفرض لك فى الفيئى و نعطيك عشرة آلاف؟ » فقال : « و كيف الخمر ؟ » قال « و ما تصنع بها و ان اولها لمرّ وان اخرها لسكر؟ » فقال : « اما اذا قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلة ما ملكك فيها الا كلعقة ماءٍ من الفرات بالاصبع » فضحك و تركه على نصرانيته .

و قد امتاز الاخطل بمدائحه وكان يجوّدها و ينقيها حتى ربما نظمها تسعين بيتاً و اختار منها ثلاثين و لذلك كان شعره خاليا من الحشو مشتملا على معانى بديعة فى المدح. ودخل فى المهاجاة بين جرير و الفرزدق وكان سبب ذلك انه عند ما حدثت المهاجاة بين جرير والفرزدق وحُكّم الأخطل فيها ايهما أشعر حكم حكما لم يرض جرير فهجاه بقصيدة و رد عليه الاخطل بقصيدة اخرى و دامت المهاجاة بينهما حتى مات الاخطل .

ومن قصائده المشهورة تلك التى أنشدها فى عبدالملك بن مروان مطلعها:

خَفَّ الْقَطِينُ فَراحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا
وَ أَزْعَجَتْهُمْ نَوَى فِي صَرْفِها غِيَرُ (١)

و اليك نخبة منها :

يا قاتَلَ اللهُ وَصْلَ الغانياتِ إذا
أَيقَنَّ أَنكَ مِمَّنْ قد زَها الكِبَرُ (٢)

---

(١) خفّ القطين : ارتحل الاتباع و اهل الدار و اسرعوا . النوى : البعد ، الوجه الذى ينويه المسافر .

(٢) الغانية : المرأة الجميلة الغنيّة بجمالها عن الزينة .

أَعرَضْنَ لَمَّا حَنا قَوْسي مُوتِّرُها
وَ ابْيَضَّ بَعْدَ سَوادِ اللِمَّةِ الشَعَرُ[١]
مَا يَرْعَوِينَ إِلَى داعٍ لِحاجَتِهِ
وَ لا لَهُنَّ إِلَى ذي شَيْبَةٍ وَطَرُ[٢]

و فى التخلص الى المديح يقول :

إِلَى امْرِئٍ لا تُعَرِّينا نَوافِلُه
أَظْفَرَهُ اللهُ فَلْيَهْنَأْ بِهِ الظَفَرُ[٣]
الخائِضِ الغَمْرَ وَ المَيْمُونِ طائِرُهُ
خَليفَةِ اللهِ يُسْتَسْقَى بِهِ المَطَرُ[٤]
يَغْشَى القَناطِرَ يَبْنيها وَ يَهْدِمُها
مُسَوَّمٌ فَوْقَهُ الرَاياتُ وَ القَتَرُ[٥]
وَ تَسْتَبينُ لِأَقْوامٍ ضَلالَتُهُمْ
وَ يَسْتَقيمُ الَّذي في خَدِّهِ صَعَرُ[٦]

(١) لماّ حناقوسى موتّرها : لما اصبح ظهرى منحنياً من الكِبَر . اللِمَّة : الشعر المجاوز شحمة الاذن .

(٢) الوطر : الحاجة ، البُغية .

(٣) لا تعرّينا : لا تذهب عنّا . النوافل : العطايا .

(٤) الخائض الغمر : من يرمى بنفسه فى المهالك و لا يبالى بالموت .

(٥) المسوّم : المعلّم بعلامة يعرف بها . القتر : الغبار .

(٦) الصعَر : ميل الخد استخفافاً بالناس .

فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا
مَا إِنْ يُوازِي بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ (١)

حُشْدُ عَلَى الْحَقِّ عَيَّافُو الْخَنَا أُنُفٌ
إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا (٢)

وَ إِنْ تَدَجَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مَظْلَمَةٌ
كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَ مُعْتَصَرُ (٣)

أَعْطَاهُمُ اللّٰهُ جَدّاً يَنْصُرُونَ بِهِ
لَا جَدَّ إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرُ (٤)

لَمْ يَأْشَرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ
وَ لَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشِرُوا (٥)

---

(١) النبعة : الاصل : يعصبون بها : يجتمعون و يحيطون بها .

(٢) حُشد ، جمع حاشد ، سكنت شينه للضرورة . عيّاف : مبالغة من عاف الشيئ ، اذا كرهه . الخنا : الفحش فى الكلام . أُنُف : جمع أنوف و هو من يتنزّه عن العار ، و كل ما يشين المرء . يقول انهم مجتمعون على تأييد الحق و كارهون لقول الفحش مترفّعون عنه . المّت بهم : نزلت بهم .

(٣) تدجّت : أظلمت . المعتصر : الملجأ و المعقل . اى اذا نزلت بهم نازلة كان لهم مخرج منها او ملجأ عنها .

(٤) الجد : الحظ .

(٥) لم يأشروا : لم يبطروا هذا الحظ عند ما ينالونه و لو ناله غيرهم لبطروا وكفروا نعمة الله .

شُمْسُ الْعَداوَةِ حَتّى يُسْتَقادَ لَهُمْ
وَ أَعْظَمُ النّاسِ أَحْلاماً إذا قَدَرُوا [١]

بَني أُمَيَّةَ نُعْماكُمْ مُجَلِّلَةٌ
تَمَّتْ فَلا مِنَّةٌ فيها وَ لا كَدَرُ [٢]

و قال يمدح بنى امية و يخصّ بشر بن مروان .

إنْ يَحْلُمُوا عَنْكَ فَالْأَحْلامُ شيمَتُهُمْ
وَ الْمَوْتُ ساعَةَ يَحْمَى مِنْهُمُ الْغَضَبُ [٣]

كَأَنَّهُمْ عِنْدَ ذاكُمْ لَيْسَ بَيْنَهُمْ
وَ بَيْنَ مَنْ حارَبُوا قُرْبَى وَ لا نَسَبُ

كانُوا مَوالِيَ حَقٍّ يَطْلُبُونَ بِهِ
فَأَدْرَكُوهُ وَ ما مَلُّوا وَ لا لَغَبُوا [٤]

إنْ يَكُ لِلْحَقِّ أَسْبابٌ يُمَدُّ بِها
فِي أَكُفِّهِمِ الْأَرْسانُ وَ السَّبَبُ [٥]

---

(١) شُمس: جمع شَموس، وهو الذى يكون عسراً فى عداوته . يستقادلهم: اىحتى ينقاد اليهم المعاندون .

(٢) النُعمى : اليد البيضاء الصالحة ، النعمة و الاحسان . مجلّلة : عامّة ، شاملة. من جلّل المطر الارض اذا غطاها .

(٣) الاحلام : جمع الحلم و هو الصبر و الأناة ، يحُمى : يشتدّ .

(٤) اللغَب و اللغب : التعب ، اشد الاعياء

(٥) الاسباب : الحبال . الارسان : جمع الرسَن و هو الحبل و ماكان من زمام على أنف .

هُمْ سَعَوْا بِابْنِ عُفّانَ الإمامِ وَهُمْ
بَعْدَ الشِّماسِ مَرَوْها ثُمَّتَ احْتَلَبُوا [(١)]

ومنها :

إذا أتَيْتَ أبا مَرْوانَ تَسْأَلُهُ
وَجَدْتَهُ حاضِراهُ الجُودُ وَالحَسَبُ

تَرَى إلَيْهِ رِفاقَ النّاسِ سائِلَةً
مِنْ كُلِّ أَوْبٍ عَلَى أَبْوابِهِ عُصَبُ [(٢)]

يَحْتَضِرُونَ سِجالاً مِنْ فَواضِلِهِ
وَالخَيْرُ مُحْتَضَرُ الأَبْوابِ مُنْتَهَبُ [(٣)]

وَالمُطْعِمُ الكُومَ لا يَنْفَكُّ يَعْقِرُها
إذا تَلاقَى رِواقُ البَيْتِ وَاللَّهَبُ [(٤)]

---

(١) الشِّماس : الإباء و الامتناع . مَرَوْها : من مَرَى (الناقة) يَمْرِى ، اى مسح ضرعها لتدرّ . يقول : انهم سعوا للخلافة بسبب الأخذ بثأر عثمان وبعد أن امتنعت عليهم انقادت لهم و ذلّت .

(٢) الرفاق : جمع الرِّفقة بمعنى جماعة المرافقين . الأَوب : الطريق . من كل اوب اى من كل جهة . العُصَب : جمع العُصْبة : الجماعة من الناس .

(٣) السِجال : جمع السَجْل و هو الدلو العظيمة . الفواضل : جمع الفاضلة و هى النعمة و الهبة . و يقول فى المصرع الثانى ان الناس يتهافتون على ابواب الكرام ليصيبوا من كرمهم وعطاياهم .

(٤) الكُوم : جمع الكوماء و هى الناقة الضخمة السنام . رواق البيت : سقف فى مقدم البيت . اذا تلاقى .. الخ : اى اذا علت نيران القِرى حتى اتصلت بالرواق . وذلك كناية عن كرمهم وقت الشدة .

كَأَنَّ حيرانَهـــا في كُلِّ مَنْزِلَـةٍ
قَتْلى مُـجَـرَّدَةُ الأَوْصالِ تُسْتَلَبُ (١)

***

و من قصيدته فى هجاء الانصار :

وإذا نَسَبْتَ ابْنَ الـفُرَيعَةِ خِلْتَهُ — كَالْجَحْشِ بَيْنَ حِمارَةٍ وَحِمارِ (٢)
لَعَنَ الإلٰهُ مِنَ الـيَهُودِ عِصابَةً — بِالْجِزْعِ بَيْنَ صُلَيصِلٍ وصِرارِ
قَوْمٌ إذا هَدَرَ الـعَصيرُ رَأَيْتَهُمْ — حُمْراً عُيُونُهُمُ مِنَ الْمِسْطارِ (٣)
خَلُّوا الْمَكارِمَ لَسْتُمُوا مِنْ أَهْلِها — وخُذُوا مَساحِيَكُمْ بَني النَّجّارِ (٤)
إنَّ الـفَوارِسَ يَعْلَمُونَ ظُهُورَكُمْ — أَوْلادَ كُلِّ مُقَبَّحٍ أَكّـارِ (٥)
ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالْمَكارِمِ وَالـعُلا — وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عَمائِمِ الأَنْصارِ

***

و يعدّون من اوجع هجائه ما هجابه كُلَيْباً قوم جرير فى قوله من قصيدة :

ما زالَ فينـا رِباطُ الـخَيْلِ مُعْلَمَةً
وفي كُلَيْبٍ رِباطُ الذُّلِّ وَالـعارِ (٦)

---

(١) الحيران : جمع الحُوار و هو ولد الناقة قبل أن يفصل عنهـا . الاوصال : المفاصل،يقول ان عظامها و مفاصلها خالية من اللحم كأنها قتلى قد سلب ما عليها .
(٢) الجحش : ولد الحمار .
(٣) هدر العصير : غلا و ارتفع . و المسطار : الخمر .
(٤) مساحى ؛ جمع المسحاة . ما يسحى به الارض كالمجرفة .
(٥) الأكّار : الحرّاث : من يحفر الارض و يحرثها . ج أَكَرَة .
(٦) مُعْلَمة : من اعلم الخيل ؛ اذا علّق عليهـا صوفاً ملوناً فى الحرب و وسمها بسيماءالحرب .

النازلينَ بِدارِ الذُّلِّ إنْ نَزَلوا
وتَستبيحُ كُلَيْبٌ حُرمَةَ الجارِ
والظاعِنينَ على أهواءِ نِسوَتِهِمْ
وَما لَهُمْ مِنْ قَديمٍ غَيْرُ أعيارِ [١]
بِمُعرِضٍ أوْ مُعيدٍ أوْ بَني الخَطَفَى
يَرْجو جَريرٌ مُساماتي وإخطاري [٢]
قَوْمٌ إذا استَنْبَحَ الأضيافُ كَلْبَهُمُ
قالوا لِأُمِّهِمِ بُولي عَلَى النارِ

***

ومن أقواله فى الهجاء :

وكُنْتَ إذا لَقيتَ عَبيدَ تَيْمٍ وتَيْماً قُلْتَ أيُّهُمُ العَبيدُ
لَئيمُ العالَمينَ يَسودُ تَيْماً وسَيِّدُهُمْ وإنْ كَرِهوا مَسودُ

***

ومما يستجاده قوله فى وصف النساء .

يا قَلَّ خَيْرُ الغَواني كَيْفَ رُغْنَ بِهِ
فَشُرْبُهُ وَشَلٌ فيهِنَّ تَصْريدُ [٣]

---

(١) الظاعنين : الراحلين . الاعيار : جمع العَيْر و هو الحمار .
(٢) المساماة : المفاخرة و المباراة .
(٣) الغوانى : جمع الغانية ، و هى المرأة الغنيّة بحسنها و جمالها عن الزينة . الوشل : الماء القليل . التصريد : السقى قليلا دون الرىّ .

أعرَضْنَ مِنْ شَمَطٍ في الرَّأسِ لاحَ بِهِ
فَهُنَّ مِنّي إذا أبصَرْنَني حِيدُ[١]
قَدْ كُنَّ يَعْهَدْنَ مِنّي مَضْحَكاً حَسَناً
وَ مَفرِقاً حَسَرَتْ عَنهُ العَناقيدُ[٢]
فَهُنَّ يَشْدُونَ مِنّي بَعْضَ مَعْرِفَةٍ
وَ هُنَّ بِالْوَصْلِ لا بُخْلٌ وَ لا جُودُ
هَلِ الشَّبابُ الّذي قَدْ فاتَ مَرْدُودُ
وَ هَلْ دَواءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجُودُ
لَنْ يَرْجِعَ الشَّيْبُ شُبّاناً وَ لَنْ يَجِدُوا
عَدْلَ الشَّبابِ لَهُمْ ما أوْرَقَ العُودُ

***

ومن اقواله فى الحكمة و الموعظة :

والنّاسُ هَمُّهُمُ الحَياةُ وَلا أرى | طولَ الحَياةِ يَزيدُ غيرَ خَبالِ
وإذا افْتَقَرْتَ إلى الذَّخائِرِ لَمْ تَجِدْ | ذُخْراً يَكُونُ كَصالِحِ الأعْمالِ

---

(١) الشَّمَط : مخالطة بياض الرأس بالسواد . حيد : من حاد (عن الطريق) يَحيد حَيْداً اذا مال عنه وعدل .

(٢) المفرق : موضع افتراق الشعر فى الرأس . حسرت : انكشفت و ظهرت . العناقيد : جمع العُنقود و هو ما تراكم من العنب و نحوه . و اراد الشاعر هنا خصلة الشَّعر .

ومنها في الزهد:

أَعاذِلَ إنَّ النَّفْسَ في كفِّ مالكٍ
إذا ما دعا يوماً أجابَتْ لَهُ الرُّسلا [1]

ذَريني فَلا مالي يَرُدُّ مَنِيَّتي
وَما إنْ أرى حيّاً على نَفْسِهِ قُفْلا [2]

وَلَيسَ بَخيلُ النَّفْسِ بِالْمالِ خالِداً
وَلا مِنْ جَوادٍ فاعْلَمي مَيِّتٍ هَزْلا

أَلا رُبَّ مَن يَخْشى نَوائِبَ قَوْمِهِ
وَرَيْبُ المَنايا سابِقاتٌ بِهِ الفِعْلا [3]

وَيا رُبَّ غادٍ وَهْوَ يُرْجى إيابُهُ
وَسَوْفَ يُلاقي دُونَ أَوْبَتِهِ شُغْلا

---

(١) عاذل: مرخم اصله عاذلة من العَذْل و هوالملامة.

(٢) المنيّة: الموت.

(٣) ريب المنايا: صروف الدهر.

الفَرَزْدَق

اسمه هَمّام واسم ابيه غالب كنّى بأبى فراس و اشتهر بالفرزدق ، من قبيلة بنى مجاشع بن دارِم و هى بطن من بطون تميم . ولد فى البصرة سنة ١٩ هـ . فى اواخر خلافة عُمر، و توفى بها سنة ١١٠ هـ . و كانت عشيرته قد نزل البصرة أوّل تمصيرها عند فتح العراق و نشأ الفرزدق فى باديتها .

و امتاز شعر الفرزدق بفخامة العبارة و تنوّع التراكيب و كثرة الغريب و الإشتمال على المعانى الدقيقة، و لذلك اعجب به اهل اللغة و النحو و استشهدوا بشعره كثيراً . والفنون التى غلبت على شعره واشتهر بهاهى الهجاء، والمدح، والفخر.

لقد فطر الفرزدق على الهجاء من صغره و له قصائد كثيرة فى ذلك لا تخلو من الفحش و الإقذاع و قذف المحصنات و نهش الاعراض، وتهاجيه مع جرير معروف. و قد جمعت القصائد التى قالها كل واحد منهما فى هجاء الاخر و نقضه فى كتاب اشتهر بنقائض جرير والفرزدق يعدّ من المصادر الهامة لأدب ذلك العصر(١). ذكروا فى سبب تهاجيهما ان البعيث المجاشعى و هو من عشيرة الفرزدق تدخل بين جرير و غسّان فى تهاجيهما و أعان غسانَ على جرير فتعرّض جرير- فى هجائه للبعيث - لقذف نساء مجاشع، فاتت نساء المجاشع الفرزدق و حرّضنه على هجاء جرير فهجاه ، فدارت بينهما التهاجى طول حياتهما اى اكثر من نصف قرن .

---

(١) و النقائض جمع النقيضة و هى القصيدة يقولها الشاعر و ينقض فيها ما قاله شاعر آخر و ينظمها على بحر و روىّ قصيدة الشاعر الذى يخالفه و يعارضه و يهجوه. و قد طبعت نقائض جرير و الفرزدق فى مدينة بريل (ليدن) فى اربع مجلّدات من سنة ١٩٠٥-١٩١٢ .

أما مدائحه فقد كانت فى ولاة البصرة و الكوفة و عمالهم ، و عند ما رحل الى الشام مدح الخلفاء هنالك و نال جوائزهم. وقدمدح من الامويين ورجالهم عبدالملك ابن مروان ثم الوليد و سليمان و هشاماً اولاده من بعده و كذلك بقية آل مروان و الحجاج و ولاتهم. و برغم مدحه للامويين كان يميل الى البيت العلوى ، و له فى الإمام زين العابدين على بن الحسين قصيدة مشهورة يراه بعض مؤرخى الاداب دليلا على تشيعه الذى كان يستره ايام اختلافه الى بنى أمية و كاشف به آخر حياته .

اما الفخر فقد قالوا ان الفرزدق كان أفخر شعراء الثلاثة الامويين، بل قيل انه أفخر شعراء العرب فانه كان كثير الزهو بنفسه والفخر بآباءه، ولوعاً بتعداد مآثرهم فى شعره حتى فى مدحه للخلفاء ولو أدى ذلك الى حرمان بعضهم له العطاء، ذكروا ان سليمان بن عبد الملك استنشده يوماً فأنشد الفرزدق مفتخراً عليه قطعة منها :

إِذَا اسْتَوْضَحُوا ناراً يَقُولُونَ لَيْتَها

وَ قَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهُم نارُ غالبِ (١)

يريد أباه ، فغضب سليمان ، و أنشده نصيب الشاعر قصيدة فقال سليمان : يا غلام اعط نصيباً خمسمأة دينار و الحق الفرزدق بنار ابيه :

و إليك امثلة من شعره فى مختلف فنونه .

قصيدته فى هجاء جرير و هى من النقائض

إِنَّ الَّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنـا

بَيْتاً دَعـائِمُـهُ أَعَزُّ وَ أَطْوَلُ (٢)

(١) خصرت أيديهم : بردت .

(٢) سمك السماء : رفعها . دعائم البيت : العيدان التى تقيمه . اعز و اطـول : اراد اعز و اطول من بيتك .

بيتاً بناهُ لنا المَليكُ وَ ما بَنى
حكَمُ السَّماء فـإنَّـهُ لا يُنقَلُ[١]

بَيتاً زُرارَةُ مُحتَبٍ بِفنائـــهِ
و مُجاشعٌ و أَبو الفـوارسِ نَهشَلُ

يَلِجُونَ بَيتَ مُجاشِعٍ وَ إذَا احتَبوا
بَـرزُوا كأَنَّهُمُ الجِبـالُ المُثَّـلُ[٢]

لا يَحتَبي بِفِنـــاء بَيتِكَ مِثلُهمْ
أَبداً إذا عُدَّ الفَعـالُ الأَفضَلُ

مِنْ عِزِّهِمْ جَحَرتْ كُلَيبُ بَيتَهـا
زَرْبـاً كأَنَّهُمُ لَدَيْـــهِ الـقُمَّلُ[٣]

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الـعَنـكَبوتُ بِنَسجِها
و قَضَى عَلَيْكَ بِه الـكِتابُ المُنزَلُ[٤]

---

(١) اراد بيت شرف و عز ، و هذا مثل .

(٢) يلجون : يدخلون . المُثَّل : المنتصبة المقيمة لا تبرح ، جمع الماثل ، و مَثَل من الاضداد جاء بمعنى ثبت و انتصب ، وجاء ايضاً بمعنى درس .

(٣) جحرت : دخلت زرْبا كأنه جُحْر . والزَّرْب : حفيرة تتخذ تحبس فيها العنوق و الجداء . و القُمَّل : اصغر من الجَراد .

(٤) يعنى ان جريراً فى الوهن و الذُل كبيت العنكبوت .

أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ تُسامي دارِماً
أَمْ مَنْ إلى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تَجْعَلُ (١)

يَمْشُونَ في حَلَقِ الْحَديدِ كما مَشَتْ
جُرْبُ الْجِمالِ بِها الْكُحَيْلُ الْمُشْعَلُ (٢)

و الْمانِعونَ إذا النِّساءُ تَرادَفَتْ
حَذَرَ السِّباءِ جِمالُها لا تُرْحَلُ (٣)

يَحْمي إذا اخْتُرِطَ السُّيُوفُ نِساءَنا
ضَرْبٌ تَخِرُّ لَهُ السَّواعِدُ أَرْعَلُ (٤)

و مُعَصَّبٍ بِالتّاجِ يَخْفِقُ فَوْقَهُ
خِرَقُ الْمُلوكِ له خَمِيسٌ جَحْفَلُ (٥)

---

(١) طُهَيَّة : بنت عبد شمس التميمي كانت عندمالك بن حنظلة بن مالك بن زيدفولدت له ابا سود و عوفاً و حُبَيْشاً فغلبت على بنيها فنسبوا اليها .

(٢) الكُحَيْل : القطران . و حَلَق الحديد : الدروع . شبه الرجال لعظمهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة بالقطران . والمُشْعَل : الحديدة التي يحرق بها الجلد.

(٣) ترادفت : ركب بعضهن خلف بعض . يقول اذا كانت الغارة فزعت النساء فركبت الجمال أعراءً لا ترحل للعجلة .

(٤) اخترط : سُلَّ . تخر له السواعد : تسقط . أرعل : مسترخٍ ، مائل ، يريد انه يميل ما قطع فيسترخي .

(٥) خِرَق الملوك : يعنى الرايات . الخميس : الجيش الضخم . الجحفل : الكثير الخيل . يعنى بهذا البيت حسان و قابوس ابنى المنذر .

مَلِكٌ تَسُوقُ لَهُ الرِّماحَ أَكُفُّنا

مِنْهُ نَعُلُّ صُدُورَهُنَّ و نُنْهِلُ،(١)

قد ماتَ في أَسلاتِنا أو عَضَّهُ

عَضْبٌ بِرَوْنَقِهِ الْمُلُوكُ تُقَتَّلُ،(٢)

***

و إذا دَعَوْتُ بَني فُقَيْمٍ جاءَني

مَجْرٌ لَهُ الْعَدَدُ الَّذي لا يُعْدَلُ،(٣)

و إذا الرَّبائعِ جاءَني دُفّاعُها

مَوْجاً كَأَنَّهُمُ الْجَرادُ الْمُرْسَلُ،(٤)

***

أَحلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً

و تَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَلُ،

---

(١) منه : الضمير للملك . نَعُلُّ صدورهن : اى من الدم . نُنْهِل : الانهال : الطعن الاول . و العلل : الطعن الثانى و اصل هذا فى الشُرب او السَقى .

(٢) الأَسَلات : الرماح . عَضْب : سيف قاطع . و رونقه : فرنده .

(٣) مَجْر : جيش له عدد كبير . المجد : الشرف . لا يعدل : ليس له عدل من غيره.

(٤) الربائع ثلثة : ربيعة الكبرى وهو ربيعة بن مالك بن زيد و ربيعة الوسطى و هو ربيعة بن حنظلة و ربيعة الصغرى و هو ربيعة بن مالك بن حنظلة . الدُفّاع : دفاع السيل حين يكثر و يمتد . شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفع .

فادفعْ بكفّكَ إنْ أردتَ بناءَنا
ثهلانَ ذا الهضباتِ هلْ يتحلحلُ؟ (١)

وَ أنا ابنُ حنظلةَ الأغرِّ و إنني
في آلِ ضبّةَ للمُعمِّ المُخوَلِ (٢)

فرعانِ قد بلغَ السماءَ ذُراهما
و إليهما مِن كلِّ خوفٍ يُعقَلُ (٣)

فلئنْ فخرْتُ بهم لمثْلُ قديمِهمْ
أعلوا الحُزونَ به وَ لا أتسهَّلُ (٤)

مَنْ يكونُ بنو كُلَيبٍ رهطَهُ
أوْ مَنْ يكونُ إليهِمُ يتخوَّلُ (٥)

يابْنَ المراغةِ أينَ خالُكَ إنني
خالي حُبَيشٌ ذو الفعالِ الأفضَلِ (٦)

---

(١) ثهلان : جبل . الهضبات : الجبال الصغار . هل يتحلحل : هل يزول و يتحرك؟ فكذلك نحن .

(٢) المُعمّ المُخْوَل : الكريم الاعمام و الاخوال، و ام الفرزدق من آل ضبة .

(٣) يُعقل : يُلْجأ . ذُروة كل شيئى : أعلاه .

(٤) الحزون ما غلظ من الارض و السهل ما سهل .

(٥) بنو كليب : قوم جرير . يتخوّل : من الخؤولة اى يدّعيهم أخوالا .

(٦) خاله حُبيش بن دلف أسر عَمرو بن الحرث بن ابى شمر فجزّ ناصيته و اشترط عليه أن يبعث اليه كل سنة بحِباء حتى يموت . والحباء : العطية .

خالي الّذي غَصَبَ المُلوكَ نُفُوسَهُمْ
و إلَيْـهِ كانَ حِباءُ جَفْنَةَ يُنْقَلُ
إنّـا لَنَضْرِبُ رأسَ كُلِّ قَبيلَةٍ
و أبُوكَ خَلْفَ أتـانِـهِ يَتَقَمَّلُ (١)
وشُغِلْتَ عَنْ حَسَبِ الكِرامِ وَما بَنَوْا
إنَّ اللَّئيمَ عَـنِ المَكارِمِ يُشْغَلُ
إنَّ اسْتِراقَكَ يا جَريرُ قَصائِـدي
مِثْلُ ادِّعـاءِ سِوى أبيكَ تَنَقُّلُ
و ابْنُ المَراغَةِ يَدَّعي مِن دارِمٍ
و الْـعَبْدُ غَيْرَ أبيـهِ قـد يَتَنَحَّلُ
لَيْسَ الكِرامُ بِنـاحِليكَ أباهُمُ
حَتّى تُرَدَّ إلَى عَـطِـيَّـةَ تُعْـتَـلُ (٢)
أزْرَى بِجَرْيِكَ أنَّ أمَّكَ لَمْ تَـكُنْ
إلّا اللَّئيمَ مِـن الـفُحولَةِ تُفْحَلُ
قَبَحَ الإلَهُ مَقَـرَّةً في بَـطْـنِها
مِنْـها خَرَجْتَ وَكُنْتَ مِنْـها تُحْمَلُ (٣)

(١) يتقمّل : اى ينزع القمْل، و القمْل دويبّة معروفة تلسع الانسان و تغتذى بدمه .
(٢) بناحليك : بمعطيك . تُعتَل:تساق قسراً و يقال تعتل : تقاد بين اثنين .
(٣) مقرّة : مستقر الولد فى الرحم . يقال أقرّت المرأة : اذا استبان حملها .

و من مدائحه قصيدته في الإمام على بن الحسين

وقد اختلف الرواة فى سبب نظمها وعددا بياتها(١) واليك ما ورد فى مختلف الروايات . (٢)

هذا الَّذي تَعْرِفُ الْبطْحاءُ وَطْأَتَهُ
وَالْبَيتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
هـذَا ابْنُ خَيْرِ عِبادِ اللهِ كُلِّهِمِ
هـذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
إذا رَأَتْـهُ قُرَيْشٌ قالَ قـائِلُهـا
إلَى مَكارِمِ هذا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرفانَ راحَتِهِ
رُكْنُ الْحَطيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ(٣)

---

(١) ذكر فى كتاب الاغانى فى سبب انشادها الخبر التالى: «حج هشام بن عبدالملك فى خلافة اخيه الوليد و معه رؤساء اهل الشام فجهـد ان يستلم الحجر الاسود فلم يقدر من ازدهام الناس . فنصب لـه منبر فجلس ينظر الى الناس . و اقبل على بن الحسين و هو احسن الناس وجهاً و انظفهم ثوباً و اطيبهم رائحة فطاف بالبيت فلما بلغ الحجر الاسود تنحى الناس كلهم و أخلوا له الحجر ليستلمه ـ هيبةً و اجلالاً لـه ـ فغاظ ذلك هشاماً و بلغ منه . فقال رجل لهشام من هذا اصلح الله الامير قال لا أعرفه وكان به عارفاً و لكنه خاف أن يرغب فيه اهل الشام و يسمعوا منه . فقـال الفرزدق وكان لذلک كله حاضراً أنا اعرفه فسلنى يا شامى ـ قال ومن هو؟ قال : هذا الذى . . . الابيات. الاغانى ج ١٤، ص ٥٧ .

(٢) ـ و قد نقلنا الابيات بترتيبها عن « المختارات السائرة ص ١٦٨ .

(٣) الحطيم : جدار حجر الكعبة و قيل ما بين الركن و زمزم و المقام . يقول: يكاد ركن البيت الحرام يتعلق به لعرفانه ان يده هى التى تمسه .

فَلَيسَ قَوْلُكَ : مَنْ هذا ؟ بِضائِرِهِ
العُرْبُ تَعرِفُ ما أنكَرْتَ وَالْعَجَمُ

أيُّ الْخَلائِقِ لَيسَتْ في رِقابِهِمِ
لأوّلِيّةِ هذا أوْلَهُ نِعَمُ

مَنْ يَعرِفُ اللهَ يَعرِفْ أوّلِيّةَ ذا
فالدِّينُ مِنْ بَيتِ هذا نَالَهُ الأُمَمُ

يَنْشَقُّ نُورُ الهُدَى مِنْ نورِ غُرّتِهِ
كالشّمسِ يَنجابُ عَنْ إشراقِها القَتَمُ[1]

يُغضي حَياءً وَ يُغضَى مِنْ مَهابَتِهِ
فَما يُكَلَّمُ إلاّ حِينَ يَبْتَسِمُ

اللهُ شَرَّفَهُ قِدْماً وَ عَظّمَهُ
جَرَى بِذاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَمُ

سَهْلُ الخَليقَةِ لا تُخشَى بَوادِرُهُ
يَزِينُهُ اثنانِ حُسنُ الخَلقِ وَالشِّيَمُ

---

(١) ينجاب : ينكشف . القتم : الغبار .

عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحسانِ فَانْقَشَعَتْ
عَنها الْغَياهِبُ وَالْإِمْلاقُ وَالظُّلَمُ(١)
مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَ بُغْضُهُمُ
كُفْرٌ وَ قُرْبُهُمْ مَنْجىً وَ مُعْتَصَمُ
إنْ عُدَّ أَهلُ التُّقى كانُوا أَئِمَّتَهُمْ
اوقيلَ مَنْ خَيْرُ أَهلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمُ
هُمُ الْغُيوثُ إذا ما أَزْمَةٌ أَزَمَتْ
وَالْأُسْدُ أُسْدُ الشَّرى وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمُ(٢)
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ
في كُلِّ بَدْءٍ و مَخْتُومٌ بِهِ الْكَلِمُ

و من ابياته السائرة :

فَيا عَجَباً حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي ... كَأَنَّ أَباها نَهْشَلٌ أَوْ مُجاشِعُ
و كُنّا إذَا الْجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... ضَرَبْناهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْأَخادِعُ(٣)

***

---

(١) انقشعت : زالت و ابتعدت . الغياهب ، جمع الغيهب : الظلمة . الإملاق : الفقر .

(٢) الأزمة : الضيقة ، القحط . الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل .

(٣) صعّر خدّه : أماله عن الناس اعراضاً و تكبراً . الاخدع عرق فى الرقبة : اى ضربنا عنقه حتى يعتدل .

قَوارِصُ تَأتِيني وَ تَحتَقِرُونَها ... و قد يَملأُ القَطرُ الإناءَ فَيُفعَمُ (١)

إذا ما وَزَنّا بِالجِبالِ رَأيتَنا ... تَميلُ بِأطوادِ الجِبالِ الأضاخِمِ (٢)

* * *

و من فخريّاته قوله :

لَنا العِزَّةُ القَعساءُ وَ العَدَدُ الَّذي ... عَلَيهِ إذا عُدَّ الحَصى يَتَخَلَّفُ (٣)

وَ لا عِزَّ إلّا عِزُّنا قاهِرٌ لَهُ ... وَ يَسأَلُنا النَّصفَ الذَّليلُ فَيُنصَفُ (٤)

وَ مِنّا الَّذي لا يَنطِقُ النّاسُ عِندَهُ ... وَ لكِن هُوَ المُستَأذَنُ المُتَنَصَّفُ (٥)

تَراهُم قُعوداً حَولَهُ، و عُيونُهُم ... مُكَسَّرَةٌ أطرافُها ما تَصَرَّفُ

إذا هَبَطَ النّاسُ المُحَصَّبَ مِن مِنىً ... عَشِيَّةَ يَومِ النَّحرِ مِن حَيثُ عَرَّفوا (٦)

تَرى النّاسَ ما سِرنا يَسيرُونَ خَلفَنا ... وَإن نَحنُ أومَأنا إلَى النّاسِ وَقَّفُوا (٧)

---

(١) قوارص : جمع القارصة وهى الكلمة المؤلمة. القطر : المطر . أفعم الاناء : ملأه.

(٢) اطواد : جمع الطود و هو الجبل العظيم .

(٣) العزة القعساء : العزة المنيعة الثابتة ، يقول ان عددنا يزيد عن عدد الحصى .

(٤) النصف : الانصاف .

(٥) المتنصَّف : من يُطلب منه الانصاف و من يُستخدَم . يقول : منا السيد الذى يستأذنه الناس و يخدمونه .

(٦) المحصَّب : موضع رمى الجمار بمنى . و عرَّفوا : هبطوا من جبل العرفات .

(٧) ذكروا ان الذى كان يؤم الناس و يدفع بهم من عرفات فى الجاهلية من تميم فسيرون بسيره و يقفون بوقوفه . و الى هذا اشار الشاعر .

و من ابياته التى يُتمثل بها :

وَكُنتَ كَذِئبِ السُّوءِ لَمّا رَأى دَماً بِصاحِبِهِ يَوماً أَحالَ عَلى الدَمِ [1]

***

تَرى كُلَّ مَظلومٍ إِلَينا فِرارُهُ وَيَهرُبُ مِنّا جَهدَهُ كُلُّ ظالِمِ

***

تُرَجّي رَبيعٌ أَنْ تَجيءَ صِغارُها بِخَيرٍ وَقَدْ أَعيا رَبيعاً كِبارُها

***

أَحلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً وَتَخالُنا جِنّاً إِذا ما نَجهَلُ [2]

***

فَإِنْ تَنجُ مِني تَنجُ مِن ذي عَظيمَةٍ وَإِلّا فَإِنّي لا إِخالُكَ ناجِياً

(١) احال على الدم : اقبل عليه يلغ فيه . يرميه بعدم الوفاء .
(٢) الرزانة : الوقار و الثبات .

راجع فى اخباره الأغانى ج ١٩ و ٨ و ٦ الشعر و الشعراء و ابن خلكان ج ٢ و الجمهرة و راجع اشعاره فى ديوانه الذى طبع مراراً .

جرير

هو جرير بن عطية الخَطَفَى المكنّى بابى حزرة ، و كنّوه بابن المراغة ايضاً، والمراغة من الاسماء القبيحة للأتان . والخطفى لقب غلب على جدّه لوقوع هذا اللفظ فى شعر له و معناه السير السريع .

شاعر مشهور من بنى كليب وأحد فحول الشعراء الاسلاميين . ولد باليمامة بالجنوب الشرقى من نجد فى خلافة عثمان و نشأ فى البادية بين عشيرته، وكان يختلف الى البصرة للاستجداء بمديح الكبراء ، و هناك عرف الفرزدق و رأى منزلتها التى اكتسبها بشعره . و لما تدخل الفرزدق فى المهاجاة بينه وبين البعيث المجاشعى على نحوما مرمعنا فى ترجمة الفرزدق احتدم بينهما - اعنى جريراً والفرزدق - الهجاء ولم يكفهما عنه الاالموت. ذكروا أن ثمانين شاعراً تدخلوا فى المهاجاة بينهما منهم الاخطل فغلب جرير جميعهم و ثبت له الفرزدق و الاخطل و دامت المهاجاة بينهم و لمّا مات الاخطل و هو أكبرهم سناً بقى جرير و الفرزدق يتهاجيان طول حياتهما حتى مات الفرزدق و لم يطل عمر جرير بعده الا ستة أشهر فمات فى سنة ١١٠ هـ. اى فى السنة التى مات فيها الفرزدق .

كان جرير يقيم بالبادية اولا ثم جاء الى البصرة بعد زمن و اقام فيها واتصل بالحجاج بن يوسف وقال فيه مدائح رائعة نال بها جوائز سنية و منزلة رفيعة وكاد يختص به حتى حسده عليه عبدالملك بن مروان الخليفة الاموى فاوفده الحجاج مع ابنه محمد الى الخليفة بالشام فمدحه جرير وجعله الخليفة من المقربين و نال الشاعر فى بلاطه شهرة واسعة و مدح بعده الوليد و سليمان و عمر بن عبد العزيز

ويزيدبن عبدالملك و هشاماً .

قال جرير الشعر عن طبع و سليقة و لذلك ترى شعره متلائمة الأجزاء متسقة العبارات بعيداً عن التكلف والحشو والتعقيد. اما الفرزدق فقدكان متعمِّقاً فى معانيه متعمِّداً الفخامة البيانية و لذلك أعجب شعر جرير عامة الناس و سار على السنتهم فى حين ان شعر الفرزدق لايدور الّاعلى السنة العلمأ و الخاصة . و مما تناول جرير بشعره الهجاء و النسيب و المدح و الفخر ، كان موجع الهجاء مسرفاً فى السباب والشتم كثير الافتراء على الأبرياء غير مبال أن يقذف المحصنات العفيفات و مع ذلك كان ديّناً كثير الصلوة والدعاء .

و كان هجاؤه شديد الوقع على مخالفيه ، روى الجاحظ انه كان الرجل من بنى نمير اذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال نميرى كما ترى ، فما هو الا ان قال جرير :

فَغُضَّ الطَّرفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ   فلا كَعْباً بلَغْتَ و لا كِلاباً

فصار الرجل من بنى نمير اذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال من بنى عامر. وقال ما علمت فى العرب قبيلة لقيت من جميع ما هجيت به ما لقيت نمير من بيت جرير. (١)

و سلك فى النسيب مسلك الجاهليين و لم يخرج عن طريقة شعراء البادية فى وصف النساء، و مع أن نسيبه لم يصدر عن عشق و هيام امتاز بالرقة و خفة وقعه فى النفس، قال عن نفسه « ما عشقت قط و لو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكى على شبابها . » و أما فخره فان جرير و ان لم يستطع أن يفخر بعشيرته - كما كان يفعل الفرزدق - لانهم كانوا فقراء خاملى الشأن فى الجاهلية و الاسلام الا ان براعته فى صناعته غطت على ضعة ابيه و عشيرته .(٢)

و لجرير فى كل باب من الشعر ابياتاً سائرة تتناقلها الاقلام والالسن و اليك امثلة من أشعاره .

(١) البيان و التبين ١٦٣/٣

(٢) تجد اخباره فى الاغانى ج ٧ و٩ و١٠ و وفيات الاعيان ١٠٢/١ والعقدالفريد ١١٤/١ . و له ديوان مطبوع .

من قصيدة ناقض بها الفرزدق

لِمَنِ الدِّيارُ كأنَّها لَمْ تُحْلَلِ

بَيْنَ الكِناسِ و بَيْنَ طَلْحِ الأعزَلِ (١)

و لَقَدْ أرَى بِكَ و الجَديدُ إلَى بِلَى

مَوْتَ الهَوَى و شِفاءَ عَيْنِ المُجْتَلي (٢)

نَظَرَتْ إلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنَيْ مُغْزِلٍ

قَطَعَتْ حِبالَتَها بِأعْلَى يَلْيَلِ (٣)

و إذا الْتَمَسْتَ نَوالَها بَخِلَتْ بِهِ

وَ إذا عَرَضْتَ بِوُدِّها لَمْ تَبْخَلِ (٤)

لَوْ كُنْتُ أعْلَمُ أنَّ آخِرَ عَهْدِكُم

يَوْمُ الرَّحيلِ فَعَلْتُ ما لَمْ أفْعَلِ

---

(١) الكناس : موضع من بلاد غني . الاعزل : وادلبني كليب به ماء يسمى الاعزل. الطلح : شجر من العضاه. و قوله لم تحلل يخبر انها قد درست و امّحت آثرها .

(٢) قوله موت الهوى: يقول كنا بك يا دار مجتمعين متحاورين فهوانا ميت، فلما افترقنا جاء التذكر و الاحزان . و المجتلى : المفتعل من قولهم اجتليت العروس اى أبرزتها .

(٣) مُغزل : ظبية معها غزالها . يليل : موضع .

(٤) نوالها : القُبلة و اللمسة ، يقول : تعطيك بلسانها ما لا تفعله . يقـول اذا عرضت لها بالمودة والحديث فهى تبذله و لا تبخل به و اذا اردت غير ذلك بخلت به .

أَوْ كُنْتُ أَزْهَبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجِلٍ
لَقَنِعْتُ او لَسأَلْتُ ما لم يُسأَلِ

* * *

أَعددتُ للشُعَراء سَمّاً ناقِعاً
فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الأَوَّلِ (١)

لَمّا وَضَعْتُ على الفرزْدَقِ مِيْسَمي
وَضَغا البَعيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ (٢)

أَخزَى الَّذي سَمَكَ السَّماءَ مُجاشِعاً
و بَنى بِناءَكَ في الحَضيضِ الأَسفَلِ (٣)

بَيْتاً يُحَمِّمُ قَيْنُكُم بِفِنائِهِ
دَنِساً مقاعِدُهُ خَبيثَ المَدْخَلِ (٤)

أَعيَتْكَ مَأْثَرَةُ القُيُونِ مُجاشِعٍ
فَانْظُرْ لَعَلَّكَ تَدَّعي مِنْ نَهْشَلِ (٥)

---

(١) سماً ناقعاً : سماً قاتلا .

(٢) الميسم : يريد به القوافى . ضغا : تذلّل . جدعت : قطعت .

(٣) مجاشع : قوم الفرزدق . الحضيض : أسفل الجبل .

(٤) يحمّم : يدخن فيه فيسوّده . القين : العبد ، الحدّاد . فناء البيت . أمام البيت .

(٥) مجاشع و نهشل أخوان و الفرزدق مجاشعى ، فقال اما مجاشع فلا فخر لك فيهم فانظر لعلك تجد فخراً فى نهشل ، يهزأ به .

وَ امدحْ سراةَ بني فُقيمٍ إنَّهمْ
قتلوا أباكَ و ثأرُهُ لم يُقتلِ
قُتِلَ الزُّبيرُ و أنتَ عاقدُ حُبوةٍ
تبّاً لحُبوتِكَ التي لم تُحلَلِ (١)
لا تذكُروا حُلَلَ المُلوكِ فإنَّكُمْ
بعدَ الزُّبيرِ كحائضٍ لم تُغسَلِ
إنّي إلى جبلَي تميمٍ مَعقِلي
وَ مَحلُّ بيتي في اليَفاعِ الأطوَلِ (٢)
أحلامُنا تزِنُ الجبالَ رزانةً
و يَفوقُ جاهِلُنا فعالَ الجُهَّلِ
كانَ الفرزدقُ إذ يَعوذُ بخالِهِ
مِثلَ الذَّليلِ يَعوذُ تحتَ القَرمَلِ (٣)
و افخر بِضبَّةَ إنَّ أُمَّكَ مِنهُمُ
لَيسَ ابنُ ضبَّةَ بالمُعَمِّ المُخوَلِ
إنَّ الَّذي سمكَ السَّماءَ بنى لَنا
عِزّاً علاكَ فما لَهُ مِن مَنقَلِ

(١) ادعى جرير ان الزبيركان جاراً للنعربن زمّام المجاشعي و لم يكن أجاره .
(٢) معقلي : ملجاءي و حرزي . اليفاع : المكان المشرف .
(٣) القرمل : شجر ضعيف لا شوك له . و مثل للعرب : ضعيف عاذ بقرملة .

أَبلغْ هَـدِيَّتِي الفَرَزْدَقَ إِنَّهـا
ثِقَلٌ يُـزادُ عَلى حَسيرٍ مُثقَلِ
إنّا نُقيمُ صَغا الرُّؤوسِ و نَختَلي
رَأسَ المُتوَّجِ بالحُسامِ المِقصَلِ.

و من قصيدة يهجو بها الاخطل :

حيِّ الغَداةَ بِرامـةَ الأَطلالا ... رَسماً تَقادم عهدُه فأحـالا [(١)]
إنّ الغَوادىَ والسواريَ غادَرت ... للرّيح مخترقـاً بـه و مجـالا [(٢)]
لم يُلفَ مِثلُكَ بعدَ اهلكَ منزلًا ... فسُقيتَ من نَوْءِ السماكِ سِجالا [(٣)]
و لقد عجبتُ من الديار و أهلِها ... و الدهرِ كيف يبدّل الأبدالا
و رأيتُ راحلةَ الصِبا قد أقصرت ... بَعد الذَّميل و ملّت التَرحالا [(٤)]

ثم يتخلص من ذلك الى مهاجاة الاخطل :

إنّى جَعلتُ ، فإن أعافي تغلباً ، ... للظالمينَ عُقـوبـةً و نَكالا [(٥)]
أنسيتَ يومك بالجزيرة بعدَ ما ... كانت عواقبه عليك و بالا
حَملتْ عليك حُماةُ قيسٍ خيلَها ... شُعْثاً عوابس تحمل الأبطالا [(٦)]

---

(١) رامة : اسم مكان . الغداة ؛ صباحاً . أحال : اتى عليه أحوال .

(٢) الغوادى : جمع الغادية ، مطرة الصباح . السوارى : جمع السارية ، السحابة تأتى ليلًا . المخترق : الممرّ و مخترق الرياح مهبّها .

(٣) نوء السماك : المطر الحادث حين ظهور نجم السماك . و العرب يضيفون الامطار الى النجوم و ينسبونها اليها. السجال : مرة بعد مرة .

(٤) اى قوة الشباب ضعفت و كلت . الذميل : السير السريع .

(٥) النكال : اسم ما يجعل عبرةً للغير .

(٦) الشعث : الغبر لطول السفر .

ما زلت تحسب كلَّ شيءٍ بعدهم … خيلًا تشدُّ عليكم و رجالا [١]
هل تملكون مَن المشاعر مشعراً … او تنزلون مِن الأراك ظلالا [٢]
فلنحن أكرمُ في المنازل منزلا … منكم و أطولُ في السماء جبالا
و لو انَّ تغلب جُمّعت أنسابها … يوم التفاضل لم ترن مثقالا
تلقاهمُ حلماء عن اعدائهم … و على الصديق تراهم جُهالا
لا تطلبنَّ خؤولةً في تغلب … فالزّنجُ أكرمُ منهم أخوالا

و من غزله قوله في مقدمة قصيدة يهجو بها الاخطل .

أقول لصحبتي لما ارتحلنا … و دمعُ العين منهمرٌ سِجامُ [٣]
أتمضون الرسومَ ولم تحيّوا … كلامكمُ عليَّ إذن حرامُ [٤]
بنفسي مَن تجنّبه عزيزٌ … عليَّ و مَن زيارته لِمامُ [٥]
و مَن أمسي و أصبح لا أراه … و يطرقني اذا هجع النيامُ
اتنسى اذ تودّعنا سُليمى … بفرع بشامة سُقي البشامُ [٦]
فلو وجد الحمام كما وجدنا … بسلمانين لاكتأب الحمامُ

(١) تشد عليكم : تحمل عليكم .
(٢) المشاعر : مناسك الحج و معالمه الظاهرة . الاراك : شجر معروف .
(٣) انهمر الدمع : سال، و كذلك سجم .
(٤) و في رواية « تمرون الرسوم ولم تعوجوا » او (مررتم بالديار ولم تعوجوا) و الرسوم آثار الدار .
(٥) زاره لماماً : زيارة غير طويلة بعد ايام، غبّاً . هجع : نام .
(٦) البشام شجر عطر الرائحة .

و قوله :

إنّ الذين غَدَوْا بِلُبِّكَ غـادَرُوا
وَشَلًا بِعَينِك لا يَزال مَعِينـا [١]
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَراتِهِنَّ و قُلن لي :
ما ذا لَقيتَ مِنَ الْهوى و لَقِينا [٢]

و قالوا ان أغزل شعر قالته العرب قول جرير :

إنَّ الْعُيُونَ الّتي في طَرْفِها حَوَرٌ
قَتَلْنَنا ثم لَمْ يُحْيِيـنَ قَتْلانـا [٣]
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتّى لاحَراكَ بِهِ
وَ هُنَّ أَضعَفُ خَلْقِ اللهِ إنسانا

و مما يستجاد له :

فَأَنْتَ أَبي ما لَمْ تَكُنْ لِيَ حاجَةٌ — فَإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لا أَبالِيا
وَ إنّي لَمَغْرُورٌ أُعَلَّـلُ بِالْمُنى — لَيالِيَ أَرْجُو أَنَّ مالَكَ مالِيا
بِأَيِّ نِجادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بَعْدَ ما — قَطَعْتَ الْقُوى مِنْ مِحْمَلٍ كانَ باقِيا [٤]
بِأَيِّ سِنانٍ تَطْعَنُ الْقَوْمَ بَعْدَ ما — نَزَعْتَ سِناناً مِنْ قَناتِكَ ماضِيا

(١) الوشل : الماء القليل . معينا : جاريا .
(٢) غيضن : اذهبن . عبرات : جمع عبرة و هى الدمعة قبل أن تفيض .
(٣) الحور : شدة سواد العين مع شدة بياضها .
(٤) النجاد : حمائل السيف . القوى : جمع القوة وهى الطاقة من طاقات الحبل.

أَلَمْ أَكُ ناراً يَصْطَلِيها عَدُوُّكُمْ   وحِرْزاً لِما أَسْنَدْتُمْ مِنْ ورائِيا

أَلالا تَخافا نَبْوَتي في مُلِمَّةٍ   و خافا المَنايا أَنْ تَفُوتَكُمابِيا (١)

و من جيد شعره قوله من قصيدة يرثي بها امرأته :

لولا الحياءُ لهاجَني استعبارُ   و لَزُرْتُ قَبْرَكِ و الحبيبُ يُزارُ (٢)

وَلَهتِ قلبي إذْ عَلَتْني كَبْرة   و ذوو التمائمِ مِن بنيك صِغارُ (٣)

لا يَلْبَثُ القرناءُ أن يَتَفَرَّقوا   لَيْلٌ يكُرُّ عليهمُ و نهارُ

صلَّى الملائكةُ الّذين تُخُيِّروا   و الطَّيِّبونَ عليكِ و الأبرارُ

فلقد أراكِ كُسيتِ أحسنَ مَنظرٍ   و معَ الجمالِ سكينة و وقارُ

و قوله يرثي ابنه :

قالوا نصيبُكَ من أجرٍ فقلتُ لهم

كيف العَزاءُ و قد فارقتُ أشبالي

فارقتَني حين كفَّ الدهرُ من بصري

و حين صِرتُ كعظم الرِّمة البالي (٤)

و قال يفتخر :

إنَّ الّذي حَرَمَ المَكارِمَ تغلبـاً

جعل الخِلافةَ و النبوءةَ فينـا

---

(١) النبْوة : من نبا السيف ، اذا كل و لم يقطع . الملمة : النازلة الشديدة من نوازل الدنيا .

(٢) استعبرت عبرته : جرت دموعه .

(٣) وَلِهت قلبي : حزَّنت قلبي حزنا شديداً . كبرة : الكبر و الضعف .

(٤) الرِّمَّة : العظم البالي .

مُضَرُ أبي وَ أبو المُلوكِ فهل لَكُمْ
يا خُزرَ تَغلِبَ من أبٍ كأبينا [1]

هذا ابنُ عمّي في دِمَشقَ خليفةٌ
لـو شِئتُ ساقَكُمُ إليَّ قَطينا [2]

و من ابياته السائرة :

أَلستُم خيرَ مَن ركِبَ المطايا   و أندى العالمينَ بطونَ راحِ

* * *

إنّي لأرجو منك خيراً عاجلاً   والنفسُ مُولَعةٌ بحُبِّ العاجلِ

* * *

زعمَ الفرزدقُ أنْ سيَقتُلَ مربعاً   أبشِرْ بطولِ سلامةٍ يا مربعُ [3]

* * *

اذا غضِبَتْ عليك بَنـو تميمٍ   حسِبْتَ الناسَ كلَّهم غضابـا

* * *

فغُضَّ الطرفَ إنّكَ من نميرٍ   فلا كَعباً بلغتَ و لا كِلابا [4]

---

(١) الخزر: جمع أخزر، ضيّق العين وصغيرها .

(٢) قطينا : خدما .

(٣) مربع : اسم راوية جرير.

(٤) غض الطرف : اخفض طرفك .

الكميت

هو الكميت بن زيد الاسدي المكنّى بابى المستهل من قبيلة مضر. ولد سنة ٦٠ ﻫ. ونشأ بالكوفة بين قومه بنى أسد، قال الشعر و هو صغير، وكان يحترف تعلم صبيان الكوفة أول امره فلمّا اتقن الشعر اضاع قصائده و تكسب بالشعر ومدح الامراء و الولاة و سادات اهل البيت، و قد اشتهر بتشيّعه لبنى هاشم و آل على و له فيهم قصائد بليغة تسمى الهاشميات، احتج لهم فيها و دافع عنهم و عرض نفسه من اجلهم للموت. ذكر المسعودي انه لما عرض بائيّته فى بنى هاشم على الفرزدق قال له: «لله درك يا بنى اصبت فأحسنت إذ عدلت عن الزعانف و الاوباش، اذا لا يصرد سهمك، و لا يكذب قولك. و قال له، أظهر ثم أظهر وكدالاعداء، فأنت والله اشعر من مضى واشعر من بقى.» (١)

و مما ذكروا فيه أنه مثير عصبية العدنانية على القحطانية، تلك العصبية التى كان لها أثر غير قليل فى الاضطرابات الناشئة فى الدولة الاموية.

كان بنو امية يستغلون العصبية بين اليمانية و المضرية فى ترويج سياستهم، و نزولا عند رغبتهم هجا حكيم الكلبى شاعر من اليمانية آل على و شيعته ومُضر جمعا، فهجاه الكميت و هجا اليمانية و مدح قومه مضر بن نزار و ذكر فيها مناقبهم و كثر من تفضيلهم على قحطان فايقظ شعره ما كان نائماً من العصبية الجاهلية فافتخرت نزار على اليمن و افتخرت اليمن على نزار و أدلى كل فريق بماله من المناقب و تحزّبت الناس و ثارت العصبية فى البدو و الحضر و استفحل الأمر و ادّى ذلك الى حوادث فى التاريخ ليس هنا موضع ذكرها.

(١) مروج الذهب ١٥٩/٣

و لمّا كان خالدبن عبدالله القسرى والى العراق يمانياً سعى بـه الى هشام بن عبدالملك الخليفة الاموى و احتال حتى ابلغه شعر الكميت فى ذم بنى امية و مدح بنى هاشم فغضب هشام لذلك و كتب الى خالد أن يقطع لسانه ويده فقبض خالد عليه و سجنه ، و لكنه استطاع أن يهرب من السجن . فذهب الى الشام و مدح هشاماً بقصيدة اعتذر فيها و اظهر رجوعه من التشيّع مطلعها :

ما ذا عَلَيكَ مِن الْوُقو – فِ بِها و انك غيرُ صاغِرِ

و قال فيها :

فالآنَ صِرتُ إلى أميّة – و الأمورُ الى المَصائِرِ
يـا ابنَ الـعقائلِ لِلعقا – ئلِ و الجَحاجِحة الأخايرِ
من عبد شمس و الأكا – بِرِ مِن أميّة فالأكابر

واليك نخبة من اشعاره :

من بائيته فى بنى هاشم

قال الجاحظ ما فتح للشيعة الحجاج بالشعر الا الكميت بقوله :

يقولون لَمْ يُورَث و لولا تُراثُه – لقد شاركت فيه بكيل وأرحب
فَإن هى لم تصلح لحيٍّ سواهم – اذا فذوُو القُربى أحقُّ وأقربُ

وهى من هاشميته المطولة التى اولها :

طَرِبت و ما شَوْقاً الى البيض أطرَب
و لا لَعِباً منّي و ذو الشيبِ يلعب ؟
و لم تُلهِنى دارٌ و لا رَسمُ مَنزِلِ
و لَمْ يَتطَرَّبني بَنـــانٌ مُخضَّبُ

و ما أنا ممن يزجر الطير همه
أصاح غراب أو تعرض ثعلب
و لا السانحات البارحات عشية
أمر سليم القرن أم مر أعضب (١)
و لكن إلى أهل الفضائل و النهى
و خير بني حواء و الخير يطلب
إلى النفر البيض الذين بحبهم
إلى الله فيما نابني أتقرب
بني هاشم رهط النبي فإنني
بهم و لهم أرضى مرارا و أغضب
خفضت لهم مني الجناح مودة
إلى كنف عطفاه أهل و مرحب (٢)
و كنت لهم من هؤلاء و هؤلاء
محبا على أني أذم و أغضب
و مالي إلا آل أحمد شيعة
و مالي إلا مذهب الحق مذهب

(١) الأعضب : المكسور القرن .
(٢) الكنف: الجانب ، و كنف الانسان حضنه .

بِأيِّ كِتابٍ أمْ بِأيَّةِ سُنَّةٍ
يُرى حُبُّهُمْ عاراً عَلَيَّ وَ يُكْتَبُ
فَيالَكَ أمْرٌ قَدْ أَشَتَّتْ جُمُوعُهُ
و دُنْيا أرى أسبابَها تَتَقَضَّبُ،[1]
تَبَدَّلَتِ الأشْرارُ بَعْدَ خِيارِها
و جَدَّ بِها مِنْ أُمَّةٍ وَهِيَ تَلْعَبُ

و من هاشمياته ايضاً :

ألا هَلْ عَمٍ في رَأْيِهِ مُتَأمِّلُ
وَ هَلْ مُدْبِرٌ بَعْدَ الإساءَةِ مُقْبِلُ،[2]
و هَلْ أُمَّةٌ مُسْتَيْقِظُونَ لِرُشْدِهِمْ
فَيَكْشِفُ عَنْهُ النَّعْسَةَ الْمُتَزَمِّلُ،[3]
فَقَدْ طالَ هذا النَّوْمُ وَاسْتَخْرَجَ الْكَرى
مَساوِيَهُمْ لَوْ كانَ ذا الْمَيْلُ يُعْدَلُ
و عُطِّلَتِ الأحْكامُ حَتّى كَأنَّنا
عَلى مِلَّةٍ غَيْرِ الَّتي نَتَنَحَّلُ

---

(١) تتقضب : تتقطع .
(٢) اى اما آن للغافل آن يتنبّه و للنائم ان يستيقظ ؟
(٣) المتزمل : الملتف فى ثوبه .

كَلامُ النَّبِيِّينَ الْهُداةِ كَلامُنا
وأَفعالُ أَهلِ الْجاهِلِيَّةِ نَفعَلُ

رَضينا بِدُنْيا لا نُريدُ فِراقَها
عَلى أَنَّنا فيها نَموتُ ونُقتَلُ

ونَحنُ بِها مُستَمسِكونَ كَأَنَّها
لَنا جُنَّةٌ مِمّا نَخافُ ومَعقِلُ (١)

أَرانا عَلى حُبِّ الْحَياةِ وطُولِها
يُجَدُّ بِنا في كُلِّ يَومٍ ونَهزِلُ

* * *

وقال يهجو بنى امية : (٢)

فَقُلْ لِبَني أُمَيَّةَ حَيثُ حَلُّوا ... وَإِنْ خِفتَ الْمُهَنَّدَ والْقَطيعا (٣)

اجاعَ اللّهُ مَنْ أَشبَعتُموهُ ... وَأَشبَعَ مَنْ بِجَورِكُمُ أُجيعا

بِمَرضيِّ السِّياسَةِ هاشِميٍّ ... يَكونُ حَياً لِأُمَّتِهِ رَبيعا (٤)

* * *

(١) الجنة : الوقاية . المعقل : الملجأ .
(٢) البيان والتبين ج ٣/٢١٧
(٣) المهند : السيف الهندى . القطيع : القضيب تبرى منه السهام .
(٤) الحيا : المطر والخير والبركة .

وعدّ ابن قتيبة من جيّد شعره قوله :(١)

أَلا لا أَرى الْأَيّامَ يَفْنى عَجيبُها
لِطولٍ وَلا الْأَحداثُ تَفْنى خُطوبُها
ولا غَبَنَ الأَيّامَ، يَعْرِفُ بَعْضَها
بِبَعْضٍ، مِنَ الْأَقوامِ إِلّا لَبيبُها (٢)
ولَمْ أَرَ قَوْلَ الْمَرْءِ إِلّا كَنَبْلِهِ
لَهُ وَبِهِ مَحْرُومُها وَمُصيبُها (٣)
وأَجْهَلُ جَهْلِ الْقَوْمِ ما في عَدُوِّهِمْ
وأَرْدَأُ أَحلامِ الرِّجالِ عَزُوبُها
ولا غَبَنَ الْأَقوامَ مِثْلُ عُقولِهِمْ
وَلا مِثْلُها كَسْباً أَفادَ كَسُوبُها
رَأَيْتُ عَذابَ الْماءِ إِنْ حِيلَ دونَها
كَفاكَ لِما لابُدَّ مِنْهُ شُرُوبُها
ولَوْ لَمْ يَكُنْ إِلّا الأَسِنَّةَ مَرْكَبٌ
فَلا رَأْيَ لِلْمَحْمولِ إِلّا رُكُوبُها

---

(١) الشعر والشعراء ، ٢٢٧

(٢) غبن الايام : غلبها ولم ينخدع بها .

(٣) النبل : السهام .

وقال يمدح خالد بن عبدالله القسري (١)

لَوْ قِيلَ لِلْجُودِ مَنْ حَلِيفُكَ ما ... إِنْ كانَ إِلَّا إِلَيْكَ يَنْتَسِبُ (٢)
أَنْتَ أَخُوهُ وَ أَنْتَ صُورَتُهُ ... والرَّأْسُ مِنْكَ وغَيْرُكَ الذَّنَبُ
أَحْرَزْتَ فَضْلَ النِّضالِ في مَهَلٍ ... فَكُلُّ يَوْمٍ بِكَفِّكَ الْقَصَبُ (٣)
لَوْ أَنَّ كَعْباً و حاتِماً نُشِرا ... كانَ جَمِيعاً مِنْ بَعْضِ ما تَهَبُ (٤)
لا تُخْلِفُ الْوَعْدَ إِنْ وَعَدْتَ وَلا ... أَنْتَ عَنِ الْمُعْتَفِينَ تَحْتَجِبُ (٥)
ما دُونَكَ الْيَوْمَ مِنْ نَوالٍ وَلا ... خَلْفَكَ لِلرّاغِبِينَ مُنْقَلَبُ

* * *

و من قصيدته التي يعتذر فيها الى هشام بن عبدالملك :

كَمْ قالَ قائِلُكُمْ لَعا ... لَكَ عِنْدَ عَثْرَتِهِ لِعاثِرْ (٦)
و غَفَرْتُمُ لِذَوِي الذُّنو ... ب من الْأَكابِرِ والْأَصاغِرْ
أَبَنِي أُمَيَّةَ إِنَّكُمْ ... أَهْلُ الوَسائِلِ وَ الْأَوامِرْ

(١) عبدالله القسرى هو امير العراق المقتول سنة ١٢٦ .
(٢) حليفك : هو الذى يعاهدك على ان يكون أمركما واحداً فى النصرة والحماية.
(٣) النضال : المباراة فى الرمى . القصب : كل نبات ذى انابيب ، الواحدة قصبة.
و احرز القصب، اوقصب السبق : غلب .
(٤) كعب وحاتم : من اجواد العرب المضروب بهم المثل فى الكرم .
(٥) المعتفون : طلاب المعروف و الرزق .
(٦) لعالك: كلمة دعاء تقال للعاثر، بمعنى أقال الله عثرتك .

ثِقَتي لِكُلِّ مُلِمَّةٍ   و عشيرتي دون العشائِرْ
أنتم مَعادِنُ لِلخِلا -   فَةِ كابِراً مِنْ بَعْدِ كابِرْ
بالتسعة المُتَتابعينَ   خلائفاً و بِخَيْرِ عاشِرْ
و إلى القيامة لاتزا -   لُ لِشافِعٍ مِنكُمْ وَ واتِرْ [١]

---

(١) اى لا تزال الخلافة فيكم. والشافع والواتر من الشَّفع والوَتر بمعنى الزوج و الفرد.

بدء ظهور عناصر ايرانية
فى الادب العربى

كانت اللغة العربية فى العصر الجاهلى محصورة فى البلاد العربية وكان الذين يتكلمون بها او ينظمون الشعر فيها من العرب خاصة، ولكن بعد ظهور الاسلام وانتشاره فى بلاد أخرى خارج الجزيرة، تغيرت حالة اللغة عما كانت عليه من ذى قبل، فخرجت من محيطها الضيّق و تقدّمت مع القرآن و توسّعت دائرتها شيئاً فشيئاً حتى اصبحت لغة الدين و السياسة و العلم و الادب للعالم الاسلامى كله . وهكذا صار الادب العربى من شعره و نثره ، فانه و ان ظل عربياً فى اللغة وفى بعض المناهج التى اختطها الاقدمون خصوصاً فى الشعر، الا انه بعد ان اشترك فيه مع العرب امم أخرى ذات حضارات مختلفة؛ واخذوه وسيلة للتعبير عن عواطفهم و افكارهم ، اصبح بالتدريج ادباً اسلامياً يمثل النزعات السائدة فى الحياة الاسلامية والامم الداخلة فيها أكثر من أن يمثل الحياة العربية الساذجة . واخذ يتقدم فى سبيل الرقى و الكمال بتقدم الاسلام و حضارته .

و لا شك ان تقدم الحضارة الاسلامية، بما فيها الادب العربى، هو نتيجة جهود أمم مختلفة و امتزاج ثقافاتها المتنوعة . الا انه لما كانت الفتوحات الاسلامية قدتم معظمها على حساب الامبراطورية الساسانية والبلاد التى تكوّن منها المملكة الاسلامية فى الشرق كانت من الاراضى الايرانية او المتأثرة بحضارتها؛ وبما ان الادب العربى نما و ازدهر فى تلك البلاد ، باشتراك من ابنائها و فى جوّ مفعم بالثقافة الفارسية ، فلاجرم انه ظل متأثراً بتلك الثقافة اكثر من اى ثقافة أخرى؛ و كانت العوامل الايرانية من اقوى العوامل الفعالة فى تطوره .

و الحق ان دخول الفرس فى الاسلام، واتخاذهم العربية لغة العلم والادب لهم؛

حدث عظيم فى تاريخ الاسلام و الادب العربى. فقدكان القوم ذا حضارة قديمة ولغة منتشرة و نظام وطيد، قد مرنوا على التأليف و التدوين، و حصل لهم بطول الزمان علم و ادب و كتب مدوّنة. و عند ظهور الاسلام كانوا فى نهضة علمية شاملة بدأت من زمن كسرى انوشروان؛ فلما اعتنقوا الاسلام اقبلوا بمقتضى ثقافتهم على تعلم العربية و التفقة فى الدين بحماسة و نشاط. و بعد أن تمكّنوا من اللغة اخذوا ينظمون و يكتبون فيها و ينقلون اليها ما يلائم من كتبهم البيئة الاسلامية والعقلية العربية؛ و سرعان ما ظهر منهم ومن اولادهم نوابغ فى العلم و الادب كان المسلمون عرباً و غير عرب يرجعون اليهم و يأخذون عنهم دينهم و لغتهم.

و النهضة العلمية فى الاسلام وان ازدهرت و اينعت ثمرتها فى العصر العباسى الا أن تباشيرها ظهرت فى الوجود منذ اواخر القرن الاول. و فى هذا القرن نرى لأول مرّة فى تاريخ اللغة العربية شعراء و كتاب ينتمون الى اصول ايرانية، اسلموا هم او آباءهم فى عصر الفتوح او بعده و توطّن اكثرهم الحواضر الاسلامية و نظموا الشعر فى العربية و كتبوا فيها و اصبحوا من شعراء الدولة الاموية و من مشاهير كتابها. فهولاء وامثالهم روّاد عصر جديد فى الاسلام، عصر امتزج فيه الثقافات وظهرت بمظهر ثقافة واحدة اسلامية مطبوعة بالطابع العربى.

و انت ترى ان شعرهم - مع حرصهم على محاكاة العرب و عدم الخروج عن المألوف؛ و مع احتفاظهم على الاساليب العربية جرياً على مقتضيات العصر - قد ينم عن نزعات جديدة و صور مستحدثة لم تعهد من قبل؛ و ما نراه فى شعر هؤلاء و غيرهم من شعراء هذا العصر و ان لم يبلغ إلى درجة يمكننا ان نسميه تجددا، الا انه يشعرنا بخطوة جديدة يخطوها الادب العربى نحو التجدد. و نحن نعرض فيما يلى صوراً من اشعارهم و نبذاً من تاريخ حياتهم كما ورد فى كتب الادب والتاريخ.

زياد الأعجم

اسمه زياد و اسم أبيه كما ورد فى مختلف الروايـات سلمى (١) او سليمان أو جابر، (٢) و كنيته ابو أمامة. كان اصله و مولده ومنشأه باصبهان ثم انتقل إلى خراسان و لم يزل بها حتى مات . وقيل له « الأعجم » لان لسانه لم يكن بطاوعه أن ينطق بالحروف العربية . قال صاحب الاغانى « كان شاعراً جـزل الشعر فصيح الالفاظ على لكنة لسانه و جريه على لفظ اهل بلده . » (٣) و نجد فى كتب الادب امثلة من لكنته منها ما ذكره الاصبهانى قال : « دعا (يعنى زياد) غلاماً له ليرسلـه فى حاجة فأبطأ فلما جاء قال له : « منذلدن دأوتك الى أن قلت لى ما كنت تسنأ » يريد « منذلدن دعوتك إلى أن قلت لبيك ما ذا كنت تصنع » . وذكر كذلك انه عند ماكان ينشد يزيد بن المهلب قصيدته التى رثا بها المغيرة بن المهلب وأنشد فيها هذا البيت :

فَإذا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ كُومَ الْهِجانِ وَكُلَّ طِرْفٍ سابِحِ (٤)

قال له يزيد بن المهلب: يا أبا أمامة أفعقرت انت عنده؟ قال كنت على بيت الهمار يريد الحمار . و ذكر الجاحظ انه كان ينشد قوله :

فَتىً زادَهُ السُّلْطانُ فى الوُدِّ رِفْعَةً
إذا غَيَّرَ السُّلْطانُ كُلَّ خَليـل

---

(١) الشعر و الشعراء ١٦٦
(٢) الاغانى ج ١٤ ص ٦٩٨
(٣) » » .
(٤) عقر به : حبسه عـن السير . الكوم : القطعة من الابل . الهجان : من الابل البيض الكرام يستوى فيه المذكر و المؤنث و الجمع . الطرف : الكريم الطرفين من الخيل . السابح من الخيل : السريع فى جريه .

كان يجعل السين شيناً والطاء تاءً ويقول فتى زاده الشلتان . . الخ (١) ويظهر انه تعلّم العربية فى بلده و لم يرحل الى بلاد العرب. و اذ كان يقــول الشعر عن تعلّم لا عن سليقة أخذوا عليه بعض مــآخذ فى نظمه . من ذلك فى قوله يخاطب يزيد بن المهلّب . (٢)

هَلْ لَكَ فِي حَاجَتِي حَاجَةٌ ... أَمْ أَنْتَ لَهَا تَارِكٌ طَارِحُ (٣)

أَمِتْهَا لَكَ الْخَيْرُ أَمْ أَحْيِهَا ... كَمَا يَفْعَلُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ

إِذَا قُلْتُ قَدْ أَقْبَلَتْ أَدْبَرَتْ ... كَمَنْ لَيْسَ غَادٍ وَلَا رَائِحُ

اذ كان ينبغى ان يقول فى البيت الاخير غادياً و لا رائحاً .

* * *

و من لطيف أخباره ماروواه الاصبهانى قــال : كان المهلّب بن ابى صفرة بخراسان فخرج اليه زياد الاعجم فمدحه فأمر لــه بجــائزة فأقام عنده اياماً فأتى

---

(١) البيان و التبيين ٧٤/١

(٢) وهو واولاده من قوّاد العرب، ولهم ذكر فى الفتوحات الاسلامية فى الشرق. وعند ما كان الحجاج بن يوسف يتولى العراق فى عهد عبد الملك بن مروان، أسند ولاية خراسان الى المهلب بن أبى صفرة فقام المهلب بكثير من الفتوح فى هذه البلاد . والمغيرة بن المهلب وهو ممن مدحهم شاعرنا زياد خلف اباه فى مرو ومات فى رجب سنة ٨٢ ھ . وكان المهلب حينئذ بكش-فى شرق خراسان-يحارب اهلها . و لما مات المهلب بعــد شهور من موت ابنه المغيرة ولى الحجاج ابنه الاخر يزيد بن المهلب على بلاد خراسان، و لما تفاقم الامر فى خراسان و احدث يزيد فتنة فى هذه البلاد ولى الحجاج المفضل بن ابى صفرة فى سنة ٨٥ ھ استخلاصاً من يزيد، وبعد مدة قصيرة ارسل اليها قتيبة بن المسلم والياً ودخل قتيبة مرو حول نهاية سنة ٨٥ ھ .

(٣) طارح : مى طرح الشيئى اذا رماه وقذفه .

فى عشية يشرب مع حبيب بن المهلّب فى دار له و فيها حمامة اذ سجعت الحمامة فقال زياد :

تَغَنّي أَنْتِ في ذِممي وَعَهْدي   وَ ذِمّةِ و الِدي أن لَمْ تُطاري
و بيتك أصْلِحِه ولا تخافي   عَلَى صُفْرٍ مُزَغّبةٍ صِغارِ (١)
فإنّكِ كُلّما غنيتِ صوتاً   ذَكَرتُ أحبتي وذكرتُ داري
فإمّا يقتلوكِ طلبتُ ثاراً   لَهُ نَبأٌ لِأنكِ في جِواري

فقال حبيب : ياغلام هات القوس. فقال له زياد . وماتصنع بها؟ قال: أرمى جارتك هذه . قال: والله لئن رميتها لاستعدينّ عليك الامير . فأتى بالقوس فنزع لها سهما فقتلها . فوثب زياد فدخل على المهلّب ، فحدثه الحديث وأنشده الشعر. فقال المهلّب : عليّ بابى بسطام . فأتى بحبيب . فقال له أعط أبا امامة دية جارته ألف دينار . فقال : أطال الله بقاء الامير انما كنت ألعب . قال : اعطه كما آمرك . فانشأ زياد يقول :

فَلِلّهِ عَيْنا مَنْ رأى كقضيةٍ
قَضى لي بِها قَرْمُ الْعِراقِ الْمهلّبُ (٢)
رَماها حبيبُ بْنُ الْمُهلّبِ رَميةً
فأثبتها بالسَّهْمِ وَ السَّهْمُ يُقْرِبُ

---

(١) الصفر : جمع الاصفر . المزغبة : الفراخ الصغار ظهر عليها الزغب وهو اول مايبدو من الريش .

(٢) القرم : السيد ، العظيم .

فألزمه عقل القتيلِ ابنُ حرةٍ

وقال حبيبٌ إنما كنتُ ألعبُ[١]

فقال: زيادٌ لا يُروِّعُ جارُهُ

وجارةُ جاري مثلُ جاري وأقربُ[٢]

فحمل حبيب اليه الف دينار على كره منه .

ويرى بعض المحققين ان هذا الشعور على هذا النحو ، اى تجسم هذا المعنى حتى يستعدى الوالى بطلب الدية جديد لم يكن للعرب عهد به من قبل . و يجد فيه اثراً من الروح الفارسى ومسحة مانوية من حماية الحيوان .[٣]

☆ ☆ ☆

وله فى رثاء المغيرة بن المهلّب قصيدة طويلة قالوا انها تزيد على خمسين بيتاً وانها آية فى البلاغة منها :

قُلْ لِلْقوافِلِ وَالْقَرِيِّ إذا قَرَوْا وَالْبا كِرينَ وَلِلْمجدِّ الرائحِ[٤]

إنَّ الْمُروأةَ والسماحةَ ضُمِّنا قَبْراً بِمَروَ على الطَّريقِ الْواضحِ

فإذا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فاعْقِرْ بِهِ كُومَ الْهِجانِ وَكُلَّ طِرْفٍ سابِحِ

وَانْضَحْ جوانِبَ قَبْرِهِ بِدِمائِها فَلَقَدْ يَكُونُ أخا دَمٍ وذبائحِ[٥]

---

(١) العقل : الدية :

(٢) لايروّع جاره : لايفزع .

(٣) راجع فجر الاسلام ، ١٣٧

(٤) قروا : من قرى (البلاد) يقرى ، اى طاف فيها وتتبعها :

(٥) نضح الشيئى بالماء ، رشّه وبلّه . والذبائح: جمع الذبيحة ، وهو ماسيذبح للنسك.

يا مَنْ لبعد الشَّمس مِن حيٍّ إلَى — ما بَيْنَ مَطلَعِ قَرْنِها الْمُتَنازِحِ [١]
ماتَ الْمُغيرَة بَعْدَ طُولِ تَعرُّض — لِلمَوْتِ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَ صَفائِحِ [٢]
والْقتلُ لَيسَ إلَى الْقِتالِ وَلا أرى — حَيّاً يُؤخَّر لِلشَّفيقِ النّاصِحِ

و منها ما تمثّل به الحجاج عند موت ابنه يوسف :

الْآنَ لَمّا كُنْتَ أَكْمَلَ مَنْ مَشَى
و افتَرَّنابُكَ عن شَباةِ القارحِ [٣]
و تَكامَلَتْ فيكَ الْمُرُوءَةُ كُلُّها
وَ أَعنَتَ ذلك بِالْفَعالِ الصّالِحِ

قال الاصبهانى بعد نقل ابيات من هذه القصيدة : « و هذا من نادر الكلام و نقى المعانى و مختار القصائد و هى معدة من مراثى الشعراء فى عصر زياد ومقدمها.(٤)

* * *

و من جيد كلامه قوله في مدح عمر بن عبدالله بن معمر :

أَبلِغْ أَبا حَفْصٍ رِسالَةَ ناصِحٍ
أَتَتْ مِنْ زِيادٍ مُسْتَبِيناً كَلامُها

(١) قرن الشمس : اول ما يبدو منها ، المتنازح : البعيد .
(٢) الاسنة : جمع السنان ، الصفائح : جمع الصفيحة : السيف العريض .
(٣) الشباة : الفرس الذى يقوم على رجليه . القارح : الفرس الذى شق نابه وطلع، يعنى إنه بلغ اشدّه و هو فى عنفوان شبابه .
(٤) راجع الاغانى ج ١٤ ص ٩٩ .

فَـإِنَّكَ مِثْلَ الشَّمْسِ لا سِتْرَدُونَها
فَكَيْفَ أَبا حَفْصٍ عَلَىَّ ظَلامُهـــا [١]

لَقَدْ كُنْتُ أَدْعُواللهَ فِي السِّرِّ أَنْ أَرَى
أُمورَ معدٍ في يَدَيْكَ نِظامُهـــا

فَلَمّـا أَتاني مـا أَرَدْتُ تَباشَرَتْ
بَناتي و قُلْنَ الـعامُ لا شَكَّ عامُها

فَإنّي وَ أَرْضاً أَنتَ فيها ابْنَ مَعْمَرٍ
كَمَكَّةَ لَمْ يَطْرَبْ لِأَرْضٍ حَمامُهـا

إذا اخْتَرْتَ أَرْضاً لِلْمُقامِ رَضيتُها
لِنَفْسي وَ لَمْ يَثْقُلْ عَلَىَّ مُقامُهـا

وَكُنْتُ أُمَنّي النَّفْسَ مِنْكَ ابْنَ مَعْمَرٍ
أَمـانِيَّ أَرْجو أَنْ يَتِمَّ تَمـامُهـا

---

(٥)وابو حفص كنية عمر بن عبيدالله بن معمر وهو قائد له ذكر في حرب الخوارج. فعندما تقلد مصعب ابن الزبير ولاية العراق ولى عمر بن عبيدالله حرب الخوارج و استطاع عمران يجلهم الى اصفهان حيث جمع الخوارج شملهم في سابور فسار اليهم وهزمهم ، غير انه لم يكن في حزم المهلب بن ابى صفرة الذى كان يلى حرب الخوارج من قبل. وأتاح بذلك الفرصة للخوارج فعاثوا فى الارض و قتلو الاطفال و النساء و جبوا الخراج . و لم يراهل العراق بدامن أن يطلبوا الى مصعب رجوع المهلب الى قتالهم. ذكروا ان زياداً كان صديقاً لعمر بن عبيدالله ابن معمر قبل ان يلى، فقال له عمر: ياابا امامة، لوقد وليت لتركتك لا تحتاج الى احد ابداً. فلما ولى فارس قصده زياد، فلما لقيه أنشده القصيدة هذه وأجزل عمر عطاءه .

فَلا أكُ كالمُجْري إلى رأسِ غايَةٍ
يُرَجي سَماءً لَمْ يُصِبْهُ غَمامُها [(١)]

و من مدائحه فى عمر بن عبيدالله بن معمر ايضاً قوله :

سَألْناهُ الجَزيلَ فَما تَأَبى ... فَأَعْطَى فَوقَ مُنْيَتِنا وَ زادا [(٢)]
وأحسَنَ ثُمَّ أَحسَنَ ثُمَّ عُدْنا ... فَأَحسَنَ ثُمَّ عُدْتُ لَهُ فَعادا
مِراراً ما دَنَوْتُ إلَيْهِ إلّا ... تَبَسَّمَ ضاحِكاً وثَنى الوِسادا

و مما يستجاد له من مدائحه قوله يمدح عبدالله بن الحشرج و هو بسابور :

إنَّ السَّماحَةَ وَ المُرُوّاةَ وَ النَّدى
في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلى ابْنِ الحَشْرَجِ
مَلِكٌ أغَرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائِلٍ
لِلمُعْتَفِينَ يَمينُهُ لَمْ تَشْنَجِ [(٣)]
يا خَيرَ مَنْ صَعِدَ المَنابِرَ بِالتُّقَى
بَعْدَ النَّبِيِّ المُصْطَفَى المُتَحَرِّجِ [(٤)]
لَمّا أَتَيْتُكَ راجِياً لِنَوالِكُمْ
أَلْفَيْتُ بابَ نَوالِكُمْ لَمْ يُرْتَجِ [(٥)]

---

(١) اجرى الى الشيئى : قصده .
(٢) تأبى الشيئى : كرهه ولم يرضه .
(٣) للمعتفين : للذين يأتونه و يطلبون معروفه . لم تشنج : لم تنقبض .
(٤) المتحرج : من تجنب الحرج اى الاثم .
(٥) لم يرتج . لم يغلق .

و من هجائه ما رُوى له فى الفرزدق (١) وهى :

وَ ما تَرَكَ الهاجُونَ لي إنْ أَرَدْتُهُ
مَصَحّاً أَراهُ في أَديمِ الفَرَزْدَقِ (٢)

و ما تَرَكُوا لَحماً يَدُقّونَ عَظْمَهُ
لِآكِلِهِ أَلْقَوْهُ لِلْمُتَعَرِّقِ (٣)

سَأَحْطِمُ ما أَبْقَوْا لَهُ مِنْ عِظامِهِ
فَأَنْكُتُ عَظْمَ السَّاقِ مِنْهُ وأُنْقِي (٤)

فَإِنّا وَ ما تُهْدي لَنا إنْ هَجَوْتَنا
لَكَالبَحْرِ مَهْما يُلْقَ في البَحْرِ يُغْرِق

* * *

و من ظريف اشعاره ما قاله فى غزال بن محمد الفقيه المصرى الذى كان قد قدم من مصر على عمر بن عبيدالله بن معمر بفارس فكان يحدثه بحديث الفقهاء و زياد عنده فقال زياد :

(١) روى فى سبب انشاد هذه الابيات ان الفرزدق لقى زيادا الاعجم فقال له الفرزدق: لقد هممت أن أهجو عبدالقيس (وكان زياد من موالى عبدالقيس) فقال له زياد: هب لى نفسك ساعة ولاتعجل حتى يأتيك رسولى بهديتى ثم ترى رأيك، وظن الفرزدق انه سيهدى اليه شيئاً يستكفه به، فكتب اليه زياد بهذه الابيات . فبعث اليه الفرزدق لا أهجو قوماً أنت منهم ابداً . (راجع الاغانى ١٠٤/١٤ و الشعر والشعراء ١٦٥/)

(٢) مصح : موضع الصحة . أديم : الجلد .

(٣) تعرق العظم : أخذ ما عليه من اللحم بأسنانه نهشاً .

(٤) أنكت : أخرج مخّه و كذلك أنقى اى اخرج نِقْيه . والنِقْي : المخ .

يُحدِّثُنا أنَّ القِيامَةَ قَدْ أَتَتْ

وَجاءَ غَزالٌ يَبْتَغي المالَ مِنْ مِصْرِ

فكَمْ بَيْنَ بابِ التُّرْكِ إنْ كُنْتَ صادِقاً

وَأَيْوانِ كِسْرَى مِنْ فَلاةٍ وَمِنْ قَصْرِ

و من خبيث هجائه قوله فى الاشاقر قبيلة كعب الاشقرى الشاعر الذى كان يهاجيه:

قُبَيْلَةٌ خَيْرُها شَرُّها وَأَصْدَقُها الكاذِبُ الآثِمُ

وَضَيْفُهُمُ وَسْطَ أَبْياتِهِمْ وَإنْ لَمْ يَكُنْ صائِماً صائِمُ

موسى شهوات

اسمه موسى واسم ابيه بشار و(شهوات) لقب غلب عليه . اصله من آذربايجان ولكنه نشأ بالمدينة وأقام فيها وقال الشعر واجاد قوله واصبح من شعراء اهل الحجاز المشهورين . وكان الخلفاء من بنى أمية يحسنون اليه و يدرون عطائه و تجبيئه صلاتهم الى الحجاز . و ذكر ابن قتيبة فى سبب تلقيبه بشهوات ان عبدالله بن جعفر كان يتشهى عليه الشهوات فيشتريها له موسى و يتربح عليه(١). و روى الاصبهانى قال : « انما لقب موسى شهوات ، لانه كان سؤلاً مُلحِفاً (٢) فكان كلما رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال اوضياع او ثوب اوفرس تباكى ، فاذا قيل له مالك ؟ قال اشتهى هذا : فسمى موسى شهوات . و قال ايضاً : وذكر آخرون انه كان من اهل اذربايجان و انه نشأ بالمدينة ؛ وكان يجلب اليه القند و السكر ، فقالت له امرأة من اهله : ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات. فغلبت عليه (٣).

و لا يخرج موسى شهوات فى شعره عن الطرائق المألوفة فى الشعرالعربى ، و يجارى شعراء عصره فى الاسلوب والاغراض.فاكثر شعره فى المدح و الوصف و الهجاء و ماشاكل من الموضوعات التى كان يحوم حولها شعراء هذا العصر . نعم قد نجد فى شعره بعض معانى جديدة رأى الاقدمون ان موسى تأثر فيها بالحكم الفارسية،منها ما نقله ابن قتيبة فى عيون الاخبار قال : « قيل لبزرجمهر هل من احد ليس فيه عيب؟ قال:لا، إن الذى لاعيب فيه ينبغى أن لايموت. و قال مثل هذا موسى شهوات

(١) الشعر والشعراء ص ٢٢٥ . و عبدالله بن جعفر هذا هو عبدالله بن جعفر الطيار، احد أشراف قريش، من الذين كان لهم ذكر فى دولة الامويين ومكانة عند الخلفاء .

(٢) ملحفاً ، مصراً .

(٣) الاغانى ج ٣ .

لَيسَ فيما بَدا لَنا مِنكَ عَيبٌ   عابَهُ النّاسُ غَيرَ أَنَّكَ فاني
أَنتَ خَيرُ المَتاعِ لَو كُنتَ تَبقى   غَيرَ أَنْ لا بَقاءَ لِلإِنسانِ [١]

***

و من مدائحه قصيدة يمدح بها سعيدبن خالدبن اسيد و هى :(٢)

أَبـا خالـدٍ أعني سعيدَ بنَ خالدٍ
أخا العُرْفِ لا أعني ابنَ بِنْتِ سَعيدِ [٣]
و لكِنَّني أعني ابنَ عائشَةَ الّذي
أَبو أَبَوَيـهِ خـالـدُبنُ أَسيـدِ
عَقيدُ النَّدَى ماعاشَ يَرضَى بِهِ النَّدَى
فَإِنْ مـاتَ لَمْ يَرضَ النَّدَى بِعَقيدِ [٤]
فِدىً لِلكَريمِ العَبْشَمِيِّ ابنِ خالدٍ
بَنِيَّ وَ مالي طارِفي وَ تليـدي

(١) عيون الاخبار . ج ٢ ، ص ١٧ .

(٢) ذكروا فى سبب انشادها أن موسى شهوات هوى جارية بـالمدينة ، فاستهيم بها ؛ و ساوم مولاها فيها فطلب مولاها ثمنها عشرة آلاف درهم ، فجمع كل ما يملكه و استماح اخوانه ، فبلغ اربعة آلاف درهم،فأتى سعيدبن خالد حفيد عثمـان بن عفان ، فاخبره بحاله واستعان به؛ وكان سعيد صديقه واوثق الناس عنده : فدفعه ولم يقض حاجته، فخرج من عنده واتى سعيدبن خالدبن أسيد فأمر له بستة الاف درهم لدفع ثمن الجارية و الفى درهم لنفقته . فمدحه بهذه الابيات و تعرض فيها بسعيد العثمانى .

(٣) العرف : الجود و المعروف .

(٤) العقيد : المعاقد والمعاهد ؛ وعقيدالندى اى جواد .

عَلى وَجْهِهِ تلْقَى الأَيامِنَ وَ اسمِهِ
وَ كُلُّ جَــواري طَيْرِهِ بِسُعُــودِ [١]

أَبانَ وَ ما اسْتغْنَى عَن الثَّدْيِ خَيْرُهُ
أَبـانَ بِهِ في المَهْـدِ قبلَ قُعُودِ

دَعُوهُ! دَعُوهُ! إِنَّـكُمْ قَدْ رَقَـدْتُمْ
وَ ما هُوَ عَنْ إِحْسانِـكُمْ بِرَقُودِ

تَرَى الجُنْدَ وَ الجُنَّابَ يَغْشَوْنَ بابَهُ
بِحاجاتِهِمْ مِـنْ سَيِّدٍ و مَسودِ [٢]

فَيُعْطِي ولا يُعْطَى و يُغْشَى و يُجْتَدَى
و مـا بابُـه للمُجْتَـدِي بِسَدِيـدِ [٣]

قَتَلْتَ أُناساً هكَـذا في جُلودِهِمْ
مِـنَ الغَيْظِ لم تَقْتُلْهُمُ بِحَـديـدِ [٤]

يَعيشُون ما عاشُوا بِغَيْظٍ وَ إِن تَحِنْ
مَنـايـاهُمُ يَوْمـاً تَحِنْ بِحُقودِ

---

(١) الايامن : جمع الايمن، المبارك والميمون؛ ويقول فى البيت الثانى انه ميمون الطائر ، مبارك الطلعة .

(٢) الجُنّاب : جمع الجانب وهو الغريب والذى لا ينقاد .

(٣) يجتدى : يسئل منه الخير والعطاء ومنه المجتدى .

(٤) يقصد الحساد الذين قتلهم حسدهم اياه .

فَقُلْ لِبُغاةِ العُرْفِ قدماتَ خالدٌ

وَماتَ النَّدَى إلا فُضُولَ سعيدِ

و منها قصيدة مدح بها حمزة بن عبدالله ؛ و هو الذى ولاه ابوه عبدالله بن الزبير البصرة بعد أن عزل عنها أخاه مصعباً (١). روى ابوالفرج ان موسى شهوات أملق فقال لمعبد المغنى قد قلت فى حمزة بن عبدالله شعراً فغن فيه حتى يكون أجزل لصلتنا، ففعل ذلك معبد وغنّى فى هذه الابيات ثم دخلا على حمزة فأنشده اياها موسى، ثم غنّاه فيها معبد فأمر لكل واحد منهما بمأتى دينار . و هى :

شاقَني اليومَ حبيبٌ قد ظَعَنْ	ففُؤادي مُستَهامٌ مُرتَهَنْ (٢)
إنَّ هنداً تَيَّمَتني حِقْبَةً	ثمَّ بانَتْ و هي للنَّفسِ شَجَنْ (٣)
فِتنَةٌ أَلْحَقَها اللهُ بِنا	عائذٌ باللهِ من شَرِّ الفِتَنْ

(١) وكان سبب عزله اياه أن مصعباً تزوج سكينة بنت الحسين (ع) و عائشة بنت طلحة وأمهر كل واحدة منهما ألف ألف درهم . فأخذوا عليه هذا البذخ والاسراف و كتب أنس بن زنيم الليثى الى عبدالله بن الزبير :

أَبلِغ أميرَ المؤمنينَ رسالةً	مِن ناصِحٍ لكَ لا يُريكَ خِداعا
بَضعُ الفتاةِ بألفِ ألفٍ كامِلٍ	وتَبيتُ قاداتُ الجُيوشِ جِياعاً
لو لِأبي حَفصٍ أقولُ مَقالَتي	وأبثُّ ما أبثُّكُمْ لَا رْتاعا

فلما وصلت الابيات اليه جزع فعزل مصعباً و ولى مكانه ابنه حمزة وكان حمزة جواداً شجاعاً ولكنه كان اهوج مخلطا ، فظهرت منه بالبصرة خفة و ضعف، وأساء السيرة وخلط تخليطاً شديداً ، فكتبوا الى عبدالله بن الزبير: اذا كانت لك بالبصرة حاجة فاصرف ابنك عنها و أعد اليها مصعباً، ففعل ذلك .

(٢) ظعن : ارتحل . مستهام : من ذهب فؤاده و خاب عقله من الحب .

(٣) تيمتنى : ذللتنى من الحب .

حمزةُ المُبتاعُ بالمالِ الثَّنا — وَ يرى في بَيعِه أنْ قدْ غبَنْ

فهوَ إنْ أعطى عطاءً فاضِلًا — ذا إخاء لم يُكدِّرْه بِمَنْ

و إذا ما سَنةٌ مُجحِفةٌ — بَرَتِ الناسَ كَبَرْيِ بالسَّفَنْ (١)

حَسَرَتْ عنه نَقِيّاً عِرْضُهُ — ذا بَلاء عند مَحْيا ها حَسَنْ (٢)

نورُ صِدقٍ بَيِّنٌ في وَجهِهِ — لم يُدَنِّسْ ثوبَهُ لونُ الدَرَنْ

كنتَ للناسِ ربيعاً مُغْدِقاً — ساقِطَ الأكنافِ إنْ راحَ أرْجَحَنْ (٣)

* * *

و من هجائه قوله فى سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن عوف والى المدينة وكان قد اشتد على السفهاء و الشعراء و المغنين و لحق موسى شهوات بعض ذلك منه و كان سعد قبيح الوجه :

لَعَنَ اللهُ وَ العِبادُ ثُطَيطَ الـ — وَجهِ لا يُرتَجى قبيحَ الجِوارِ (٤)

يَتَّقي الناسُ فُحْشَه و أذاهُ — مِثلَ ما يَتَّقونَ بَولَ الحِمارِ

لا تَغُرَّنْكَ سَجدَةٌ بَيْنَ عَيْنَيْـ — ـهِ حَذارِ منها و منه حَذارِ

إنَّها سَجْدَةٌ بِها يَخْدَعُ النا — سَ عليها مِن سَجْدَةٍ بالدَّبارِ (٥)

---

(١) المجحفة : المهلكة .

(١) برت الناس : هزلتهم واضعفتهم. والبرى : النحت.السفَن : كل ما ينحت به .

(٢) حسرت : تعبت و أعيت . المحيا : الموضع الذى يحيا فيه .

(٣) مغدقا : محصبا ، كثير الخير .

(٤) ثطيط : تصغير ثطيط؛ وهو من عرى وجهه من الشعر الاطاقات فى أسفل حنكه.

(٥) الدبار : الهلاك .

اسماعيل بن يسار

هو اسماعيل بن يسار المشهور بالنسائي و المكنى بابى فائد. كان هو واخواه (محمد وابراهيم) - وهما ايضاً شاعران - من سبى فارس. وذكروا فى سبب اشتهاره بالنسائى ان أباه كان يصنع طعام العرس و يبيعه فيشتريه منـه من اراد التعريس من المتجملين وممن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك. و قيل فى سبب ذلك أن اسماعيل نفسه كان يبيع النجد(١) و الفرش التى تتخذ للعرائس (٢).

سكن الحجاز أول أمره و انقطع إلى آل الزبير واختص من بينهم بعروة بن الزبير و لما افضت الخلافة الى عبدالملك بن مروان وفد اليه مع عروة بن الزبير و مدحه، و مدح الخلفاء من ولده من بعده. و عاش عمراً طويلاً الى أن أدرك اخر سلطان بنى أمية و لم يدرك الدولة العباسية.

كان اسماعيل (كما وصفه صاحب الاغانى) شاعراً، طيباً، مليحاً، مندراً، بطالاً، مليح الشعر. ويظهر انه لم يكن صادقاً فى مدحه لال مروان. يحدثنا الرواة انه استاذن يوماً على الغمر بن يزيد بن عبدالملك فحجبه ساعة ثم أذن له فدخل يبكى فقال له الغمر: مالك يا أبا فائد تبكى؟ قال: و كيف لا أبكى و أنا على مروانيتى و مروانية أبى احجب عنك. فجعل الغمر يعتذر اليه و هو يبكى، فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر. و خرج من عنده، فلحقه رجل فقال لـه أخبرنى ويلك يا اسماعيل؛ اى مروانية كانت لك او لابيك؟ قال بغضنا اياهم. امرأته طالق ان لم تكن أمـه تلعن مروان و آله كل يوم مكان التسبيح؛ و ان لم يكن حضره الموت فقيل له: قل لا إله

(١) النَّجَد: متاع البيت من فرش و ستور.
(٢) تجد اخباره فى الاغانى ج ١١٩/٤

الاالله فقال : « لعن الله مروان » تقربا بذلك الى الله تعالى و ابدالاً له من التوحيد و اقامة له مقامه .

نزعته الشعوبية: قال الاصفهاني « وكان اسماعيل شعوبياً شديد التعصب للعجم و له شعر كثير يفخر فيه بالاعاجم» و النزعة الشعوبية حركة فكرية ظهرت فى العصر الاموى كردّ فعل لحكم الامويين و اشتدت شيئاً فشيئاً حتى ادّت الى حوادث فى تاريخ الاسلام ليس هنا موضع ذكرها. بيان ذلك ان الدعوة الاسلامية كانت قائمة على اساس المساواة بين المسلمين كافة بمقتضى ما ورد فى القرآن الكريم من آيات امثال: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقيكُمْ» و «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ». وكان ذلك من أهم العوامل التى مهّدت السبيل أمام انتشار هذا الدين، خصوصاً فى ايران حيث كانت الحكومة فيها قائمة على نظام الطبقات ؛ و لم يكن لافراد عامة الشعب من الحقوق و الامتيازات ما كانوا يأملون ان يحصلوا عليها فى الاسلام. ولكن الدولة الاموية لم تكن دولة اسلامية تسوى بين المسلمين بل دولة عربية قائمة على النزعات الجاهلية لا النزعة الاسلامية. فقد تعصب الامويون للعرب و نظروا الى غيرهم من المسلمين نظرة الاحتقار والازدراء، وعاملوهم معاملة السيد للمسود (١) . زد على ذلك ما قام به بعض عمالهم من ظلم و عسف فى وضع الضرائب وجباية الاموال(٢) حتى أنهم أبوا

(١) نقرأ فى محاضرات الادباء «كانت العرب الى أن عادت الدولة العباسية اذا اقبل العربى من السوق ومعه شيئ فرأى مولى دفعه اليه ليحمله عنه فلا يمتنع ولا السلطان يغير عليه ؛ وكان اذا لقيه راكباً و أراد أن ينزل فعل . و اذا رغب احد فى تزوج مولاة خطبها الى مولاها دون أبيها» . «محاضرات الادباء ٢٣٠/١» .

(٢) ذكر الصولى فى رواية . « أخبرنى اهل الارض بالعراق انه بلغ الخراج على عهد عمر وعثمان مائة الف الف و هدايا النيروز والمهرجان خمسون الف الف لنفسه . و كان قد اصطفى اموال كسرى فكان يقطع فيها و يصل و يجيز من يشاء ثم بلغ الخراج فى فتنة ابن الزبير ستين الف الف و هدايا النيروز والمهرجان و صواف ؛ نحو عشرين الف الف . فلما ولى الحجاج صار الى اربعين ألف ألف و ما كان يصل الى ذلك الا بضرب الابدان . فلما قتل ابن الاشعث قال الحجاج الان فرغت لاهل السواد فعمد الى رؤسائهم و أهل بيوتاتهم من الدهاقين فقتلهم صبراً و جعل كلما قتل من الدهاقين رجلا أخذ ماله و أضر بمن بقى منهم اضراراً شديداً فخربت الارض فمات الحجاج و الخراج خمسة وعشرون ألفاً (ادب الكتاب ٢١٩)

عن أن يضعوا الجزية عمّن أسلم من غير العرب فاضطر عمر بن عبدالعزيز - بما عرف عنه من الحماسة فى نشر الدعوة الاسلامية - أن يكتب إلى احد عمّاله و يذكّره «ان الله بعث محمداً صلى الله عليه و سلم هادياً و لم يبعثه جابياً.»

و كان من الطبيعى أن يحدث كل ذلك ردّ فعل فى امة كالامة الايرانية التى كان لها من قبل دولة و استقلال وسيادة ؛ فانهم بعد أن رأوا أن وضعهم فى الحكم الاموى يختلف تمام الاختلاف عما كانوا يفهمونه من تعاليم القرآن .وعما كان دعاة الاسلام الاقدمون يدعونهم اليه ،أصابهم من الدهش والخيبة ما جعلهم يحنون الى ماضيهم، فاستيقظت فيهم روح العصبية القومية التى ظهرت بمظاهر مختلفة، منها اشتراكهم فعلاً فى ثورات كانت ترمى الى القضاء على بنى امية، و منها هذا الذى نراه فى شعر امثال اسماعيل بن يسار من الفخر بنسبه الفارسى والاشادة بذكر قومه و مآثرهم التاريخية. وهذا ما دعوه بالنزعة الشعوبية .

و اما لفظ «الشعوبية» فيقال انها مأخوذة من الشعوب جمع الشعب بمعنى الامة و قيل انها مأخوذة من «الشعوب» فى الاية الكريمة : «يا ايها الناس انما خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتتعارفوا» و ذكروا فى تفسيرها : ان المراد بالشعوب بطون العجم و بالقبائل العرب .

وقد اشتهر اسماعيل بن يسار مع انه لم يكن وحيداً بنزعته الشعوبية لسببين؛ الاول انه علا صوته فى عصر لم يساعد لاظهار هذا النوع من الافكار و كان الامويون يكافحون تلك النزعات فى الامم الدخيلة ويعاقبون عليها اشد المعاقبة. وثانياً لان اسماعيل كان شديد التحمس فى اظهار عواطفه القومية؛ يقوم بين يدى الخليفة الاموى وبدلاً من أن يمدحه بقصيدة و ينال منه جائزة كما كان يفعل معاصروه من الشعراء، ينشده قصيدة فى مدح قومه فيصيبه لذلك من غضب الخليفة ما يصيبه . و يجلس فى مجالس العرب و ينشدهم قصائد

تنبيه : وقع خطأ مطبعى فى رواية الصولى التى اوردناها تحت رقم(٢) ذيل الصفحة السابقة نرجو اصلاحه باضافة عبارة «ولما ولى معاوية صار الى خمسين الف الف» بعد عبارة مائة الف الف .

يفخر فيها عليهم بفضائل قومه فيرى منهم من الامتهان و الاستهزاء ما يصعب عليه احتماله (١) و مع ذلك لاينى و لا يضعف و لا يبالى بما يصيبه من الاذى، فيظل كل حياته كما قال الاصفهانى : « مبتلى بالعصبية للعجم و الفخر بهم ، وكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً . »(٢) و يظهر ان هذه النزعة كانت متاصلة فى اسرته راسخة فى نفوسهم اذنرى ابنه ابراهيم ايضاً يقول الشعر و يحذو فى قصائده حذو ابيه من الفخر بقومه و نسبه .

و اليك امثلة من اشعار اسماعيل الفخرية :

☆☆☆

دخل اسماعيل بن يسار على هشام بن عبدالملك فى خلافته ، و هو بالرصافة جالس على بركة له فى قصره ، فاستنشده و هو يرى انه ينشد مدحا له ، فانشده قصيدته التى يفتخر فيها بالفرس :

يا رَبْعَ رامَةَ بِالْعَلْياءِ مِنْ رِيَمِ
هَلْ تَرْجِعَنَّ إذا حَيَّيْتُ تَسْليمي (٣)
ما بالُ حَيٍّ غَدَتْ بُزْلُ الْمَطِيِّ بِهِمْ
تَخْدي لِغُرْبَتِهِمْ سَيْراً بِتَقْحيمِ (٤)
كَأَنَّني يَوْمَ سارُوا شارِبٌ سَلَبَتْ
فُؤادَهُ قَهْوَةٌ مِنْ خَمْرِ داروم (٥)

(١) من امثال ذلك ما ذكره صاحب الاغانى قال: «انشد اسماعيل يوماً فى مجلس فيه اشعب قوله فى شعره : اذنربى بناتنا وتدسون سفاهاً بناتكم فى التراب.. الخ (ص١٦٥ من هذا الكتاب) فقال له اشعب : صدقت والله يا أبافائد أراد القوم بناتهم لغير ما اردتموهن له . قال : وماذاك؟ قال : دفن القوم بناتهم خوفاً من العار و ربيتموهن لتنكحوهن. فضحك القوم حتى استغربوا و خجل اسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ فى الارض لفعل.

(٢) الاغانى : ١١٩/٤ .

(٣) الريم : الجبل الصغير .

(٤) بزل : جمع بازل و هو البعير اذا انشق نابه . تخدى : تسرع . بتقحيم : بشدة و مشقة من غير روية .

(٥) القهوة : الخمر . داروم : اسم موضع .

حتى انتهى الى قوله :

إنّي وَجَدِّكِ ما عُودي بِذي خَوَرٍ

عِنْدَ الحِفاظِ وَلا حَوْضي بِمَهْدُومِ (١)

أصْلي كَريمٌ وَمَجْدي لا يُقاسُ بِهِ

ولي لِسانٌ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْمُومِ

أحْمي بِهِ مَجْدَ أقْوامٍ ذَوي حَسَبٍ

مِنْ كُلِّ قَرْمٍ بِتاجِ المُلْكِ مَعْمُومِ (٢)

جَحاجِحٍ سادَةٍ بُلْجٍ مرازِبَةٍ

جُرْدٍ عِتاقٍ مَساميحٍ مَطاعِيمِ (٣)

مَن مِثْلُ كِسْرَى وسابُورِ الجُنُودِ مَعاً

و الهُرْمُزانِ لِفَخْرٍ أوْ لِتَعْظيمِ

أُسْدُ الكَتائِبِ يَوْمَ الرَّوْعِ إنْ زَحَفُوا

وَهُمْ أذَلُّوا مُلوكَ التُّرْكِ و الرُّومِ (٤)

---

(١) الخور : الفتور و الضعف .

(٢) القرم : السيدالكريم . معموم : من عم رأسه اى لفت عليه العمامة .

(٣) الجحاجح : جمع الجحجح و هو السيد المسارع الى المكارم . بلج : جمع أبلج وهوالرجل الطليق الوجه، المفترق الحاجبين . مرازبة : جمع مرزبان، كلمة فارسية بمعنى صاحب الثغر . جرد : جمع الأجرد، الخيل التى لارجالة فيها . عتاق : جمع عتيق، اى الكريم . مساميح : جمع مسمح ومسماح ، اى اهل الجود والسماحة . مطاعيم : جمع مطعام ، و هوالكثير الاضياف و القرى .

(٤) الكتائب : جمع الكتيبة وهى القطعة من الجيش. يوم الروع : يوم الحرب .

يَمْشُونَ في حَلَقِ المَاذِيّ سابِغَةً
مَشْىَ الضَّراغِمَةِ الْأُسْدِ اللّهاميمِ (١)

هَناكَ إنْ تَسْأَلي تُنبى بِأنَّ لَنا
جُرثُومَــةً قَهَرَتْ عِزَّ الْجَراثيمِ (٢)

فغضب هشام وقال له ، « يا .... أعليّ تفخر واياى تنشدقصيدة تمدح بها نفسك و اعلاج قومك ؟ غطّوه فى الماء » فغطوه فى البركة حتى كادت نفسه تخرج ، ثم امر باخراجه و نفاه من وقته، فأخرج عن الرصافة منفياً الى الحجاز .

و من قصائده فى هذا المعنى :

ما عَلى رَسْمِ مَنزِلٍ بِالْجَنابِ لَوْ أَبانَ الْغَداةَ رَجْعَ الْجَوابِ (٣)
غَيَّرَتْهُ الصَّبا و كُلُّ مُلِثٍّ دائِمِ الْوَدْقِ مُكْفَهِرِّ السَّحابِ (٤)
دارَ هِنْــدٍ و هَلْ زماني بِهِنْدٍ عائِدٌ بِالْهَوى و صَفْوِ الْجَنابِ
كالَّذي كانَ و الصَّفاءُ مَصُونٌ لَمْ تَشُبْهُ بِهِجْرَةٍ وَ اجْتِنابِ ؟
ذاكَ مِنها إذْ أَنتَ كالْغُصْنِ غَضٌّ وهِيَ رُوْدٌ كَدُمْيَةِ الْمِحْرابِ (٥)
غادَةٌ تَسْتَبي العُقُــولَ بِعَذْبٍ طَيِّبِ الطَّعْمِ بارِدِ الْأَنيــابِ (٦)

(١) الماذى : كل سلاح من الحديد . سابغة : واسعة شاملة . الضراغمة : جمع الضرغام و هوالاسد . اللهاميم : جمع اللهموم : اهل الجود والسخاء .
(٢) الجرثومة : الاصل .
(٣) الجناب : الفناء ، الناحية ، الساحة .
(٤) الملث : المطر يدوم أياماً . والودق : المطر . مكفهر السحاب : السحاب تراكب بعضه على بعض واسود .
(٥) الغض : الطرى، الناعم، الشاب الناضر، الرؤد: الشابةالحسنة.الدمية: الصنم، الصورة المزينة . و المحراب : صدرالبيت .
(٦) الغادة : المرأة الشابة اللينة ، تستبى العقول : تأسرها بحبها . والعذب صفة للفم و الموصوف محذوف .

وأثيثٍ مِنْ فَوْقِ لونٍ نَقِيٍّ   كَبَياضِ اللُّجَيْنِ في الزِّرْيابِ
فَأقِلِّ المَلامَ فيها وأقصِرْ   لَجَّ قَلْبي مِنْ لَوْعَةٍ وَاكْتِئابِ (١)
صاحِ أبصرْتَ اوسَمِعْتَ بِراعٍ   ردَّفي الضَّرْعِ ماقَرَى في العِلابِ (٢)
إنْقَضَتْ شِرَّتي وأقصَرَ جَهْلي   واسْتَراحَتْ عَواذِلي مِنْ عِتابي (٣)

وقال فيها يفخر على العرب بالفرس:

رُبَّ خالٍ مُتَوَّجٍ لي وعَمٍّ   ماجِدٍ مُجْتَدَى كَريمِ النِّصابِ (٤)
إنَّما سُمِّيَ الْفَوارِسُ بالْفُرْ —   سِ مُضاهاةَ رِفْعَةِ الأنْسابِ
فاتْرُكي الْفَخْرَ يا أمامَ عَلَيْنا   واتْرُكي الْجَوْرَوانْطِقي بِالصَّوابِ
وَاسْألي إنْ جَهِلْتِ عَنّا وعَنْكُمْ   كَيْفَ كُنّا في سالِفِ الأحْقابِ
إذْ نُرَبِّي بَناتِنا وتَدُسّو —   نَ سَفاهاً بَناتِكُمْ في التُّرابِ (٥)

***

ومن اشعاره فى الغزل

وما ننقلها فيما يلى هى من قصائده اللطيفة فى الغزل التى تعد من عيون الاشعار الغزلية فى الادب العربى. ويظهر مما روى فى كتب الادب انها كانت ذات تأثير شديد

(١) اللوعة: حرقة الحزن و الهوى. والاكتئاب: سوء الحال من غم وحزن.
(٢) قرى: جمع. العلاب: جمع العلبة: اناء ضخم من جلد او خشب.
(٣) الشرة: النشاط، الطيش.
(٤) المجتدى: من يطلب منه العطاء و النعمة.
(٥) تدسون بناتكم: تخفونها وتقبرونها.

فى النفوس لدقة تعبيرها عن عواطف الشاعر وعن مغامراته الحبية ولحسن تصويرها لها(١) و يرى فيها بعض المحققين روح القصصى الفارسى وجودة التسلسل المنطقى(٢).
واليك ما ورد منها فى الاغانى:

كَلَّثَمُ أَنْتِ الْهَمُّ يا كَلْثَمُ ... و أَنْتُمْ دائي الَّذي أَكْتُمُ
أُكاتِمُ النّاسَ هَوًى شَفَّني ... وبَعْضُ كِتْمانِ الْهَوَى أَحْزَمُ(٣)
قَدْ لُمْتِني ظُلْماً بلا ظِنَّةٍ ... و أَنْتِ فيما بَيْنَنا أَلْوَمُ
أَبْدي الَّذي تُخْفِينَهُ ظاهِراً ... أَرْتَدُّ عَنْهُ فيكِ او أُقْدِمُ
إِمّا بِيَأْسٍ مِنْكِ أَوْ مَطْمَعٍ ... يُسْدَى بِحُسْنِ الْوُدِّ أَوْ يُلْحَمُ(٤)
لا تَتْرُكيني هَكَذا مَيِّتاً ... لا أَمْنَحُ الْوُدَّ و لا أُصْرَمُ
أَوْفي بِما قُلْتِ و لا تَنْدَمي ... إِنَّ الْوَفِيَّ الْقَوْلِ لا يَنْدَمُ
آيَةُ ما جِئْتُ على رِقْبَةٍ ... بَعْدَ الْكَرَى والْحَيُّ قَدْ نَوَّموا

(١) روى الاصفهانى الرواية التالية: « اصطحب شيخ وشباب فى سفينة من الكوفة، فقال بعض الشباب للشيخ ان معنا قينة لنا، و نحن نجلك و نحب ان نسمع غنائنا. قال: الله المستعان فأنا ارقى على الظلال و شأنكم.

فغنت: حتى اذا الصبح بدا ضوءه ... وغارت الجوزاء والمرزم.
خرجت و الوطء خفى كما ... ينساب من مكمنه الارقم

فالقى الشيخ بنفسه فى الفرات وجعل يخبط بيديه و يقول: انا الارقم، انا الارقم. فادركوه و قد كاد يغرق. فقالوا ما صنعت بنفسك؟ فقال: انى والله اعلم من معانى الشعر ما لا تعلمون.

(٢) راجع فجر الاسلام، ص ١٣٧.

(٣) شفنى: أضعفنى.

(٤) يسدى: يقام سداه. يلحم: ينسج لُحمته. والسَّدَى ما مد من خيوط الثوب وهو خلاف اللُّحمة و اللُّحمة ما نسج عرضاً.

أخافتُ المَشْيَ حِذارَ العِدا	و اللَّيْلُ داجٍ حالِكٌ مُظْلِمُ (١)
وَ دُونَ ما حاوَلْتُ إذْ زُرْتُكُمْ	أخوكِ و الخالُ معاً والحَمُ (٢)
و لَيْسَ إلا اللهُ لي صاحِبٌ	إلَيْكُمْ و الصارِمُ اللَّهْذَمُ (٣)
حَتَّى دَخَلْتُ البَيْتَ فاسْتَذْرَفَتْ	مِنْ شَفَقٍ عَيْناكِ لي تَسْجُمُ (٤)
ثُمَّ انْجَلى الحُزْنُ و رَوْعاتُهُ	وغُيِّبَ الكاشِحُ و المُبْرِمُ
فَبِتُّ في ما شِئْتُ مِنْ نِعْمَةٍ	يَمْنَحُنِيها نَحْرُها و الفَمُ
حَتَّى إذا الصُّبْحُ بَدا ضَوْؤُهُ	و غارَتِ الجَوْزاءُ والمِرْزَمُ
خَرَجْتُ و الوَطْءُ خَفِيٌّ كما	يَنْسابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الأرْقَمُ (٥)

و من اشعاره فى هذا المعنى :

يا هِنْدُ رُدِّي الوَصْلَ أنْ يَتَصَرَّما

وَصِلي امْرَءاً كَلِفاً بِحُبِّكِ مُغْرَماً (٦)

لو تَبْذُلِينَ لَنا دَلالَكِ مَرَّةً

لَمْ نَبْغِ مِنكِ سِوَى دَلالِكِ مَحْرَماً

(١) داج : شديد الظلمة وكذلك الحالك .

(٢) الحم : لغة فى الحما و الحمو ، ابو زوج المرأة و ابو امرأة الرجل .

(٣) الصارم اللهذم : السيف الحاد القاطع .

(٤) أستذرفت : سالت . الشفق : الشفقة ، الحنو و الانعطاف .

(٥) الانسياب : الجرى كجرى الحية . الارقم : الافعى ، الحية الخبيثة .

(٦) كلف : المحب العاشق ، وكذلك المغرم .

مَنَعَ الزِيـارَةَ أَنَّ أَهلكِ كُلَّهُمْ
أَبدَوا لِزَورِكِ غِلظَةً و تَجَهُّماً [١]
مَا ضَرَّ أَهلَكِ لو تُطَوِّفُ عاشِقٌ
بِفِنـاءِ بيتِكِ او أَلَمَّ فَسَلَّما [٢]

***

و من شعره الجيد مرثاته لاخيه محمدبن يسار و هي:

عِيلَ الْعَزاءُ و خانَنِي صَبْرِي ... لَمَّا نَعَى النَّاعِي أبا بَكْرِ [٣]
و رَأَيتُ رَيْبَ الدَّهرِ أفرَدَنِي ... مِنهُ و أَسلَمَ لِلعِدا ظَهرِي
مِنْ طَيِّبِ الْأَثوابِ مُقْتَبِلٍ ... حُلوِ الشَّمائِلِ ما جِدٍ غَمْرِ [٤]
فَمَضَى لِوِجهَتِهِ و أَدرَكَهُ ... قَدَرٌ أُتِيحَ لَهُ مِنَ الْقَدْرِ
و غَبَرْتَ مالي مِن تَذَكُّرِهِ ... إِلّا الأَسَى و حَرارَةُ الصَّدْرِ
و جَوًى يُعاوِرُنِي و قَلَّ لَهُ ... مِنّي الْجَوَى و مَحاسِنُ الذِّكْرِ [٥]
لَمَّا هَوَتْ أَيدي الرِّجالِ بِهِ ... في قَعْرِ ذاتِ جَوانِبٍ غُبْرِ
و عَلِمْتُ أَنّي لَنْ أُلاقِيَهُ ... في النّاسِ حَتّى مُلتَقَى الْحَشْرِ

---

(١) الزور : استعمل مصدراً لفعل (زار) بمعنى الزيارة و جمعاً لزائرة. التجهم : استقبال الزائر بوجه عبوس .

(٢) ألم : من الالمام، بمعنى مباشرة اللَمَم اى صغارالذنوب، او الزيارة القصيرة.

(٣) العزاء : الصبر على ما ناب الانسان من مكروه. وعيل العزاء: اى غُلِب صبره .

(٤) المقتبل : العاقل الكيِّس . ما جد: ذو عز و رفعة . الغمر : الكريم الواسع الخلق .

(٥) الجَوى : شدة الوجد من حزن او عشق .

كادَتْ لِفُرْقَتِهِ وَ ما ظَلَمَتْ نَفْسي تَمُوتُ على شَفَا القَبْرِ
و لَعَمْرُ مَن حَبِسَ الهَدِيُّ لَهُ بالأَخْشَبَيْنِ صَبِيحَةَ النَّحْرِ
لو كانَ نَيْلُ الخُلْدِ يُدْرِكُهُ بَشَرٌ بِطِيبِ الخِيمِ و النَّجْرِ (١)
لَغَبَرْتَ لا تَخْشَى المَنُون و لا أَوْدَى بِنَفْسِكَ حادِثُ الدَّهْرِ (٢)
و لَنِعْمَ مَأْوَى المُرْمِلِينَ إذا قُحِطُوا و أَخْلَفَ صائِبُ القَطْرِ (٣)
كَمْ قُلْتُ آوِنَةً و قد زَرَفَتْ عَيْنِي فَماءُ شُؤُونِها يَجْرِي (٤)
إنِّي و أيُّ فتىً يكونُ لنا شَرْواكَ عِنْدَ تَفاقُمِ الأَمْرِ (٥)
لِدِفاعِ خَصْمٍ ذي مُشاغَبَةٍ و لِعائِلٍ تَرِبٍ أخي فَقْرِ (٦)
و لَقَد عَلِمْتُ و إنْ ضَمِنْتُ جَوًى مِمَّا أُجِنُّ كَواهِجَ الجَمْرِ (٧)
ما لامْرِئٍ دونَ المَنِيَّةِ مِن نَفَقٍ فَيُحْرِزُهُ وَ لا سِتْرِ (٨)

* * *

و كان محمد بن يسار اخو اسماعيل هذا رثّاً، شاعراً من طبقة اخيه . و له أشعار

(١) الخيم : الطبيعة و السجيّة . النجر : الاصل و الحسب .
(٢) أودى بنفسك : اهلكه .
(٣) المرمل : من فقد زاده و افتقر .
(٤) آونة : جمع آن بمعنى الوقت. الشؤون : جمع الشأن وهو العرق الذى تجرى منه الدموع .
(٥) شرواك : مثلك . عند تفاقم الامر : اى عند نزول الحادثات .
(٦) مشاغبة : مشارة، تهييج الشر . ترب : فقير .
(٧) واهج الجمر : النار المتوقدة .
(٨) النفق : سرب فى الارض له مخرج الى مكان معهود .

كثيرة، قال ابو الفرج الاصبهانى: ولم اجد له خبراً فأذكره، ولكن له اشعار كثيرة يغنى فيها، منها قوله فى قصيدة طويلة :

غَشِيتُ الــدَّارَ بالسَّنَدِ دُوَيْنَ الشِّعْبِ مِنْ أُحُدِ (١)
عَفَتْ بَعْدي و غَيَّرَها تَقادُمُ سايِفِ الأَبَدِ

* * *

و لاسماعيل بن يسار ابن يقال له ابراهيم - شاعر ايضاً - وهو القائل :

مَضَى الْجَهْلُ عَنْكَ إلى طِيَّتِهْ و آبَكَ حِلْمُكَ مِنْ غَيْبَتِهْ (٢)
وأَصبَحْتَ تَعْجَبُ مِن مارَأَيتَ — مِنْ نَقْضِ دَهْرٍ ومِنْ مُرَّتِهْ (٣)

قال ابو الفرج : « وهى طويلة يفتخر فيها بالعجم ، كرهت الاطالة بذكرها ». وكانت وفاة اسماعيل على ما ورد فى بعض المصادر سنة ١١٠ ه‍ .

(١) دوين : تصغير دون . الشعب : الطريق فى الجبل . و ما انفرج بين الجبلين .
(٢) مضى لطيته : مضى لنيته و لجهته . آبك : رجع اليك .
(٣) المرة : الشر ، و منه ابو مرة كنية ابليس .

السائب بن فرّوخ

(ابو العباس الأعمى)

هو السائب بن فروخ المشهور بأبي العباس الأعمى. اصله من آذربيجان، سكن مكة وكان شاعراً فحلاً من شعراء بني امية المعدودين ومن المتشيعين لهم. وكان منحرفاً من آل ابي طالب وهو القائل لابي الطفيل وكان شيعيا:

لعمركَ إنّني وأَباطُفَيْل ... لمختلفان والله الشهيدُ
أرى عثمانَ مهتدياً ويأبى ... متابعتي وآبى ما يريدُ (١)

ويعدّ ابو العباس من رواة الحديث. فقد روى عن صدر من الصحابة، وروى عنه جماعة، وروى له البخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي وابن ماجة. وتوفي بعد سنة ست وثلاثين ومائة ورأى سقوط نجم الأمويين وانقضاء دولتهم وفي ذلك قال:

آمتْ نِساءُ بَني أُمَيّةَ مِنْهمو ... وبَناتُهمْ بِمَضيعةٍ أيتامُ (٢)
نامتْ جُدودُهمُ وأسقطَ نَجمُهمْ ... والنَّجمُ يَسْقُطُ والجُدودُ تَنامُ (٣)
خَلَتِ المَنابِرُ والأسِرَّةُ مِنْهمُ ... فعلَيْهِمُ حتَّى المَماتِ سَلامُ (٤)

وله في هذا المعنى:

لَيتَ شِعْري أفاحَ رائِحَةُ المِسْكِ ... ما إن إخالُ بالخَيْفِ أُنسي

(١) الاغاني ج ١٥ ص ٦٠ وروى البيت الثاني في معجم الادباء بغير هذه الصورة.
(٢) امت المرأة من زوجها: فقدته. المضيعة: الموضع الذي يضيع فيه الانسان.
(٣) الجدود: جمع الجد بمعنى الحظ.
(٤) الاسرّة: جمع السرير، بمعنى تخت الملك.

حينَ غابَتْ بَنو أُمَيَّةَ عَنْهُ وَالبَهاليلُ مِنْ بَني عَبْدِ شَمْسِ (١)

خُطَباءُ عَلَى المَنابِرِ فُرْسا — نٌ عَلَيْها و قالَةٌ غَيْرُ خُرْسِ (٢)

لا يُعابونَ صامتينَ وَ إن قا — لوا أَصابُوا ولم يَقولُوا بِلُبْسِ

بِحُلومٍ إذَا الحُلومُ استَخَفَّتْ وَ وُجوهٍ مِثْلِ الدَّنانيرِ مُلْسِ

وله اشعار كثيرة فى مدائح بنى أمية وهجاء آل الزبير، وكان بنو أمية يحسنون جزاءه فيرسلون اليه عطاءه من الشام و يخلعون عليه عند وفودهم مكة. روى الاصفهانى ان ابن الزبير رأى رجلاً من حلفاء بنى اسد بن عبدالعزى فى حالة رثة فكساه ثوبين وأمر له ببر و تمر، فقال ابو العباس فى ذلك:

كَسَتْ أَسَدٌ إخوانَها ولَوْ أنني بِبَلْدَةِ إخواني إذا لَكُسيتُ

فلم تَرَ عَيْني مِثْلَ حيٍّ تَحَمَّلوا إلى الشامِ مَظلومين مُنْذُ بَريتُ

أعَزَّ وَ أمْضَى حينَ تَشْتَجِرُ القَنا وَأعلَمَ بِالمِسكينِ حَيْثُ يَبيتُ (٣)

و أَرْفَقَ بِالدُّنيا بِأوْلَى سياسَةٍ إذا كادَ أمْرُ المُسْلِمينَ يَفُوتُ

إذا ماتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قامَ سَيِّدٌ بَصيرٌ بِعَوْراتِ الكَلامِ زَميتُ (٤)

فلما حجّ عبدالملك بن مروان و جلس للناس بمكة دخل عليه ابو العباس فلما رآه عبدالملك قال: مرحباً مرحباً بك يا ابا العباس اخبرنى بخبر الملحد حيث كسا أشياعه

(١) البهاليل: جمع البُهلول: السيد الجامع لكل خير.
(٢) القالة: جمع القائل.
(٣) حين تشتجر القنا: اى فى الحرب. و القنا: الرمح.
(٤) الزّميت: الجليل الوقور.

ولم يكسك و أنشدني ما قلت في ذلك. فأخبره بخبر ابن الزبير وأنشده الابيات. فقال عبدالملك أقسم على كل من حضر من بني امية و أحلافهم و مواليهم ثم على كل من حضر من اوليائي و شيعتي على دعوتهم الا كسا ابا العباس. فخلعت حلل الوشي والخز والقوهي و جعلت ترمى عليه حتى اذا غطته . . . و أمر له عبدالملك بمائة ألف درهم.

***

و من اقواله يحض بني امية على حرب عبدالله بن الزبير :

أَبَني أُمَيَّةَ لا أرى لَكُمْ ... شَبَهاً إذا ما الْتَفَّتِ الشِّيَعُ
سِعَةً وَ أَحْلاماً إذا نَزَعَتْ ... أَهْلُ الْحُلومِ فَضَرَّها النَّزَعُ [١]
أَللهُ أَعطاكُمْ و إن رَغِمَتْ ... مِنْ ذاكَ أَنْفُ مَعْشَرٍ رَفَعُوا
أَبَني أُمَيَّةَ غَيْرَ أَنَّكُمُ ، ... و النّاسُ فيما أُطْمِعُوا طَمَعُوا
أَطْمَعْتُمُ فيكُمْ عَدُوَّكُمُ ... نَسَما بِهِمْ في ذاكُمُ الطَّمَعُ
فَلَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَقَوْمِكُمُوا ... مِثْلَ الَّذي كانوا لَكُمْ رَجَعُوا
عَمّا كَرِهْتُمْ أَوْ لَرَدَّهُمُ ... حَذَرَ الْعُقُوبَةِ إِنَّها تَزَعُ [٢]

و لما غلب عبدالله بن الزبير على الحجاز و جعل يتبع شيعة بني مروان فينفيهم عن المدينة و مكة بلغه عن ابي العباس و انه يكاتب بني مروان بعوراته و يمدح عبدالملك و يجيئه بجوائزه و صلاته. فاغلظ له و همَّ به، فقيل له انه رجل مضرور فعفاعنه و نفاه الى الطائف فهجاه وهجا بني اسد عشيرة ابن الزبير بابيات منها :

---

(١) نزعت : كفت و تركت الحلم
(٢) تزع : تمنع.

بَني أَسدٍ لا تذكُرُوا الفخرَ إنَّكمْ
مَتى تذكُروهُ تَكذِبوا و تحمقوا
بَعيدات بَين خيرُكُمْ لِصَديقِكُمْ
و شرُّكُمْ يَبدُوا علَيهِمْ و يطْرُقُ
مَتى تُسئَلوا فضلًا تَضِنُّوا وتَبْخَلوا
وَنيرانُكُمْ بِالشَّرِّ فيهـا تحرَّقُ
إذا اسْتَبَقَتْ يَوماً قُرَيْشٌ خَرجْتُمْ
بَني اَسَدٍ سَكْتا و ذو الْمَجدِ يَسْبِقُ (١)
تَجيئُونَ خَلفَ الْقَوْمِ سُوداً وُجوهُكُمْ
إذا ما قُرَيْشٌ لِلأَضاميم أصفقوا (٢)
وَ ما ذاكَ إلّا أَنَّ لِلُؤْمِ طابِعاً
يَلوحُ عَلَيْكُمْ وَسْمُهُ لَيسَ يَخْلَقُ (٣)

و مع انه هجا آل الزبير الا انه لما قتل مصعب بن الزبير سنة ٧١ هـ. رثاه بابيات لانه كان صديقه. فغضب عبد الملك لذلك. منها:

رحِم اللهُ مُصعباً فلقد ما — ت كريماً و رام أمراً جسيماً

---

(١) سكتاً: اى آخر القوم.

(٢) الاضاميم: جمع الاضامة بمعنى الجماعة. اصفقوا للاضاميم اى جاؤوهم من الطعام بما يشبعهم.

(٣) ليس يخلق: لا يبلى.

☆☆☆

و نقل له الجاحظ فی وصف خطیب هذین البیتین : (١)

إِذا وَصَفَ الْإِسْلامَ أَحسَنَ وَصْفَهُ
بِفِيهِ و يَأْبىَ قَلْبُهُ و يُهاجِرُهْ (٢)

و ان قام قال الْحَقَّ مادام قائماً
تَقِيُّ اللِّسانِ كافِرٌ بَعْدُ سائِرُهْ (٣)

---

(١) البيان و التبيين . ج ١ ص ١٨٧ .

(٢) يقول انه يتيه قلبه عما يقوله لسانه ويأباه ويهجره .

(٣) اى يقول الحق على منبره بلسانه و سائره كافر .

عبدالحميد الكاتب

وأثره في تطوّر الكتابة العربيّة

قال الاصطخري في كلامه عن بلاد فارس : « و أما من يصلح من الفرس للدواوين من الكُتّاب و العمال و الادباء فان منهم عبدالحميد بن يحيى ، وكان له في بني اميه و لاء ينسب اليهم ، وكان من كتابته و استقلاله ما أغنى عن ذكره و اشتهاره . »(١) و عبد الحميد من اهل الانبار و هي مدينة « فيروز سابور » (٢) التي أمر ببنائها سابور الاول من الملوك الساسانيين بقرب الحيرة. وانما سميت «الانبار» لان بها كانت مسالح الدولة الساسانية و أهرائها ، وكان أصحاب النعمان و صنائعه يعطون ارزاقهم منها . (٣) و سكن عبدالحميد الرقة(٤)، ثم انتقل الى الشام و هنا نشأ و نبغ و نال شهرة حتى عده ابن النديم من اهل الشام(٥) .

كان اول امره معلم صبية يتنقل في البلدان(٦) ثم التحق بديوان الرسائل لعهد هشام بن عبدالملك، وكان على ديوانه لهذا العهد سالم مولا هشام. ثم اتصل بمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، ايام ولايته على ارمينيا ، و لما صار مروان خليفة انتقل معه الى الشام و كتب له في خلافته وبقي عنده حتى عند افول دولته فذهب معه الى مصر بعد ان انهزم في موقعة الزاب و قتلا في بوصير . روى ابن قتيبة مثالا لشدة

(١) مسالك الممالك ، ١٤٥ .

(٢) الاخبار الطوال ، ٥١ .

(٣) فتوح البلدان ، ٢٤٧ .

(٤) و فيات الاعيان ، ١/٤٣٥ .

(٥) الفهرست، ١١٧.

(٦) و فيات الاعيان و الفهرست. راجع ايضاً البيان والتبيين للجاحظ ١/٢١٠ .

وفـاته : ان مـروان قال لـه حين ايقن بزوال ملكـه قـد احتجت أن تصير مع عدوى و تظهر الغدر بى،فان اعجابهم بأدبك و حاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت ان تنفعنى فى حياتى صنعت و الا لم تعجز عن حفظ حُرمى بعد وفاتى . فقال له عبدالحميد ان الـذى أشرت به علىّ أنفع الامرين بك و اقبحهمابى ، و ما عندى الا الصبر حتى يفتح الله او أن أقتل معك و أنشد :

أُسِرُّ وفـاءً ثُمَّ أُظهِرُ غَدْرَةً فَمَنْ لِي بِعُذْرٍ يُوسِعُ النَّاسَ ظَاهِرُه (١)

و فى رواية ان عبدالحميد اختفى بعد مقتل مروان فى الجزيـرة فوقف عليه السفاح وعذبه حتى مات.(٢) و روى بعضهم انه اختفى عند ابن المقفع و كان عنده حين عثر عليه و أخذ(٣) و لكن الامارات التاريخية لاتؤيدها .

طريقة فى الكتابة : اجمع المورخون على انه صاحب طريقة جديدة فى الكتابة العربية. و وصفه كل من ترجم له من القدماء و المحدثين بعبارات تـدل على براعته فى الكتابة و سبقه الى طريقة فنية لم يسبقه اليهـا احد من قبله . قال ابن النديم : « و عنه اخذ المترسلون ولطريقته لزموا، و هوالذى سهّل سبل البلاغة فى الترسل»(٤) و وصفه المسعودى بقوله : « صاحب الرسائل و البلاغات وهو اول من أطال الرسائل و استعمل التحميدات فى فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده » (٥) و قـال ابـن عبدربه : « و كان عبدالحميد اول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقـاب الشعر »(٦) و سماه الجاحظ « عبدالحميـد الاكبر » لمكانتـه فى الكتـابـة (٧)

(١) مروج الذهب ١٧٨/٣.
(٢) و فيات الاعيان ٣٠٧/١ .
(٣) الوزراء و الكتاب للجهشيارى ، ٨٠ .
(٤) الفهرست ، ١١٧ .
(٥) مروج الذهب ، ١٧٨/٣ .
(٦) العقد الفريد ، ٢٠٦/٢ .
(٧) البيان و التبيين ١٥١/١ .

ووصف رسائلـــــه بعض النقـــاد المحـــدثين بقولـــــــه : « واكثر ما بدا فى تضاعيفها الاطالة فى غير ما إملال من سجع و ترصيع، و لم تكن هذه الطريقة فى الكتابة فيما بلغنا مألوفة فى عامة دور الامويين لان هؤلاء عرب اقحاح و كتابهم على شاكلتهم يحاولون بالايجاز فى مكتوباتهم أن يتركوا للقارئ شيئاً من المعانى يفسرها بما يريد . . و من المحقق ان عبدالحميد اقتبس هذه الطريقة من الامم المجاورة لا سيما الفرس ممن لم تكن حضارتهم ابتدائية كالعرب ، بل فيها المطول المسهب و المتشعب المتعب . و لقد احتاج العرب بعد توسعهم فى الملك الى تقرير المسائل على جليتها لا يعتورها لبس و لا اشكال . و من مواجب الحضارة الاسهاب ومن دواعى البداوة الاقتضاب، فعبدالحميد اذن تشبع بروح الدولة و روح حضارتها التى بلغت فى ايامه اعلى قممها ، و رسم ببراعته صورة ما احاط به و اقتضاه الحال فهو مخترع طريقة و كاتب وصاف على الحقيقة ، استجمع كل شروط البلاغة فعد امير المنشئين غير مدافع ، و استطاب الناس الى يومنا هذا اسلوبه المعجب » (١)

و لكى نقف على ما كان لعبد الحميد من اثر فى تطور الكتابة، علينا ان نلقى نظرة عابرة على الكتابة العربية قبل عبدالحميد .

لم تكن الكتابة شائعة فى العرب قبل الاسلام شأنها فى غيرهم من الامم المعاصرة لهم كالفرس و الرومان ، و لم يكن القرن الاول الاسلامى ملائماً لتقدم الكتابة العربية و توسع دائرتها ، فلم يهتم العرب فى هذا القرن بالتأليف و التدوين . وقد نشأ فى هذا العصر بعض المعارف و ظهرت مقدمات علوم توسعت فيما بعد وعرفت بالعلوم الاسلامية كالقراءة والفقه والتفسير والحديث و ما الى ذلك، الا ان المسلمين كانوا ينقلون هذه المعارف وما كانوا يروونه من اشعار شعراء الجاهلية و الاسلام شفهيا غالباً، وقلما كانوا يكتبون . فلم يكن لهذه الناحية من الحياة الاسلامية - اعنى

---

(١) راجع مقالة الاستاذ محمد كردعلى، فى مجلة المجمع العلمى، مج ٩ ص ٦٠٠ .

ناحية التأليف و التدوين - اثر يذكر فى تقدم الكتابة طيلة القرن الاول. وكان ديوان الخلافة و عمالها المركز الوحيد للكتابة العربية فى هذا القرن تقريباً كما انه أصبح اهم مركز لها فى كل العصور الاسلامية. و كان تحت اشراف الكتاب حيث اخذ النثر الكتابى يتقدم شيئاً فشيئاً و تتسع دائرة استعماله فى الحياة العربية يوماً عن يوم.

و بما ان الانظمة الادارية فى دولة الخلفأ كانت متخذة عن النظم الادارية الساسانية، و التقاليد المتبعة فى الدواوين كانت نفس التقاليد المتبعة فيها فى عهد الاكاسرة، فلاجرم ان القائمين باعمال الديوان والمسيطرين على امورها من الكتاب ثم الوزراء ظلوا من العناصر الايرانية غالبا او ممن تثقفوا ثقافتهم.

زد على ذلك ما اشار اليه بعض المحققين وهو: «ان القدرة الكتابية كانت عند الفرس أبين منها عند العرب. فالعرب كانوا اهل فصاحة لسانية اكثر منهم اهل بلاغة كتابية ولعل هذا هو السبب فى أنهم وضعوا للفصاحة كلمة مشتقة من اللسان فقالوا رجل لسن اذا كان ذابيان و فصاحة و لم يشتقوا مثل ذلك من الكتابة.» (١) وكان ذلك سبباً آخر لقصر الوزارة و الكتابة فيهم. و على كل فالحقيقة الواقعة ان العناصر الايرانية و على رأسها عبدالحميد الكاتب لعبت الدور الاساسى فى تطور الكتابة العربية ورقيها فى عصورها الزاهية. و قد عرف ذلك منهم منذ بدء ظهورهم فى الادب العربى حتى كانوا يصفون من ارادوا وصفه بحسن الانشأ و البلاغة الكتابية بانه «فارسى الكتابة» (٢).

و اهم ما يظهر فيما وصل الينا من رسائل عبدالحميد، من الخصائص التى تمتاز بها و تجعل له تلك المكانة الرفيعة فى الكتابة، هى: اشتمالها على موضوعات جديدة واغراض لم تكن معهودة عند العرب. و الترتيب فى بيان الافكار و المعانى

---

(١) ضحى الاسلام، ١٦٧/١.

(٢) قال عبدالملك يصف روح بن زنباع من المشهورين بالعلم والخطابة والسياسة انه: «شامى الطاعة، عراقى الخط، حجازى الفقه، فارسى الكتابة» نقلا عن امراء البيان/٢١.

بلا تشعب و لا استطراد . و التبسط فى عرض الفكر و التحميدات الطويلة . والتوازن فى العبارات . ولاشك انه كان لثقافته الفارسية ولمعرفته للكتب والرسائل الموجودة فى الادب الساسانى حول مانسميه ادب السياسة او ادب الملوك و التى نقل قسم كبير منها الى العربية ، اثر غير قليل فى طريقته الكتابية .

و فى ايدينا رسالتان لعبد الحميد،الاولى رسالة بعث بها عن مروان بن محمد اخر الخلفاء الامويين الى ابنه وولى عهده عبدالله، وهى رسالة طويلة بل هى أطول رسالة بقيت عن العصر الاموى ، تدور حول ما ينبغى للولاة والامراء رعايته فى امور الدولة و تدبير الملك، و تتناول بالبحث كذلك كيفية تعبئة الحروب و الحذر من العدو والمكيدة له وانتقاء القواد و الاستعداد بالالات و الاموال و ما الى ذلك . و الثانية رسالة كتبها عبدالحميد الى كتاب عصره يوصيهم فيها بما يجب عليهم القيام به و بالاخلاق التى يلزمهم الاتصاف بها فى وظائفهم . فهاتان الرسالتان جديدتان فى العربية من حيث الموضوع و الاسلوب الانشائى معاً ، فلم تكن الرسائل العربية تعالج مثل هذه الموضوعات و بهذا الاسلوب من قبل. على اننا اذا رجعنا الى المصادر الايرانية نرى انه كان لهما اشباه و نظائر كثيرة فى الادب الساسانى ، فهناك رسائل عديدة من هذا النوع نقلت الى العربية من الفارسية (البهلوية) قد يكون عبدالحميد نفسه احد نقلتها(١) مثل « رسالة كسرى ابرويز الى ابنه شيروية (٢) و « عهد قباد الى ابنه » (٣) و « كتاب كسرى انوشروان الى ابنه هرمز » و « وصايا اردشير بابكان الى ابنه سابور » (٤) و « وصية اردشير لكاتبه »(٥) و « قول المؤبذان فى وصف الكُتّاب(٦) و ما اليهامن

(١) هذا ما يستفاد مما ذكره الجاحظ فى البيان و التبيين، ١٥١/١.
(٢) الفهرست،٣١٥ و مروج الذهب، ٢٣٣/٣.
(٣) الفخرى لابن الطقطقى،٧٩ .
(٤) الفهرست ، ٣١٨ .
(٥) عيون الاخبار، ٤٥/١ .
(٦) عيون الاخبار ٤٧/١ .

الكتب و الرسائل التى كانت متداولة فى ايدى الناس و وصلت الى المسلمين بصورة رسائل منفردة اوضمن كتب امثال « تاج نامه » و « آئين نامه » و غيرهما من الكتب البهلوية التى نرى مقتطفات منها فى تاريخ الطبرى (١) و الاخبار الطوال (٢) و عيون الاخبار (٣) و امثالها من المصادر التاريخية و الادبية .

اذا فلاشك ان عبد الحميد ممن تأثروا بهذه الكتب والرسائل وهو اول من اخذ منها موضوعات جديدة لرسائله الديوانية لم تكن معروفة عند العرب و استمد منها ثروة و قوة للكتابة العربية و اقتبس منها طريقته المسهبة المطنبة (٤) . وقد أشار الى ذلك ابو هلال العسكرى حين قال : « و من عرف ترتيب المعانى و استعمال الالفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له فى الاولى. الاترى ان عبد الحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التى رسمها لمن بعده من اللسان الفارسى فحولها الى اللسان العربى . » (٥)

***

و اليك فيما يلى امثلة من رسائله :

(١) الطبرى ١٠٤٥–١٠٦١

(٢) الاخبار الطوال : ١١٢ و١١٣ .

(٣) عيون الاخبار ١/١٧ و٣٠ و٥٩ و٢٨٨ و٣٢٨ .

(٤) راجع للتوسع فى اسلوب عبد الحميد الانشائى كتاب تطور الاساليب النثرية للاستاذ انيس المقدسى ص ١٥٨ و١٧٣ .

(٥) الصناعتين طبع الاستانه ص ٥٠.

رسالة عبد الحميد الى الكُتّاب(١)

أما بعدُ: حفظكمُ اللهُ يا أهلَ صناعةِ الكتابةِ، وحاطكمْ ووفقكمْ وأرشدكمْ: فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جعلَ النّاسَ بعدَ الأنبياءِ والمرسلينَ، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهمْ أجمعينَ، ومنْ بعدِ الملوكِ المكرَّمينَ، أصنافاً وإنْ كانوا في الحقيقةِ سواءً، وصرَّفهمْ في صنوفِ الصّناعاتِ، وضروبِ المحاولاتِ إلى أسبابِ معايشِهمْ، وأبوابِ أرزاقِهمْ، فجعلكمْ معشرَ الكتّابِ في أشرفِ الجهاتِ، أهلَ الأدبِ، والمروآتِ، والعلمِ والرزانةِ. بكمْ تنتظمُ للخلافةِ محاسنُها، وتستقيمُ أمورُها، وبنصائحكمْ يُصلحُ اللهُ للخلقِ سلطانَهمْ، وتعمرُ بلادُهمْ. لا يستغني الملكُ عنكمْ، ولا يُوجدُ كافٍ إلّا منكمْ، فموقعكمْ منَ الملوكِ موقعُ أسماعِهمُ التي بها يسمعونَ، وأبصارِهمُ التي بها ينظرونَ، وألسنتِهمُ التي بها ينطقونَ، وأيديهمُ التي بها يبطشونَ فأمتعكمُ اللهُ بما خصّكمْ منْ فضلِ صناعتكمْ: ولا نزعَ عنكمْ ما أضفاهُ منَ النعمةِ عليكمْ:

وليسَ أحدٌ أحوجَ إلى اجتماعِ خلالِ الخيرِ المحمودةِ، وخصالِ الفضلِ المذكورةِ المعدودةِ، منكمْ أيها الكتّابُ، إذا كنتمْ على ما يأتي

(١) عارضنا هذه الرسالة التى أخذناها عن رسائل البلغاء (١٧٢) على ما نقله القلقشندى فى صبح الاعشى، ٨٥/١ فحصل بذلك تغيير يسير فى ترتيب بعض عباراتها. وقال القلقشندى فى وصفها انها « اصل هذه الاداب » (اى الاداب الكتابية) التى ترجع اليه وينبوعها الذى تفجرت منه.

في هذا الكتاب من صفتكم فإن الكاتب يحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره أن يكون حليماً في موضع الحلم، فهماً في موضع الحكم، ومقداماً في موضع الإقدام، ومحجماً في موضع الإحجام، مؤثراً للعفاف والعدل والإنصاف، كتوماً للأسرار، وفياً عند الشدائد، عالماً بما يأتي من النوازل، ويضع الأمور مواضعها، والطوارق أماكنها، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه، فإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار يكتفي به. يعرف بغريزة عقله، وحسن أدبه، وفضل تجربته، ما يرد عليه قبل وروده، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل أمر عدته وعتاده، ويهيئ لكل وجه هيأته وعادته.

وإذا صحب أحدكم رجلاً فليختبر خلائقه، فإذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بألطف حيلة وأجمل وسيلة. وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت جموحاً لم يهجها إذا ركبها، وإن كانت شبوباً اتقاها من بين أيديها، وإن خاف منها شروداً توقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حروناً قمع برفق هواها في طرقها، فإن استمرت عطفها يسيراً فيسلس له قيادها. وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم.

وَالْكَاتِبُ، بِفَضْلِ أَدَبِهِ وَشَرِيفِ صَنْعَتِهِ وَلَطِيفِ حِيلَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِمَنْ يُحَاوِرُهُ مِنَ النَّاسِ وَيُنَاظِرُهُ وَيَفْهَمُ عَنْهُ أَوْ يَخَافُ سَطْوَتَهُ، أَوْلَى بِالرِّفْقِ لِصَاحِبِهِ وَمُدَارَاتِهِ وَتَقْوِيمِ أَوَدِهِ مِنْ سَائِسِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي لا تُحِيرُ جَوَاباً وَلا تَعْرِفُ صَوَاباً وَلا تَفْهَمُ خِطَاباً إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُصَيِّرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُهَا الرَّاكِبُ عَلَيْهَا.

أَلا فَارْفِقُوا رَحِمَكُمُ اللهُ فِي النَّظَرِ وَاعْمَلُوا فِيهِ مَا أَمْكَنَكُمْ مِنَ الرَّوِيَّةِ وَالْفِكْرِ تَأْمَنُوا بِإِذْنِ اللهِ مِمَّنْ صَحِبْتُمُوهُ النَّبْوَةَ وَالإِسْتِثْقَالَ وَالْجَفْوَةَ وَيَصِيرُ مِنْكُمْ إِلَى الْمُوَافَقَةِ وَتَصِيرُونَ مِنْهُ إِلَى الْمُؤَاخَاةِ وَالشَّفَقَةِ إِنْشَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَلا يُجَاوِزَنَّ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي هَيْئَةِ مَجْلِسِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَبِنَائِهِ وَخَدَمِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ أَمْرِهِ قَدْرَ حَقِّهِ، فَإِنَّكُمْ مَعَ مَا فَضَّلَكُمُ اللهُ بِهِ مِنْ شَرَفِ صَنْعَتِكُمْ خَدَمَةٌ لا تُحْمَلُونَ فِي خِدْمَتِكُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ، وَحَفَظَةٌ لا تُحْتَمَلُ مِنْكُمْ أَفْعَالُ التَّضْيِيعِ وَالتَّبْذِيرِ. وَاسْتَعِينُوا عَلَى عَفَافِكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُهُ لَكُمْ وَقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ، وَاحْذَرُوا مَتَالِفَ السَّرَفِ وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِ، فَإِنَّهُمَا يُعْقِبَانِ الْفَقْرَ وَيُذِلَّانِ الرِّقَابَ وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا وَلا سِيَّمَا الْكُتَّابَ وَأَرْبَابَ الآدَابِ.

وَلِلأُمُورِ أَشْبَاهٌ وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ، فَاسْتَدِلُّوا عَلَى مُؤْتَنَفِ

أعمالِكُم بما سبقَت إلَيهِ تجربتِكم، ثمّ اسلكُوا من مسالِكِ التَّدبيرِ أوْضَحَها محجَّةً، وأصدقَها حجَّةً، وأحمَدَها عاقبةً. واعلَموا أنّ للتّدبيرِ آفةً متلفةً وهو الوصفُ الشاغلُ لِصاحبِهِ عن إنفاذِ علمِهِ وروِيَّتِهِ، فليقصدِ الرّجلُ منكم في مجلسِهِ قصدَ الكافي من منطِقِه، وليُوجز في ابتدائِهِ وجوابه، وليأخذ بمجامعِ حُجَجِه، فإنّ ذلكَ مصلَحةٌ لِفعلِه ومدفعةٌ للشاغِلِ عن إكثارِه. وليَضرَعْ إلى اللهِ في صِلَةِ توفيقِهِ وإمدادِهِ بتسديدِهِ مخافةَ وقوعِهِ في الغَلَطِ المُضِرِّ ببدَنِهِ وعقلِهِ وأدبِه، فإنّهُ إنْ ظنّ منكُمْ ظانٌّ أوْ قالَ قائلٌ إنّ الّذي برَزَ مِنْ جميلِ صَنعَتِهِ وقُوّةِ حركتِهِ إنّما هوَ بفضْلِ حيلتِهِ وحُسْنِ تدبيرِهِ فقدْ تعرّضَ بظنِّهِ أوْ مقالَتِهِ إلى أنْ يكِلَهُ اللهُ عزّ وجلّ إلى نفسِهِ فيصيرَ منها إلى كافٍ وذلكَ على منْ تأمّلَهُ غيرُ خافٍ.

ولا يقولُ أحدٌ منكُمْ إنّهُ أبصرُ بالأُمورِ وأحملُ لِعبءِ ما يكتفى بِهِ. يَعْرِفُ بغريزةِ عقلِهِ وحُسنِ أدبِهِ وفضلِ تجربتِهِ ما يردُ عليهِ قبلَ ورُودِهِ وعاقبةَ ما يصدرُ عنهُ قبلَ صدورِهِ فيُعِدُّ لِكُلِّ أمرٍ عُدّتَهُ وعتادَهُ ويُهيِّئُ لِكُلِّ وجهٍ هيئتَهُ وعادتَهُ.

فتنافسُوا يا معشرَ الكُتّابِ في صُنوفِ الآدابِ وتفقّهوا في الدّينِ وابدؤوا بعلمِ كتابِ اللهِ عزّ وجلّ والفرائضِ ثمّ العربيّةِ فإنّها ثِقافُ ألسنتِكُمْ ثُمّ أجيدُوا الخطّ فإنّهُ حِليةُ كُتُبِكُمْ، وارْوُوا الأشعارَ، واعرفُوا غريبَها ومعانيَها، وأيّامَ العربِ والعجمِ، وأحاديثَها وسيرَها، فإنّ ذلكَ مُعينٌ

لَكُمْ عَلَى ما تَسمو إلَيهِ هِممُكُمْ. وَ لا تُضيعوا النَّظَرَ في الحِسابِ فَإنَّهُ قِوامُ كِتابِ الخَراجِ، وَ ارغَبوا بِأنْفُسِكُمْ عَنِ المَطامِعِ سَنِيِّها وَدَنِيِّها، سَفسافِ الأمورِ وَ مَحاقِرِها، فَإنَّها مُذِلَّةٌ لِلرِّقابِ مُفسِدَةٌ لِلكُتّابِ، وَ نَزِّهوا صِناعَتَكُمْ عَنِ الدَّنائَةِ وَ اربَؤوا بِأنْفُسِكُمْ عَنِ السِّعايَةِ وَ النَّميمَةِ وَ ما فيهِ أهْلُ الجَهالاتِ، وَ إيّاكُمْ وَ الكِبْرَ وَ الصَّلَفَ وَ العَظَمَةَ، فَإنَّها عَداوَةٌ مُجْتَلَبَةٌ مِنْ غَيرِ إحْنَةٍ، وَتَحابّوا في اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ في صِناعَتِكُمْ، وَتَواصَوْا عَلَيها بِالَّذي هُوَ ألْيَقُ بِأهلِ الفَضْلِ وَ العَدْلِ وَ النُّبْلِ مِنْ سَلَفِكُم.

« وَإنْ نَبا الزَّمانُ بِرَجُلٍ مِنكُمْ فَاعطِفوا عَلَيهِ وَواسوهُ حَتّى يَرجِعَ إلَيهِ حالُهُ وَيَثوبَ إلَيهِ أمرُهُ، وَإنْ أقعَدَ أحَداً مِنكُمُ الكِبَرُ عَنْ مَكسَبِهِ وَلِقاءِ إخوانِهِ، فَزورُوهُ وَعَظِّموهُ وَ شاوِروهُ، وَ استَظهِروا بِفَضلِ تَجرِبَتِهِ، وَ قَديمِ مَعرِفَتِهِ. وَلْيَكُنِ الرَّجُلُ مِنكُمْ عَلى مَنِ اصطَنَعَهُ وَ استَظهَرَ بِهِ لِيَومِ حاجَتِهِ إلَيهِ أحوَطَ مِنهُ عَلى وَلَدِهِ وَ أخيهِ. فَإنْ عَرَضَتْ في الشُّغلِ مَحمَدَةٌ فَلا يَصرِفْها إلّا إلى صاحِبِهِ، وَإنْ عَرَضَتْ مَذَمَّةٌ فَلْيَحمِلْها هُوَ مِنْ دونِهِ. وَلْيَحذَرِ السَّقطَةَ وَالزَّلَّةَ وَ المَلَلَ عِندَ تَغَيُّرِ الحالِ، فَإنَّ العَيبَ إلَيكُمْ مَعشَرَ الكُتّابِ أسرَعُ مِنهُ إلى القُرّاءِ، وَهُوَ لَكُمْ أفسَدُ مِنهُ لَها.

فَقَدْ عَلِمتُمْ أنَّ الرَّجُلَ مِنكُمْ إذا صَحِبَهُ مَنْ يَبذُلُ لَهُ مِنْ نَفسِهِ ما يَجِبُ لَهُ عَلَيهِ مِنْ حَقِّهِ، فَواجِبٌ عَلَيهِ أنْ يَعتَقِدَ لَهُ مِنْ وَفائِهِ، وَ شُكرِهِ، وَخَيرِهِ، وَ نَصيحَتِهِ، وَ كِتمانِ سِرِّهِ، وَ تَدبيرِ أمرِهِ، ما هُوَ جَزاءٌ لِحَقِّهِ. وَ يُصَدِّقَ

ذلكَ بِفِعالِهِ عِنْدَ الحاجَةِ إلَيْهِ، وَالاضطِرارِ إلى ما لَدَيْهِ.

فَاسْتَشْعِرُوا ذلكَ - وفَّقَكُمُ اللهُ - مِنْ أَنْفُسِكُمْ في حالةِ الرَّخاءِ، والشِّدَّةِ، وَالحِرْمانِ، وَالمُؤاساةِ، وَالإحسانِ، وَالسَّرّاءِ وَالضَّرّاءِ، فَنِعْمَتِ التَّسْمِيَةُ هذهِ لِمَنْ وُسِمَ بِها مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصِّناعَةِ الشَّرِيفَةِ. فإذا وَلِيَ الرَّجُلُ أَوْ صُيِّرَ إلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلْقِ اللهِ وَعِيالِهِ أَمْرٌ، فَلْيُراقِبِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلْيَكُنْ عَلى الضَّعِيفِ رَفِيقاً، وَ لِلْمَظْلُومِ مُنْصِفاً، فَإِنَّ الخَلْقَ عِيالُ اللهِ، وَأَحَبُّهُمْ إلَيْهِ أَرْفَقُهُمْ بِعِيالِهِ.

ثُمَّ لِيَكُنْ بِالعَدْلِ حاكِماً، وَ لِلأشْرافِ مُكْرِماً، وَ لِلْفَيْءِ مُوَفِّراً، وَ لِلْبِلادِ عامِراً، وَ لِلرَّعِيَّةِ مُتَأَلِّفاً، وَعَنْ أَذاهُمْ مُتَخَلِّفاً، وَلْيَكُنْ في مَجْلِسِهِ مُتَواضِعاً حَلِيماً، وَفي سِجِلّاتِ خَراجِهِ وَاسْتِقْضاءِ حُقُوقِهِ رَفِيقاً.

وَلا يَقُلْ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ أَبْصَرُ بِالأُمورِ وَ أَحْمَلُ لِعِبْءِ التدبيرِ مِنْ مُرافِقِهِ في صِناعَتِهِ وَمُصاحِبِهِ في خِدْمَتِهِ. فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الأَلْبابِ مَنْ رَمَى بِالعُجْبِ وَراءَ ظَهْرِهِ وَرَأى أَنَّ صاحِبَهُ أَعْقَلُ مِنْهُ وَ أَجْمَلُ في طَرِيقَتِهِ. وَعَلى كُلِّ واحِدٍ مِنَ الفَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ مِنْ غَيْرِ اغْتِرارٍ بِرَأْيِهِ وَلا تَزْكِيَةٍ لِنَفْسِهِ وَلا يُكاثِرَ على أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ وَصاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ.

وَحَمْدُ اللهِ واجِبٌ عَلى الجَمِيعِ وَ ذلِكَ بِالتَّواضُعِ لِعَظَمَتِهِ وَ التَّذَلُّلِ لِعِزَّتِهِ وَ التَّحَدُّثِ بِنِعْمَتِهِ. وَأَنا أَقُولُ في كِتابي هذا ما سَبَقَ بِهِ المَثَلُ،

مَنْ تَلْزَمهُ النَّصيحَةُ يَلْزَمهُ الـعَمَلُ . وَهُوَ جَوْهَرُ هذَا الـكِتَابِ وَغُرَّةُ كَلامِهِ بَعْدَ الَّذي فيهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلِذلِكَ جَعلْتُهُ آخِرَهُ وَتَمَّمْتُهُ بِهِ . تَوَلَّانَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِإِسْعادِهِ وَإِرْشادِهِ فَإِنَّ ذلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ .

وَالسَّلامُ عَلَيْـكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

رسالة عبدالحميد

في نصيحة وليّ العهد

و هذه نخبة من رسالة طويلة كتبها عبدالحميدبن يحيى الى عبدالله بن مروان وليّ العهد حين وجه لمحاربة الضحاك الخارجي (١) في تعبية الحروب . ويقال انه لا مثل لها في معناها :(٢)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ مَا اعْتَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ تَوْجِيهِكَ إِلَى عَدُوِّ اللهِ الْجِلْفِ الْجَافِي الْأَعْرَابِيِّ الْمُتَسَكِّعِ فِي حَيْرَةِ الْجَهَالَةِ وَ ظُلَمِ الْفِتْنَةِ وَمَهَاوِي الْهَلَكَةِ وَ رَعَاعِهِ الَّذِينَ عَاثُوا فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَ انْتَهَكُوا حُرَمَهُ اسْتِخْفَافاً وَ بَدَّلُوا نِعَمَ اللهِ كُفْراً وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَ أَهْلِ سِلْمِهِ جَهْلاً، أَحَبَّ أَنْ يَعْهَدَ إِلَيْكَ فِي لَطَائِفِ أُمُورِكَ وَعَوَامِّ شُؤُونِكَ وَ دَخَائِلِ أَحْوَالِكَ وَ مُضْطَرَبِ تَنَقُّلِكَ، عَهْداً يَحْمِلُكَ فِيهِ أَدَبُهُ وَ يَشْرَعُ لَكَ عِظَتَهُ ، وَ إِنْ كُنْتَ وَ الْحَمْدُ لِلّهِ مِنْ

(١) هو الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي، كان له شأن في اواخر الدولة الاموية في الكوفة و واسط . خرج سنة سبع و عشرين ومائة واستولى على الموصل و كورها. و بلغ مروان خبره و هو محاصر حمص مشتغل بقتال اهلها،فكتب الى ابنه عبدالله وهو خليفته بالجزيرة يأمره ان يسير الى نصيبين فيمن معه ليمنع الضحاك عن توسط الجزيرة فسار اليها في سبعة الاف او ثمانية الاف وسار الضحاك الى نصيبين فحصر عبدالله فيها وكان مع الضحاك ما يزيد على مائة الف. ثم ان مروان سار الى الضحاك فالتقوا بنواحي كفرتوثا من اعمال ماردين فقاتله يومه أجمع فأحدقت بالضحاك و اصحابه خيول مروان و الحوا عليهم في القتال حتى قتلوهم . (عن الكامل لابن اثير في حوادث سنة ١٢٨)

(٢) واجع الرسالة بكاملها في « رسائل البلغاء» (ط ١٩١٣ ص ١٣٩ ومابعد) نقلاً عن كتاب المنثور والمنظوم لابي الفضل احمد بن ابي طاهر.

دينِ اللهِ وَخِلافَتِهِ بِحَيْثُ اصْطَنَعَكَ اللهُ لِوِلايَةِ الْعَهْدِ مُخَصِّصاً لَكَ بِذلِكَ دُونَ لُحْمَتِكَ وَبَني أبيكَ .

* * *

وَقَدْ تَقَدَّمَ أميرُ الْمُؤْمِنينَ إلَيْكَ آخِذاً بِالْحُجَّةِ عَلَيْكَ مُؤَدِّياً حَقَّ اللهِ الْواجِبَ عَلَيْهِ في إرْشادِكَ وَقَضاءِ حَقِّكَ وَما يَنْظُرُ الْوالِدُ الْمَعْنى الشَّفيقُ لِوَلَدِهِ . وَأميرُ الْمُؤْمِنينَ يَرْجو أنْ يُنَزِّهَكَ اللهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ قَبيحٍ يَهُشُّ لَهُ طَمَعٌ وَأنْ يَعْصِمَكَ مِنْ كُلِّ مَكْروهٍ حاقَ بِأحَدٍ وَأنْ يُحَصِّنَكَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ اسْتَوْلَتْ عَلى امْرِئٍ في دينٍ أوْ خُلُقٍ . وَاللهَ أسْتَخْلِفُ عَلَيْكَ وَأسْألُهُ حِياطَتَكَ وَأنْ يَعْصِمَكَ مِنْ زَيْغِ الْهَوى وَيَحْضُرَكَ دَواعي التَّوْفيقِ مُعاناً عَلى الإرْشادِ فيهِ فَإنَّهُ لا يُعينُ عَلى الْخَيْرِ وَلا يُوَفِّقُ لَهُ إلّا هُوَ .

* * *

ثُمَّ لِيَكُنْ بِطانَتُكَ(١) وَجُلَساؤُكَ في خَلَواتِكَ وَدُخَلاؤُكَ في سِرِّكَ أهْلَ الْفِقْهِ وَالْوَرَعِ مِنْ أهْلِ بَيْتِكَ وَعامَّةِ قُوّادِكَ مِمَّنْ حَنَّكَتْهُ السِّنُّ بِتَصاريفِ الأُمورِ وَخَبَطَتْهُ فَصالَها بَيْنَ قَرائِنِ الْبُزْلِ(٢) وَقَلَّبَتْهُ الأُمورُ في فُنونِها وَرَكِبَ أطْوارَها عارِفاً بِمَحاسِنِ الأُمورِ وَمَواضِعِ الرَّأْيِ مَأْمونَ النَّصيحَةِ مَطْوِيَّ الضَّميرِ عَلى الطّاعَةِ .

ثُمَّ أحْضِرْهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَقاراً تَسْتَدْعي مِنْهُمْ بِكَ الْهَيْبَةَ ، وَاسْتِئْناساً

(١) بطانة الرجل : اهله وخاصته .

(٢) البزل : جمع البازل وهو البعير اذا ظهر نابه ، واستعمل مجازاً للرجل الكامل في تجربته .

يعطف إليك منهم بالمودة وإنصافاً يقل أقاصيصهم منك عما تكره أن ينتشر عنك من سخافة الرأي . ويقطعك دون الفكر .

***

ثم إياك أن يفاض عندك بشيء من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التي يستخف بها أهل البطالة ويتسرع نحوها ذوو الجهالة ويجد فيها أهل الحسد مقالاً لعيب يرفعونه ولطعن في حق يجحدونه مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض وهدم الشرف وتأثيل الغفلة وقوة طباع السوء الكامنة في بني آدم كمون النار في الحجر الصلد فإذا قدح لاح شرره ولهب وميضه ووقد تضرمه . وليست في أحد أقوى سطوة وأظهر توقداً وأعلى كموناً وأسرع إليه بالعيب، منها إلى من كان في سنك من أغفال الرجال وذوي العنفوان في الحداثة، الذين لم يقع عليهم سمات الأمور ناطقاً عليهم لاتحها ظاهراً وسمها ...

واعلم أن أقواماً سيسرعون إليك بالسعاية ويأتونك من قبل النصيحة ويستميلونك بإظهار الشفقة ويستدعونك بالإغراء والشبهة ويوطئونك عشوة[1] الحيرة ليجعلوك لهم ذريعة إلى استئكال[2] العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة أو أسرعوا بك في أمره

(١) العشوة ، الظلمة كالعشواء وركب فلان العشواء اذا خبط امره .
(٢) من قولهم استأكل الضعفاء اذا أخذ اموالهم .

إلى الظِّنَّةِ فلا يصلنَّ إلى مُشافهتك ساعٍ بِشُبهةٍ ولا معروفٍ بتُهمةٍ ولا مَنسوبٍ إلى بدعةٍ فيُعرِضَك لابتداعٍ في دينك ويحملك على رعيَّتك ما لا حقيقةَ فيه ويحملك على أعراضِ قومٍ لا عِلمَ لك بدخلهِم إلّا بما أقدمَ بِهِ عليهِم ساعياً وأظهرَ لكَ منهم متنصِّحاً.

وليكنْ صاحبُ شُرطِك[1] ومَن أحببتَ أن يتولّى ذلك مِن قُوّادِك إليهِ انتهاءُ ذلك وهو المنصوبُ لأُلئك والمستمِعُ لأقاويلِهِم والفاحصُ عن نصائحِهِم ثُمّ لينهِ ذلك إليك على ما يرتفعُ إليهِ منهُ لتأمرَهُ بأمرِك فيهِ وتقفهُ[2] على رأيك مِن غيرِ أن يظهرَ ذلك للعامّةِ فإن كان صواباً نالتك حظوتُهُ وإن كان خطأً أقدمَ بِهِ جاهلٌ أو فرطةٌ يسعى بها كاذبٌ فنالت الباغي منها أو المظلومَ عقوبةٌ وبدرَ مِن واليك إليك نكلٌ لم يُعصَبْ[3] ذلك الخطأُ بك ولم تُنسبْ إلى تفريطِهِ وخلوتَ مِن موضعِ الذمِّ فيه.

فافهمْ ذلك وتقدّمْ إلى مَن تُولّي. فلا يُقدِمْ على شيءٍ ناظراً فيه، ولا يُحاوِلْ أخذَ أحدٍ طارقاً لهُ، ولا يُعاقِبْ أحداً مُنكِّلاً بِهِ ولا يُخلِ سبيلَ أحدٍ صافحاً عنهُ لإظهارِ براءتِهِ وصحّةِ طريقتِهِ حتّى يرفعَ إليك أمرَهُ ويُنهي إليك قضيّتَهُ على جهةِ الصدقِ ومنحى الحقِّ.

فإن رأيتَ عليهِ سبيلاً لِمجلسٍ أو مجازاً لِعقوبةٍ أمرتَهُ فتولّى ذلك

(١) الشرط: الطائفة من خيار اعوان الولاة.

(٢) وقف يتعدى بنفسه قال تعالى وقفوهم انهم مسؤولون اما وقفته توقيفاً و اوقفته ايقافاً فقد أنكره الجمهور و قالوا انهما غير مسموعين او غير فصيحين.

(٣) لم يعصب: لم يقرن.

مِن غَيرِ إِدخالٍ لَهُ عَلَيكَ، وَلا مُشافَهَةٍ مِنكَ لَهُ، فَكانَ المُتَوَلّي لِذلِكَ وَلَمْ يَجرِ عَلى يَدِكَ مَكرُوهٌ. وَإِنْ وَجَدتَ إِلَى العَفوِ عَنهُ سَبيلاً، وَكانَ مِمّا قُرِفَ بِهِ خَلِياً، كُنتَ أَنتَ المُتَوَلّي لِلإِنعامِ عَلَيهِ بِتَخلِيَةِ سَبيلِهِ وَالصَّفحِ عَنهُ بِإِطلاقِ أَسرِهِ، فَتَوَلَّيتَ أَجرَ ذلِكَ وَذُخرَهُ وَنَطَقَ لِسانُهُ بِشُكرِكَ. فَقَرَنتَ خَصلَتَينِ: ثَوابَ اللهِ فِي الآخِرَةِ وَمَحمُودَ الذِّكرِ فِي العاجِلَةِ.

ثُمَّ إِيّاكَ وَأَنْ يَصِلَ إِلَيكَ أَحَدٌ مِن جُندِكَ وَجُلَسائِكَ وَخاصَّتِكَ وَبِطانَتِكَ بِمَسأَلَةٍ يَكشِفُها لَكَ أَو حاجَةٍ يَبْدَهُكَ(١) بِطَلَبِها، حَتّى يَرفَعَها قَبلُ إِلى كاتِبِكَ الَّذي أَهدَفتَهُ لِذلِكَ وَنَصَبتَهُ، فَيَعرِضُها عَلَيكَ مُنهِياً لَها عَلى جِهَةِ صِدقِها وَيَكونُ عَلى مَعرِفَةٍ مِن قَدرِها، فَإِنْ أَرَدتَ إِسعافَهُ وَنَجاحَ ما سَأَلَ مِنها، أَذِنتَ لَهُ في طَلَبِها باسِطاً لَهُ كَنَفَكَ، مُقبِلاً عَلَيهِ بِوَجهِكَ، مَعَ ظُهورِ سُرورٍ مِنكَ بِما سَأَلَكَ، بِفُسحَةِ رَأيٍ وَبَسطَةِ ذَرعٍ وَطيبِ نَفسٍ. وَإِنْ كَرِهتَ قَضاءَ حاجَتِهِ وَأَحبَبتَ رَدَّهُ عَن طِلبَتِهِ(٢) وَثَقُلَ عَلَيكَ إِسعافُهُ بِها، أَمَرتَ كاتِبَكَ فَصَفَحَهُ عَنها وَمَنَعَهُ مِن مُواجَهَتِكَ بِها، فَخَفَّتْ عَلَيكَ في ذلِكَ المَؤُنَةُ وَحَسُنَ لَكَ الذِّكرُ وَحَمَلَ عَلى كاتِبِكَ لائِمَةً أَنتَ مِنها بَريءُ السّاحَةِ.

وَكَذلِكَ فَلْيَكُنْ رَأيُكَ وَأَمرُكَ فيمَن طَرَأَ عَلَيكَ مِنَ الوُفودِ وَأَتاكَ مِنَ الرُّسُلِ. فَلا يَصِلَنَّ إِلَيكَ أَحَدٌ مِنهُمْ إِلّا بَعدَ وُصولِ عِلمِهِ إِلَيكَ،

(١) بدهه بالامر: استقبله به مفاجأة.
(٢) الطلبة: بكسر اللام: ما طلبته.

وَعِلْمِ ما قَدِمَ لَهُ عَلَيْكَ، وَجِهَةِ ما هُوَ مُكَلِّمُكَ، وَقَدْرِ ما هُوَ سائِلُكَ إِيّاهُ إِذا هُوَ وَصَلَ إِلَيْكَ. فَأَصْدَرْتَ رَأْيَكَ في جَوابِهِ، وَأَجَلْتَ فِكْرَكَ في أَمْرِهِ، وَأَنْفَذْتَ مَصْدَرَ رَوِيَّتِكَ في مَرْجوعِ مَسْأَلَتِهِ قَبْلَ مادُخولِهِ عَلَيْكَ، وَعِلْمِهِ بِوُصولِ حالِهِ إِلَيْكَ. فَرَفَعْتَ عَنْهُ مَؤُنَةَ البَديهَةِ وَأَرْخَيْتَ عَنْ نَفْسِكَ خِناقَ الرَّوِيَّةِ. فَأَقْدِمْ عَلى رَدِّ جَوابِهِ بَعْدَ النَّظَرِ وَالفِكْرَةِ، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَكَلَّمَكَ بِخِلافِ ما أَنْهى إِلى كاتِبِكَ، وَطَوى عَنْهُ حاجَتَهُ قِبَلَكَ، دَفَعْتَهُ عَنْكَ دَفْعاً جَميلاً وَمَنَعْتَهُ جَوابَكَ مَنْعاً وَدَفْعاً، ثُمَّ أَمَرْتَ حاجِبَكَ بِإِظْهارِ الجَفْوَةِ لَهُ وَالغِلْظَةِ، وَمَنْعِهِ مِنَ الوُصولِ إِلَيْكَ. فَإِنْ ضَبَطْتَ ذلِكَ مِمّا يُحْكِمُ لَكَ تِلْكَ الأَشْياءَ صارِفاً عَنْكَ مَؤُنَتَها إِنْ شاءَ اللهُ.

***

وامْنَعْ أَهْلَ بِطانَتِكَ وَخاصَّ خَدَمِكَ وَعامَّةَ رَعِيَّتِكَ مِنَ اسْتِلْحامِ(١) أَعْراضِ النّاسِ عِنْدَكَ بِالغِيبَةِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْكَ بِالسِّعايَةِ، وَالإِغْراءِ مِنْ بَعْضٍ بِبَعْضٍ، وَالنَّميمَةِ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ مِنْ أَحْوالِهِمُ المُسْتَتِرَةِ عَنْكَ، أَوِ التَّحْميلِ لَكَ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِوَجْهِ النَّصيحَةِ وَمَذْهَبِ الشَّفَقَةِ. فَإِنَّهُ أَبْلَغُ سُمُوّاً إِلى مَنالِ الشَّرَفِ، وَأَعْوَنُ لَكَ عَلى مَحْمودِ الذِّكْرِ، وَأَطْلَقُ لِعِنانِ الفَضْلِ في جَزالَةِ الرَّأْيِ وَشَرَفِ الهِمَّةِ وَقُوَّةِ التَّدْبيرِ.

---

(١) استلحم الطريق: اذا تبعه و لزمه، و استلحمه الخطب: اذ انشب فيه.

وَ امْلِكْ نَفْسَكَ عَنِ الْإِنْبِساطِ فِي الضَّحِكِ وَ الْإِنْفِهاقِ[١]، وَ عَنِ الْقُطُوبِ بِإِظْهارِ الْغَضَبِ وَ تَنَحُّلِهِ، فَإِنَّ ذلِكَ ضَعْفٌ مِنْ سَوْرَةِ الْجَهْلِ وَ خُرُوجٌ مِنْ انْتِحالِ إِسْمِ الْفَضْلِ.

وَلْيَكُنْ ضِحْكُكَ تَبَسُّماً أَوْ كِبْراً (؟) فِي أَحايِينِ ذلِكَ وَ أَوْقاتِهِ، وَ عِنْدَ كُلِّ مَرْأًى مُلْهِىٍ وَ مُسْتَخَفٍّ مُطْرِبٍ، وَ قُطُوبُكَ إِطْراقاً فِي مَوْضِعِ ذلِكَ وَ أَحْوالِهِ بِلا عَجَلَةٍ إِلَى السَّطْوَةِ وَ لا إِسْراعٍ إِلَى الطِّيَرَةِ دُونَ أَنْ تَكْنُفَها رَوِيَّةُ الْحِلْمِ وَ تَمْلِكَ عَلَيْها بادِرَةُ الْجَهْلِ.

إِذا كُنْتَ فِي مَجْلِسِ مُلْكِكَ وَ حُضُورَ الْعامَّةِ مَجْلِسُكَ، فَإِيّاكَ وَ الرَّمْيَ بِبَصَرِكَ إِلَى خاصٍّ مِنْ قُوّادِكَ أَوْ ذِي أَثَرَةٍ مِنْ حَشَمِكَ. وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ مَقْسُوماً فِي الْجَمِيعِ، وَ إِعارَتُكَ سَمْعَكَ ذَا الْحَدِيثِ بِدَعَةٍ هادِئَةٍ وَ وَقارٍ حَسَنٍ وَ حُضُورِ فَهْمٍ مُسْتَجْمِعٍ وَ قِلَّةِ تَضَجُّرٍ بِالْمُحَدِّثِ، ثُمَّ لا يَبْرَحُ وَجْهُكَ إِلَى بَعْضِ قُوّادِكَ وَ حَرَسِكَ مُتَوَجِّهاً بِنَظَرٍ رَكِينٍ وَ تَفَقُّدٍ مَحْضٍ. فَإِنْ وَجَّهَ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَظْرَةً مُحَدِّثاً، أَوْ رَماكَ بِبَصَرِهِ مُلِحّاً، فَاخْفِضْ عَنْهُ إِطْراقاً جَمِيلاً بِإِبْداعٍ وَ سُكُونٍ. وَ إِيّاكَ وَ التَّسَرُّعَ فِي الْإِطْراقِ وَ الْخِفَّةَ فِي تَصارِيفِ النَّظَرِ، وَ الْإِلْحاحَ عَلَى مَنْ قَصَدَ إِلَيْكَ فِي مُخاطَبَتِهِ إِيّاكَ رامِقاً بِنَظَرِهِ.

---

(١) الانفهاق فى الشيء: التوسع فيه.

***

إسْتَكْثِرْ مِنْ فوائِدِ الْخيرِ فإنّها تنشُرُ الْمحمدَةَ وَ تُقيلُ العَثْرَةَ. وَ اصطَبِرْ عَلى الغَيْظِ فَإنّهُ يُورِثُ العِزَّ وَيُؤمِنُ السّاحَةَ، وَ تَعَهّدِ العامّةَ بِمَعْرِفَةِ دَخْلِهِمْ وَ بِنَظَرِ أحْوالِهِمْ وَ اسْتِثارَةِ دَفائِنِهِمْ حَتّى تَكُونَ بِمَرْأى العَيْنِ وَ يَقِينِ الْخِبْرَةِ فَتُنْعِشَ عَديمَهُمْ وَ تُجْبِرَ كسيرَهُمْ وَ تُقيمَ أوَدَهُمْ وَتُعلِّمَ جاهِلَهُمْ وَ تَسْتَصْلِحَ فاسِدَهُمْ. فإنَّ ذلِكَ مِنْ فِعْلِكَ يُورِثُكَ العِزَّةَ وَيُقدِّمُكَ في الفَضْلِ وَ يُبْقِي لَكَ لِسانَ صِدْقٍ في العامّةِ وَيُحْرِزُ لَكَ ثَوابَ الآخِرَةِ وَ يَرُدُّ عَلَيْكَ عَواطِفَهُمُ الْمُسْتَنْفِرَةَ وَ قُلوبَهُمُ الْمُسْتَجِنّةَ عنكَ. (وَمَيِّزْ) بَيْنَ مَنازِلِ أهْلِ النَّقْصِ في طَبَقاتِ الفَضْلِ وَ أحْوالِهِ وَالجُمُود عَنْهُ تَناها (؟) بِأهلِ الْحَسَبِ وَ النَّظَرِ نَصيحَةً لَهُمْ، تَنالُ مَوَدّةَ الْجَميعِ، وَتَسْتَجْمِعُ لَكَ أقاويلُ العامّةِ عَلى التَّفْضيلِ، وَ تَبْلُغُ دَرَجَ الشَّرَفِ في الأحْوالِ الْمُتَصَرِّفَةِ بِكَ. فاعْتَمِدْ عَلَيْهِمْ مُسْتَدْخِلاً لهُمْ وَ آثِرْهُمْ بِمُجالَسَتِكَ مُسْتَمِعاً مِنْهُمْ، وَ إيّاكَ وَ تَضْييعَهُمْ مُفْرِطاً لَهُمْ وَ إهْمالَهُمْ مُضيعاً.

هذِهِ جَوامِعُ مِنْ خِصالٍ قَدْ لَخَّصَها لَكَ أميرُ الْمُؤمِنينَ، وَجَمَعَ شَواهِدَها مُؤَلِّفاً وَ أهْداها لَكَ مُرْشِداً، تَقِفُ عِنْدَ أوامِرِها وَتَنْتَهي عِنْدَ زَواجِرِها وَ تَثْبُتُ في مَجامِعِها، وَخُذْ بِوَثائِقِ عُراها[1] تَسْلَمْ مِنْ مَعاطِبِ

(١) العرى: جمع العروة، ما يوثق به، ما يعول عليه.

الرَّدى وَتَنَلْ أَنْفَسَ الْحُظُوظِ وَمَزِيَّةَ الشَّرَفِ وَأَعْلَى دَرَجِ الذِّكْرِ، وَاللهُ يَسْأَلُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حُسْنَ الْإِرْشَادِ وَتَتَابُعَ الْمَزِيدِ وَبُلُوغَ الْأَمَلِ، وَأَنْ يَجْعَلَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غِبْطَةٍ يَسُوغُكَ إِيَّاهَا وَعَافِيَةٍ يُحِلُّكَ أَكْنَافَهَا وَنِعْمَةٍ يُلْهِمُكَ شُكْرَهَا، فَإِنَّهُ الْمُوَفِّقُ لِلْخَيْرِ وَالْمُعِينُ عَلَى الْإِرْشَادِ وَبِهِ تَمَامُ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْتِي الْحَسَنَاتِ، عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ وَبِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

***

فَإِذَا أَفْضَيْتَ نَحْوَ عَدُوِّكَ. وَاعْتَزَمْتَ عَلَى لِقَائِهِمْ، وَأَخَذْتَ أُهْبَةَ[1] قِتَالِهِم، فَاجْعَلْ دِعَامَتَكَ الَّتِي تَلْجَأُ إِلَيْهَا، وَثِقَتَكَ الَّتِي تَأْمُلُ النَّجَاةَ بِهَا، وَرُكْنَكَ الَّذِي تَرْتَجِي بِهِ مَنَالَ الظَّفَرِ وَتَكْتَهِفُ[2] بِهِ لِمَغَالِقِ الْحَذَرِ، تَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُسْتَشْعِراً لَهُ بِمُرَاقَبَتِهِ، وَالْاعْتِصَامَ بِطَاعَتِهِ، مُتَّبِعاً لِأَمْرِهِ، وَالْاجْتِنَابَ لِمَسَاخِطِهِ مُحْتَذِياً سُنَّتَهُ وَالتَّوَقِّي لِمَعَاصِيهِ فِي تَعْطِيلِ حُدُودِهِ وَتَعَدِّي شَرَائِعِهِ مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ فِيمَا صَمَدْتَ[3]

---

(١) اى تهيأت لقتالهم . و الاهبة : العدة .

(٢) اكتهف و تكهف : لزم الكهف، و الكهف : المغارة و الملجأ .

(٣) صمد للامر : قصده معتمداً عليه .

لَهُ، واثِقاً بِنَصْرِهِ فيما وُجِّهتَ نَحْوَهُ مُتَبَرِّئاً مِنَ الْحَوْلِ وَ الْقُوَّةِ فيما نالَكَ مِنْ ظَفَرٍ وَ تَلَقّاكَ مِنْ عِزٍّ.

وَ ابْدَأْ بِالإعْذارِ وَ الدُّعاءِ لَهُمْ إلى مُراجَعَةِ الطّاعَةِ وَ أمْرِ الْجَماعَةِ وَ عُرَى الأُلْفَةِ، آخِذاً بِالْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، مُتَقَدِّماً بِالإنْذارِ لَهُمْ، باسِطاً أمانَكَ لِمَنْ لَجَأَ إلَيْهِ مِنْهُمْ، داعِياً لَهُمْ إلَيْهِ بِأَلْيَنِ لُطْفِكَ وَ أَلْطَفِ حيلَتِكَ، مُتَعَطِّفاً عَلَيْهِمْ بِرَأْفَتِكَ، مُتَرَفِّقاً بِهِمْ في دُعائِكَ، مُشْفِقاً عَلَيْهِمْ مِنْ غَلَبَةِ الْغَوايَةِ لَهُمْ وَ إحاطَةِ الْهَلَكَةِ بِهِمْ، مُنْفِذاً رُسُلَكَ إلَيْهِمْ بَعْدَ الإنْذارِ، تَعِدُهُمْ كُلَّ رَغْبَةٍ يَهَشُّ إلَيْها طَمَعُهُمْ في مُوافَقَةِ الْحَقِّ، وَ بَسْطِ كُلِّ أمانٍ سَأَلوهُ لِأَنْفُسِهِمْ وَ مَنْ مَعَهُمْ مِنْ تَبَعِهِمْ، مُوطِناً نَفْسَكَ فيما تَبْسُطُ لَهُمْ مِنْ ذلِكَ عَلَى الْوَفاءِ بِوَعْدِكَ وَ الصَّبْرِ عَلى ما أَعْطَيْتَهُمْ مِنْ وَثائِقِ عَهْدِكَ. قابِلاً تَوْبَةَ نازِعِهِمْ[1] عَنِ الضَّلالَةِ، وَ مُراجَعَةَ مُسيئِهِمْ إلَي الطّاعَةِ، مُرْصِداً لِلْمُنْحازِ إلى فِئَةِ الْمُسْلِمينَ وَ جَماعَتِهِمْ إجابَةً إلى ما دَعَوْتَهُ إلَيْهِ وَ بَصَّرْتَهُ مِنْ حَقِّكَ وَ طاعَتِكَ، بِفَضْلِ الْمَنْزِلَةِ وَ إكْرامِ الْمَثْوى وَ تَشْريفِ الْحالِ، لِيَظْهَرَ مِنْ أَثَرِكَ عَلَيْهِ وَ إحْسانِكَ إلَيْهِ ما يُرَغِّبُ في مِثْلِهِ الصّارِفَ عَنْكَ الْمُصِرَّ عَلى خِلافِكَ وَ مَعْصِيَتِكَ، وَ يَدْعو إلَي الإعْتِلاقِ بِحَبْلِ النَّجاةِ وَ ما هُوَ أَمْلَكُ بِهِ في الإعْتِصامِ

(١) المهى عتن الضلالة.

به عاجلاً وَ أنجى لَهُ مِنَ العِقابِ آجِلاً ، وَ أَحوطُ عَلى دينِهِ وَ مُهجَتِهِ بَدأً و عاقِبَةً ، فَإنَّ ذلكَ مما يَستَدعي نَصرَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ عَلَيهِم ، وَ تَعتَصِمُ بِهِ في تَقدِمَةِ الحُجَّةِ إليهِم مُعذِراً و مُنذِراً إن شاءَ اللهُ.

ثُمَّ أذكِ عُيونَكَ[1] عَلى عَدُوِّكَ مُتَطَلِّعاً لِعِلمِ أحوالِهِمُ التي يَنتَقِلونَ فيها ، و مَنازِلِهِمُ التي هُم بِها ، وَ مَطامِعِهِمُ التي مَدُّوا بِها أعناقَهُم نَحوَها . وَ أيَّ الأُمورِ أدعى لَهُم إلى الصُّلحِ ، وَ أقوَدُها لِرِضاهُم إلى العافِيَةِ ، وَ مِن أيِّ الوُجوهِ مَأتاهُم مِن قِبَلِ الشِّدَّةِ و المُنافَرَةِ وَ المُكايَدَةِ وَ المُباعَدَةِ وَ الإرهابِ وَ الإبعادِ وَ التَّرغيبِ وَ الإطماعِ ...

***

ثُمَّ اعلَمْ أنَّ القَضاءَ مِنَ اللهِ بِمَكانٍ لَيسَ بِهِ شَيءٌ مِنَ الأحكامِ وَ لا بِمِثلِهِ أحَدٌ مِنَ الوُلاةِ ، لِما يَجري عَلى يَدَيهِ مِن مَغالِظِ الأحكامِ وَ مَجاري الحُدودِ ، فَليَكُن مَن تُوَلِّيهِ القَضاءَ بَينَ أهلِ العَسكَرِ ؛ مِن ذَوي الخَيرِ في القَناعَةِ وَ العَفافِ وَ النَّزاهَةِ وَ الفَهمِ وَ الوَقارِ وَ العِصمَةِ وَ الوَرَعِ و البَصَرِ بِوُجودِ القَضايا وَ مَواقِعِها ، قَد حَنَّكَتهُ السِّنُّ وَ أيَّدَتهُ التَّجرِبَةُ وَ أحكَمَتهُ الأُمورُ ، مِمَّن لا يَتَصَنَّعُ لِلوِلايَةِ وَ يَستَعِدُّ لِلنُّهزَةِ[2] و يَجتَرِئُ عَلى المُحاباةِ في الحُكمِ وَ المُداهَنَةِ

---

(١) اى ارسل جواسيسك.

(٢) النهزة : الفرصة .

في القضاء، عدل الأمانة عفيف الطعمة حسن الإنصات فهم القلب ورع الضمير متخشع السمت هادي الوقار محتسباً للخير. ثم أجر عليه ما يكفيه و يسعه و يصلحه، و فرغه لما حملته، و أعنه على ما وليته، فإنك قد عرضته لهلكة الدنيا و ثواب الآخرة، و شرف العاجلة و حظوة الآجلة. إن حسنت نيته و صدقت رويته و صحت سريرته و سلط حكم الله على رعيته، منفذاً قضاءه في خلقه، عاملاً بسنته في شرائعه، آخذاً بحدوده و فرائضه...

* * *

عند هذا الحد نختتم هذا الجزء، وان أتيح لنا ان ننشر اجزاءه التالية فسنبدأ فى الجزء الثانى بدرس الادب العربى فى العصر العباسى و نسأل الله التوفيق.

تم الجزء الاول

اخطاء مطبعية

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
٢	٥	بافضيلية	بافضلية
٣	١٣	خمر... وصيد	خمراً ... وصيداً
٣	١٣	تشبيهه	تشبيبه
٣	١٦	منزَل	منزِل
٤	٣	ففاظت	ففاضت
٤	١٦	هذالابيات	هذه الابيات
٥	١٢	نأمري	تأمري
٩	١١	بعدا السفاهة	بعدالسفاهة
١٠	٣	الملكنى	المكنّى
١٠	١٢	يا اميمةَ	الصواب يا اميمة بالرفع الا ان الروايات وردت بالنصب واوّلها الشُرّاح بان الشاعر اراد يا أميم بنية الترخيم فلم يمكنه فادخل الهاء وحركها بحركة الميم .
١٥	٣	فلاتترُكنّي	فلاتترُكنّي
١٥	١٥	المطليّ	المطليّ
١٦	١٥	لم يرقه لسوء ترجمته	لم ترقه لسوء ترجمتها
١٨	٦ و١٥	شَبت	شِبت
٢١	٢	عوضَ	بالفتح ليس خطأ ولكن بالضم اشهر

الصفحة	السطر	الخطاء	صوابه
٢٥	٩	يُسأل	يَسأل
٢٩	٥	لم يُراءَ	لم يُراءِ
٢٩	١٧	راءَه مراءاة	رائاه مرائاة
٣٠	١٦	الشُدّاد	الشِداد
٣٥	٩	ابوسفيان	ابى سفيان
٣٧	٧٧	السفر بمعنى المسافر	السفر بمعنى المسافر والمسافرين
٤٣	٦	كماتلوّنَ	كماتلوّنُ
٥٥	١٤	لِأن أبيت	لَأن أبيت
٥٨	٦	ولا تغرون	ولا تغزون
٥٨	٧	القيظَ	القيظِ
٧٥	٩	الازراقة	الازارقة
٧٦	٨	جُبتّك	جَبتُك
٧٨	٦	فَحّلَ	فَحَلَّ
٨٩	٥	لأرْضِى	لَأرضَى
٩٠	١٥	فمجِّهر	فمهجّر
٩٤	٥	مجلَس	مجلِس
١١٣	٣	قدنزل البصرة	قدنزلت البصرة
١١٤	١١	اذا استوضِحوا	اذا استوضّحوا
١١٧	٧	واذا الربائعِ	و اذا الربائعُ
١٣٠	٩	والدهرِ	والدهرُ
١٣٤	١٦	تكوّن	تكوّنت
١٤٤	١١	وكتاب	وكتاباً

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
١٥٠	١	مثلَ الشمس	مثلُ الشمس
١٥٠	١٣	فعدما	فعندما
١٥٦	١٢	من الغيظَ	من الغيظِ
١٦١	١٣	انما خلقناكم	انا خلقناكم
١٦٨	٢	لَزَوْرك	لِزَوْرك
١٨٧	١٠	طريقة في الكتابة	طريقته في الكتابة
١٨٥	١	تَجرِبَتِكُم	تَجْرِبَتُكُم
١٩٠	٥	يُهْش	يَهْش

انتشارات دانشگاه تهران

- وراثت (۱)	تألیف دکتر عزت‌الله خبیری
- A Strain Theory of Matter	» » محمود حسابی
- آراء فلاسفه در بارهٔ عادت	ترجمهٔ » برزو سپهری
- کالبدشناسی هنری	تألیف » نعمت‌الله کیهانی
- تاریخ بیهقی جلد دوم	بتصحیح سعید نفیسی
- بیماریهای دندان	تألیف دکتر محمود سیاسی
- بهداشت و بازرسی خوراکیها	» » سرهنگ شمس
- حماسه سرائی در ایران	» » ذبیح‌الله صفا
- مزدیسنا و تأثیر آن در ادبیات پارسی	» » محمد معین
- نقشه برداری جلد دوم	» مهندس حسن شمسی
- گیاه شناسی	» حسین گل گلاب
- اساس الاقتباس خواجه نصیر طوسی	بتصحیح مدرس رضوی
- تاریخ دیپلوماسی عمومی جلد اول	تألیف دکتر حسن ستودهٔ تهرانی
- روش تجزیه	» » علی‌اکبر پریمن
- تاریخ افضل - بدایع الازمان فی وقایع کرمان	فراهم آوردهٔ دکتر مهدی بیانی
- حقوق اساسی	تألیف دکتر قاسم زاده
- فقه و تجارت	» زین‌العابدین ذوالمجدین
- راهنمای دانشگاه	—
- مقررات دانشگاه	—
- درختان جنگلی ایران	» مهندس حبیب‌الله ثابتی
- راهنمای دانشگاه بانگلیسی	—
- راهنمای دانشگاه بفرانسه	
- Les Espaces Normaux	تألیف دکتر هشترودی
- موسیقی دورهٔ ساسانی	» مهدی برکشلی
- حماسه ملی ایران	ترجمهٔ بزرگ علوی
- زیست شناسی (۲) بحث در نظریهٔ لامارك	تألیف دکتر عزت‌الله خبیری
- هندسه تحلیلی	» » علینقی وحدتی
- اصول گدازو استخراج فلزات جلد اول	تألیف دکتر یکانه حایری
- اصول گدازو استخراج فلزات » دوم	» » »
- اصول گدازو استخراج فلزات » سوم	» » »

۳۱- ریاضیات در شیمی	نگارش دکتر هورفر
۳۲- جنگل شناسی جلد اول	« مرحوم مهندس کریم ساعی
۳۳- اصول آموزش و پرورش	« دکتر محمد باقر هوشیار
۳۴- فیزیولژی گیاهی جلداول	« « اسمعیل زاهدی
۳۵- جبر و آنالیز	نگارش دکتر محمدعلی مجتهدی
۳۶- گزارش سفر هند	« « غلامحسین صدیقی
۳۷- تحقیق انتقادی در عروض فارسی	« « پرویز ناتل خانلری
۳۸- تاریخ صنایع ایران - ظروف سفالین	« « مهدی بهرامی
۳۹- واژه نامه طبری	« « صادق کیا
۴۰- تاریخ صنایع اروپا درقرون وسطی	« عیسی بهنام
۴۱- تاریخ اسلام	« دکتر فیاض
۴۲- جانورشناسی عمومی	« « فاطمی
۴۳- Les Connexions Normales	« « هشترودی
۴۴- کالبد شناسی توصیفی (۱) - استخوان‌شناسی	« دکتر امیراعلم - دکتر حـ دکتر کیهانی -دکتر نجم آبادی- دکتر نیك نفس -دکتر نـ
۴۵- روان‌شناسی کودك	نگارش دکتر مهدی جلالی
۴۶- اصول شیمی پزشکی	« « آ. وارتانی
۴۷- ترجمه وشرح تبصرهٔ‌علامه جلداول	« زین‌العابدین ذوالمجدین
۴۸- اکوستیك « صوت » (۱) ارتعاشات - سرعت	« دکتر ضیاء الدین اسمعیل‌بیـ
۴۹- انگل شناسی	« « ناصر انصاری
۵۰- نظریه توابع متغیر مختلط	« « افضلی‌پور
۵۱- هندسه ترسیمی و هندسه رقومی	« احمد بیرشک
۵۲- درس‌اللغة والادب (۱)	« دکتر محمدی
۵۳- جانور شناسی سیستماتیك	« « آزرم
۵۴- پزشکی عملی	« « نجم‌آبادی
۵۵- روش تهیه مواد آلی	« « صفوی گلپایگانی
۵۶- مامائی	« « آهی
۵۷- فیزیولژی گیاهی جلددوم	« « زاهدی
۵۸- فلسفه آموزش و پرورش	« دکتر فتح‌الله امیرهوشمند
۵۹- شیمی تجزیه	« « علی‌اکبر پریمن
۶۰- شیمی‌عمومی	« مهندس سعیدی
۶۱- امیل	ترجمهٔ مرحوم غلامحسین زیرك‌زاده
۶۲- اصول علم‌اقتصاد	تألیف دکتر محمود کیهان
۶۳- مقاومت مصالح	« مهندس گوهریان
۶۴- کشت گیاه حشره کش پیرتر	« مهندس میردامادی
۶۵- آسیب شناسی	« دکتر آرمین

مکانیک فیزیک	تألیف دکتر کمال جناب
کالبدشناسی توصیفی(۲) ـ مفصل شناسی	» » امیراعلم ـ دکتر حکیم ـ دکتر کیهانی ـ دکتر نجم آبادی ـ دکتر نیک نفس
درمانشناسی جلد اول	تألیف دکتر عطائی
درمانشناسی »دوم	» » »
گیاه شناسی ـ تشریح عمومی نباتات	» مهندس حبیب‌الله ثابتی
شیمی آنالیتیک	» دکتر کاگیک
اقتصاد جلد اول	» » علی‌اصغر پورهمایون
دیوان سیدحسن غزنوی	بتصحیح مدرس رضوی
راهنمای دانشگاه	—
اقتصاد اجتماعی	تألیف دکتر شیدفر
تاریخ دیپلوماسی عمومی جلد دوم	» » حسن ستوده تهرانی
زیبا شناسی	» علینقی وزیری
تئوری سنتتیک گازها	» دکتر روشن
کارآموزی داروسازی	» » جنیدی
قوانین دامپزشکی	» » میمندی‌نژاد
جنگل‌شناسی جلد دوم	» مرحوم مهندس ساعی
استقلال آمریکا	» دکتر مجیر شیبانی
کنجکاویهای علمی و ادبی	—
ادوار فقه	» محمود شهابی
دینامیک گازها	» دکتر غفاری
آئین دادرسی در اسلام	» محمد سنگلجی
ادبیات فرانسه	» دکتر سپهبدی
از سربن تا یونسکو ـ دو ماه در پاریس	» » علی‌اکبر سیاسی
حقوق تطبیقی	» » حسن افشار
میکروب‌شناسی جلد اول	تألیف دکتر سهراب ـ دکتر میردامادی
میزراه جلد اول	» » حسین گلژی
» » دوم	» » » »
کالبد شکافی (تشریح عملی دست‌وپا)	» » نعمت‌الله کیهانی
ترجمه وشرح تبصره علامه جلد دوم	» زین‌العابدین ذوالمجدین
کالبد شناسی توصیفی (۳) ـ عضله شناسی	» دکتر امیراعلم ـ دکتر حکیم دکتر کیهانی ـ دکتر نجم آبادی ـ دکتر نیک نفس
» » (۴) ـ رگ شناسی	» » » »
بیماریهای گوش وحلق و بینی جلد اول	تألیف دکتر جمشید اعلم
هندسهٔ تحلیلی	» » کامکار پارسی
جبر و آنالیز	» » » »
تفوق و برتری اسپانیا (۱۵۵۹-۱۶۶۰)	» » بیانی

۱۰۱ـ کالبدشناسی توصیفی ـ استخوان‌شناسی اسب	تألیف دکتر میر بابائی
۱۰۲ـ تاریخ عقاید سیاسی	» » محسن عزیزی
۱۰۳ـ آزمایش و تصفیه آبها	نگارش » محمد جواد جنیدی
۱۰۴ـ هشت مقاله تاریخی وادبی	» نصرالله فلسفی
۱۰۵ـ فیه مافیه	» بدیع‌الزمان فروزانفر
۱۰۶ـ جغرافیای اقتصادی جلد اول	» دکتر محسن عزیزی
۱۰۷ـ الکتریسیته وموارد استعمال آن	» مهندس عبدالله ریاضی
۱۰۸ـ مبادلات انرژی در گیاه	» دکتر اسمعیل زاهدی
۱۰۹ـ تلخیص البیان عن مجازات القران	» سید محمد باقر سبزواری
۱۱۰ـ دو رساله ـ وضع الفاظ و قاعده لاضرر	» محمود شهابی
۱۱۱ـ شیمی آلی جلداول تئوری واصول کلی	» دکتر عابدی
۱۱۲ـ شیمی آلی «ارگانیك» جلداول	» » شیخ
۱۱۳ـ حکمت الهی عام و خاص	نگارش مهدی‌قمشة
۱۱۴ـ امراض حلق و بینی و حنجره	» دکتر علیم مروستی
۱۱۵ـ آنالیز ریاضی	» » منوچهر وصال
۱۱۶ـ هندسه تحلیلی	» » احمد عقیلی
۱۱۷ـ شکسته بندی جلد دوم	» » امیر کیا
۱۱۸ـ باغبانی (۱) باغبانی عمومی	» مهندس‌شیبانی
۱۱۹ـ اساس التوحید	» مهدی آشتیانی
۱۲۰ـ فیزیك پزشکی	» دکتر فرهاد
۱۲۱ـ اکوستیك « صوت » (۲) مشخصات صوت - لوله ـ تار	» » اسمعیل بیگی
۱۲۲ـ جراحی فوری اطفال	» » مرعشی
۱۲۳ـ فهرست کتب اهدائی آقای مشکوة (۱)	» علینقی منزوی تهرانی
۱۲۴ـ چشم‌پزشکی جلداول	» دکتر ضرابی
۱۲۵ـ شیمی فیزیك	» » بازرگان
۱۲۶ـ بیماریهای گیاه	» » خبیری
۱۲۷ـ بحث در مسائل پرورش اخلاقی	» » سپهری
۱۲۸ـ اصول عقاید و کرائم اخلاق	» زین‌العابدین ذوالمجدین
۱۲۹ـ تاریخ کشاورزی	» دکتر تقی بهرامی
۱۳۰ـ کالبدشناسی انسانی (۱) سر و گردن	» » حکیم و دکتر گنج‌بخش
۱۳۱ـ امراض واگیر دام	» » رستکار
۱۳۲ـ درس اللغة والادب (۲)	» » محمدی
۱۳۳ـ واژه نامه گرگانی	» » صادق کیا
۱۳۴ـ تك‌یاخته‌شناسی	» » عزیز رفیعی
۱۳۵ـ حقوق اساسی چاپ پنجم (اصلاح شده)	» » قاسم زاده
۱۳۶ـ عضله وزیبائی پلاستیك	» » کیهانی
۱۳۷ـ طیف‌جذبی واشعه ایکس	» » فاضل زندی

مصنفات افضل الدین کاشانی	نگارش دکتر مینوی ویحیی مهدوی
روان‌شناسی (ازلحاظ تربیت)	» » علی‌اکبر سیاسی
ترمودینامیک (۱)	» مهندس بازرگان
بهداشت روستائی	نگارش دکتر زوین
زمین شناسی	» » یدالله سحابی
مکانیک عمومی	» » مجتبی ریاضی
فیزیولوژی جلداول	» » کاتوزیان
کالبدشناسی وفیزیولوژی	» » نصرالله نیک‌نفس
تاریخ تمدن ساسانی جلداول	» سعیدنفیسی
کالبدشناسی توصیفی(۵) قسمت اول	» دکترامیراعلم‌ـ دکترحکیم
سلسله اعصاب محیطی	دکتر کیهانی‌ـ دکترنجم‌آبادی‌ـ دکتر نیک‌نفس
کالبدشناسی توصیفی(۵) قسمت دوم	» » » »
سلسله اعصاب مرکزی	
کالبدشناسی توصیفی (۶) اعضای حواس پنجگانه	» » » »
هندسه عالی (گروه و هندسه)	تألیف دکتر اسدالله آل‌بویه
اندام‌شناسی گیاهان	» » پارسا
چشم پزشکی (۲)	نگارش دکتر ضرابی
بهداشت شهری	» » اعتمادیان
انشاء انگلیسی	» بازارگادی
شیمی آلی (ارگانیک) (۲)	» دکتر شیخ
آسیب شناسی (گانگلیون استلر)	» » آرمین
تاریخ علوم عقلی در تمدن اسلامی	» » ذبیح‌الله صفا
تفسیر خواجه عبدالله انصاری	بتصحیح علی‌اصغر حکمت
حشره‌شناسی	تألیف جلال افشار
نشانه‌شناسی (علم‌العلامات) جلد اول	» دکتر محمدحسین میمندی‌نژاد
نشانه‌شناسی بیماریهای اعصاب	» » صادق صبا
آسیب‌شناسی عملی	» » حسین رحمتیان
احتمالات وآمار	» » مهدوی اردبیلی
الکتریسته صنعتی	» » محمد مظفری زنگنه
آئین دادرسی کیفری	» » محمدعلی هدایتی
اقتصاد سال اول (چاپ دوم اصلاح شده)	» » علی‌اصغر پورهمایون
فیزیک (تابش)	» » روشن
فهرست کتب اهدائی آقای مشکوة (جلددوم)	» علینقی منزوی
» » » » » » (جلدسوم-قسمت اول)	» محمدتقی دانش‌پژوه
رساله بودونمود	» محمودشهابی
زندگانی شاه‌عباس اول	» نصرالله فلسفی
تاریخ بیهقی (جلدسوم)	بتصحیح سعید نفیسی
فهرست نشریات ابوعلی‌سینا بزبان فرانسه	» » »

١٧٤ـ تاریخ مصر (جلد اول)	تألیف احمد بهمنش
١٧٥ـ آسیب‌شناسی آزردگی سیستم رتیکولو آندوتلیال	« دکتر آرمین
١٧٦ـ نهضت ادبیات فرانسه در دوره رومانتیک	« مرحوم زیرک‌زاده
١٧٧ـ فیزیولوژی (طب عمومی)	نگارش دکتر مصباح
١٧٨ـ خطوط لبه‌های جذبی (اشعه ایکس)	« « زندی
١٧٩ـ تاریخ مصر (جلد دوم)	« احمد بهمنش
١٨٠ـ سیر فرهنگ در ایران و مغرب زمین	« دکتر صدیق اعلم
١٨١ـ فهرست کتب اهدائی آقای مشکوة (جلد سوم ـ قسمت دوم)	« محمدتقی دانش‌پژوه
١٨٢ـ اصول فن کتابداری	« دکتر محسن صبا
١٨٣ـ رادیو الکتریسیته	« « رحیمی
١٨٤ـ پیوره	« « محمود سیاسی
١٨٥ـ چهار رساله	« محمد سنگلجی
١٨٦ـ آسیب‌شناسی (جلد دوم)	« دکتر آرمین
١٨٧ـ یادداشت‌های مرحوم قزوینی	فراهم‌آورنده آقای ایرج افشار
١٨٨ـ استخوان شناسی مقایسه‌ای (جلد دوم)	تألیف دکتر میربابائی
١٨٩ـ جغرافیای عمومی (جلد اول)	« « مستوفی
١٩٠ـ بیماریهای واگیر (جلد اول)	« « غلامعلی بینش‌ور
١٩١ـ بتن فولادی (جلد اول)	» مهندس خلیلی
١٩٢ـ حساب جامع و فاضل	نگارش دکتر مجتهدی
١٩٣ـ ترجمهٔ مبدء و معاد	ترجمه آقای محمود شهابی
١٩٤ـ تاریخ ادبیات روسی	تألیف « سعید نفیسی
١٩٥ـ تاریخ تمدن ایران ساسانی (جلد دوم)	« « « «
١٩٦ـ درمان تراخم با الکتروکوآگولاسیون	« دکتر پرفسور شمس
١٩٧ـ شیمی و فیزیک (جلد اول)	« « توسلی
١٩٨ـ فیزیولوژی عمومی	« « شیبانی
١٩٩ـ داروسازی جالینوسی	« « مقدم
٢٠٠ـ علم العلامات نشانه‌شناسی (جلد دوم)	« « میمندی نژاد
٢٠١ـ استخوان شناسی (جلد اول)	« « نعمت‌اله کیهانی
٢٠٢ـ پیوره (جلد دوم)	« « محمود سیاسی
٢٠٣ـ علم النفس ابن سینا و تطبیق آن با روانشناسی جدید	« « علی‌اکبر سیاسی
٢٠٤ـ قواعد فقه	« آقای محمود شهابی
٢٠٥ـ تاریخ سیاسی و دیپلوماسی ایران	« دکتر علی‌اکبر بینا
٢٠٦ـ فهرست مصنفات ابن سینا	« « مهدوی
٢٠٧ـ مخارج الحروف	تصحیح و ترجمهٔ دکتر پرویز ناتل خانلری
٢٠٨ـ عیون الحکمه	از ابن سینا ـ چاپ عکسی

۲- شیمی بیولوژی	تألیف دکتر مافی
۲- میکربشناسی (جلد دوم)	« آقایان دکتر سهراب ـ دکتر میردامادی
۲- حشرات زیان‌آور ایران	« مهندس عباس دواچی
۲- هواشناسی	« دکتر محمد منجمی
۲-حقوق مدنی	« « سیدحسن امامی
۲۱- ماخذ قصص و تمثیلات مثنوی	نگارش آقای فروزانفر
۲۱- مکانیك استدلالی	« پرفسور فاطمی
۲۱- ترمودینامیك (جلد دوم)	« مهندس بازرگان
۲۱- گروه بندی و انتقال خون	« دکتر یحیی پویا
۲۱- فیزیك، ترمودینامیك (جلداول)	« « روشن
۲۱- روان پزشکی (جلدسوم)	« « میرسپاسی
۲۲- بیماریهای درونی (جلداول)	« « میمندی‌نژاد
۲۲- حالات‌عصبانی یا نوروز	ترجمه « چهرازی
۲۲- کالبدشناسی توصیفی (۷) (دستگاه گوارش)	تألیف دکتر امیراعلم ـ دکتر حکیم دکتر کیهانی ـ دکتر نجم‌آبادی ـ دکتر نیك‌نفس
۲۲- علم‌الاجتماع	تألیف دکتر مهدوی
۲۲- الهیات	« فاضل تونی
۲۲- هیدرولیك عمومی	« مهندس ریاضی
۲۲- شیمی عمومی معدنی فلزات (جلداول)	تألیف دکتر فضل‌الله شیروانی
۲۲- آسیب‌شناسی آزردگیهای سورنال « غده فوق کلیوی »	« « آرمین
۲۲- اصول الصرف	« علی‌اکبر شهابی
۲۲- سازمان فرهنگی ایران	تألیف دکتر علی کنی
۲۳- فیزیك، ترمودینامیك (جلد دوم)	نگارش دکتر روشن
۲۳- راهنمای دانشگاه	—
۲۳- مجموعهٔ اصطلاحات علمی	—
۲۳- بهداشت غذائی (بهداشت نسل)	نگارش دکتر فضل‌الله صدیق
۲۳- جغرافیای کشاورزی ایران	« دکتر تقی بهرامی
۲۳- ترجمه‌النهایه با تصحیح و مقدمه (۱)	« آقای سیدمحمد سبزواری
۲۳- احتمالات و آمار ریاضی (۲)	« دکتر مهدوی اردبیلی
۲۳- اصول تشریح چوب	« مهندس رضا حجازی
۲۳- خون‌شناسی عملی (جلداول)	« دکتر رحمتیان دکتر شمسا
۲۳- تاریخ ملل قدیم آسیای غربی	« « بهمنش
۲۴- شیمی تجزیه	« « شیروانی
۲۴- دانشگاهها و مدارس عالی امریکا	« ضیاءالدین اسمعیل بیگی
۲۴- پانزده گفتار	« آقای مجتبی مینوی
۲۴- بیماریهای خون (جلد دوم)	« دکتر یحیی پویا

۲۴۴- اقتصاد کشاورزی	نگارش دکتر احمد
۲۴۵- علم العلامات (جلد سوم)	« « میمندی نژا
۲۴۶- بتن آرمه (۲)	« آقای مهندس خلیل
۲۴۷- هندسهٔ دیفرانسیل	« دکتر بهفروز
۲۴۸- فیزیولژی گل ورده بندی تك لپه ایها	« « زاهدی
۲۴۹- تاریخ زندیه	« « هادی هد
۲۵۰- ترجمه النهایه با تصحیح و مقدمه (۲)	« آقای سبزوار
۲۵۱- حقوق مدنی (۲)	« « دکتر امام
۲۵۲- دفتر دانش و ادب (جزء دوم)	—
۲۵۳- یادداشتهای قزوینی (جلد دوم ب، ت، ث، ج)	« ایرج افشار
۲۵۴- تفوق و برتری اسپانیا	« دکتر خانبابا بیا
۲۵۵- تیره شناسی (جلد اول)	« « احمد پارسا
۲۵۶- کالبد شناسی توصیفی (۸) دستگاه ادرار و تناسل - پردهٔ صفاق	تألیف دکتر امیر اعلم - دکتر حکیم - دکتر ک دکتر نجم آبادی - دکتر نیك نفس
۲۵۷- حل مسائل هندسه تحلیلی	نگارش دکتر علینقی وحد
۲۵۸- کالبد شناسی توصیفی (حیوانات اهلی مفصل شناسی مقایسه‌ای)	« « میربابائی
۲۵۹- اصول ساختمان و محاسبه ماشینهای برق	« مهندس احمد رضو
۲۶۰- بیماریهای خون ولنف (بررسی بالینی و آسیب شناسی)	« دکتر رحمتیان
۲۶۱- سرطان شناسی (جلد اول)	« « آرمین
۲۶۲- شکسته بندی (جلد سوم)	« « امیرکیا
۲۶۳- بیماریهای واگیر (جلد دوم)	« « بینش‌ور
۲۶۴- انگل شناسی (بندپائیان)	« « عزیز رفیعی
۲۶۵- بیماریهای درونی (جلد دوم)	« « میمندی‌نژاد
۲۶۶- دامپروری عمومی (جلد اول)	« « بهرامی
۲۶۷- فیزیولوژی (جلد دوم)	« « علی کاتوزیان
۲۶۸- شعر فارسی (در عهد شاهرخ)	« « یارشاطر
۲۶۹- فن انگشت نگاری (جلد اول و دوم)	نگارش ناصرقلی رادسر
۲۷۰- منطق التلویحات	« دکتر فیاض
۲۷۱- حقوق جنائی	تألیف آقای دکتر عبدالحسین علی
۲۷۲- سمیولوژی اعصاب	« « « چهرازی
۲۷۳- کالبد شناسی توصیفی (۹) (دستگاه تولید صوت و تنفس)	تألیف دکتر امیر اعلم - دکتر حکیم - دکتر ک دکتر نجم آبادی - دکتر نیك نفس
۲۷۴- اصول آمار و کلیات آمار اقتصادی	نگارش دکتر محسن صبا
۲۷۵- گزارش کنفرانس اتمی ژنو	« « جناب - دکتر باز
۲۷۶- امکان آلوده کردن آبهای مشروب	نگارش دکتر حسین سهراب - دکتر میمندی

۲۷۷ـ مدخل منطق صورت	نگارش دکتر غلامحسین مصاحب
۲۷۸ـ ویروسها	« « فرج‌الله شفا
۲۷۹ـ تالفیت‌ها (آلکها)	« « عزت‌الله خبیری
۲۸۰ـ گیاه‌شناسی سیستماتیك	« « محمد درویش
۲۸۱ـ تیره‌شناسی (جلددوم)	« « پارسا
۲۸۲ـ احوال و آثار خواجه نصیرالدین طوسی	« مدرس رضوی
۲۸۳ـ احادیث مثنوی	« آقای فروزانفر
۲۸۴ـ قواعد النحو	« قاسم تویسرکانی
۲۸۵ـ آزمایشهای فیزیك	« دکتر محمدباقر محمودیان
۲۸۶ـ پندنامه اهوازی یا آئین پزشکی	« « محمود نجم‌آبادی
۲۸۷ـ بیماریهای خون (جلدسوم)	« « یحیی پویا
۲۸۸ـ جنین شناسی (رویان‌شناسی) جلد اول	« « احمد شفائی
۲۸۹ـ مکانیك فیزیك (اندازه گیری مکانیك نقطه مادی وفرضیه نسبی) (چاپ‌دوم)	تألیف دکتر کمال‌الدین جناب
۲۹۰ـ بیماریهای جراحی قفسه سینه (ریه، مری، قفسه سینه)	« « محمدتقی قوامیان
۲۹۱ـ اکوستیك (صوت) چاپ دوم	« « ضیاءالدین اسماعیل بیگی
۲۹۲ـ چهار مقاله	بتصحیح « محمد معین
۲۹۳ـ داریوش یکم (پادشاه پارسها)	نگارش « منشی‌زاده
۲۹۴ـ کالبدشکافی تشریح عملی سر و گردن ـ سلسلهٔ اعصاب مرکزی	« « نعمت‌الله کیهانی
۲۹۵ ـ درس اللغة والادب (۱) چاپ‌دوم	« « محمد محمدی
۲۹۶ـ سه گفتار خواجه طوسی	بکوشش محمدتقی دانش‌پژوه
Sur les espaces de Riemann ـ ۲۹۷	نگارش دکتر هشترودی
۲۹۸ ـ فصول خواجه طوسی	بکوشش محمدتقی دانش‌پژوه
۲۹۹ ـ فهرست کتب اهدائی آقای مشکوة (جلدسوم) بخش‌سوم	نگارش محمدتقی دانش‌پژوه
۳۰۰ ـ الرسالة المعینیة	« « «
۳۰۱ ـ آغاز و انجام	« ایرج افشار
۳۰۲ـ رسالهٔ امامت خواجهٔ طوسی	بکوشش محمدتقی دانش‌پژوه
۳۰۳ ـ فهرست کتب اهدائی آقای مشکوة (جلدسوم) بخش‌چهارم	« « «
۳۰۴ ـ حل مشکلات معینه خواجه نصیر	« « «
۳۰۵ ـ مقدمه قدیم اخلاق ناصری	« جلال‌الدین همائی
۳۰۶ـ بیوگرافی خواجه نصیرالدین طوسی (بزبان‌فرانسه)	نگارش دکتر امشه‌ای
۳۰۷ـ رساله بیست‌باب درمعرفت اسطرلاب	« مدرس رضوی
۳۰۸ـ مجموعهٔ رسائل خواجه نصیرالدین	« « «
۳۰۹ـ سرگذشت وعقائد فلسفی خواجه نصیرالدین طوسی	« محمد مدرسی (زنجانی)
۳۱۰ـ فیزیك (پدیده‌های فیزیکی در دماهای بسیار خفیف)	« دکتر روشن

۳۱۱ - رساله جبر و مقابله خواجه نصیرطوسی	بکوشش اکبر دانا سرشت
۳۱۲ - آلرژی بیماریهای ناشی از آن	تألیف دکتر هادوی
۳۱۳ - راهنمای دانشگاه (بفرانسه) دوم چاپ	—
۳۱۴ - احوال و آثار محمدبن جریری طبری	تألیف آقای علی اکبر شهاب
۳۱۵ - مکانیك سینماتیك	» دکتر احمد وزیری
۳۱۶ - مقدمه روانشناسی (قسمت اول)	» دکتر مهدی جلالی
۳۱۷ - دامپروری (جلد دوم)	» » تقی بهرامی
۳۱۸ - تمرینات و تجربیات (شیمی آلی)	» » ابوالحسن شیخ
۳۱۹ - جغرافیای اقتصادی (جلد دوم)	» » عزیزی
۳۲۰ - پاتولوژی مقایسه‌ای (بیماریهای مشترك انسان ودام)	» » میمندی نژاد
۳۲۱ - اصول نظریه ریاضی احتمال	تألیف دکتر افضلی پور
۳۲۱ - رده بندی دولپه‌ای ها و بازدانگان	» » زاهدی
۳۲۳ - قوانین مالیه ومحاسبات عمومی ومطالعه بودجه از ابتدای مشروطیت تا حال	» » جزایری
۳۲۴ - کالبد شناسی سر و گردن (توصیفی-موضعی-طرز تشریح)	» منوچهر حکیم
	» سیدحسین گنج
۳۲۵ - ایمنی شناسی (جلد اول)	» » میردامادی
۳۲۶ - حکمت الهی عام وخاص (تجدید چاپ)	» آقای مهدی الهی قمشه
۳۲۷ - اصول بیماری‌های ارثی انسان (۱)	» دکتر محمدعلی مولوی
۳۲۸ - اصول استخراج معادن	» مهندس محمودی
۳۲۹ - مقررات دانشگاه (۱) مقررات استخدامی ومالی	جمع آوری دکتر کی نیا
۳۳۰ - شلیمر	دانشکده پزشکی
۳۳۱ - تجزیه ادرار	مرحوم دکتر ابوالقاسم بهر
۳۳۲ - جراحی فك وصورت	تألیف دکتر حسین مهدوی
۳۳۳ - فلسفه آموزش وپرورش	» » امیرهوشمند
۳۳۴ - اکوستیك (۲) صوت	» » اسماعیل بیگی
۳۳۵ - الکتریسته صنعتی (جلداول چاپ دوم)	» مهندس زنگنه
۳۳۶ - سالنامه دانشگاه	—
۳۳۷ - فیزیك جلد هشتم-کارهای آزمایشگاه ومسائل ترمودینامیك	» دکتر روشن
۳۳۸ - تاریخ اسلام (چاپ دوم)	» دکتر فیاض
۳۳۹ - هندسهٔ تحلیلی (چاپ دوم)	» » وحدتی